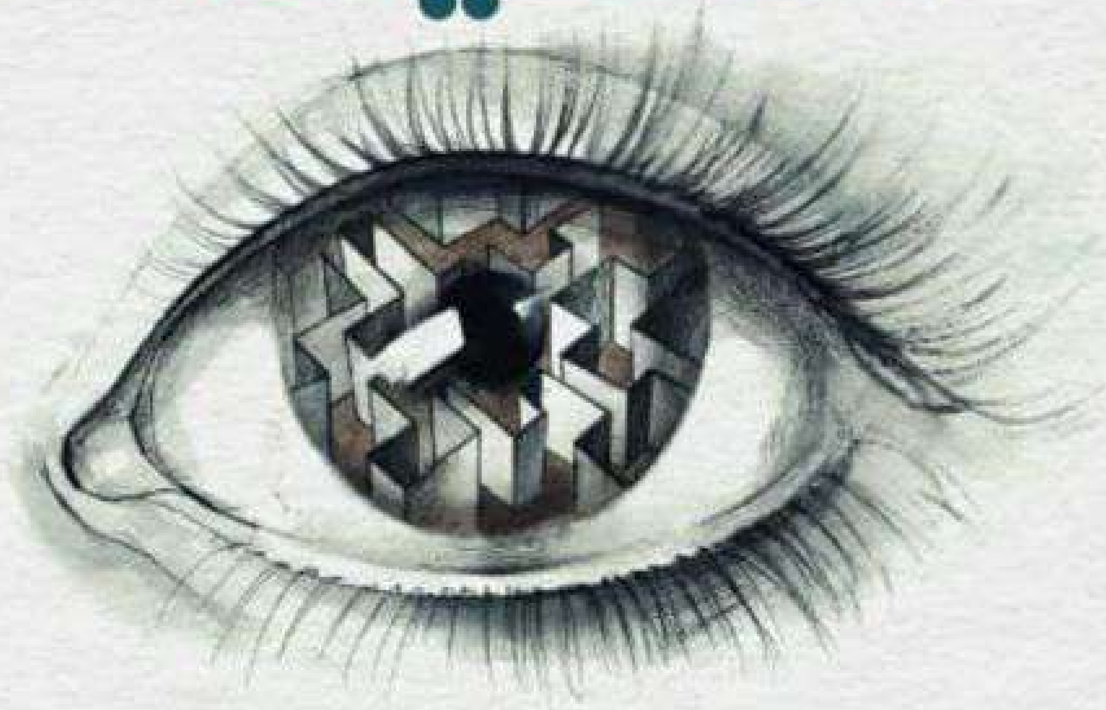
Prentice Mulford

پرنتيس مالفورد

Thoughts are Things

الأفكار هي الأشياء



ترجمة: شيرين أشرف



مقدمة المترجم

حركة الفكر الجديد:

تنتمي فلسفة كاتبنا "برنتيس مالفورد" إلى حركة "الفكر الجديد" وهي حركة روحانية معنية بـ"شفاء العقل"، ذات جذور ميتافيزيقية نشأت في الولايات المتحدة الأمريكية في مطلع القرن التاسع عشر، غالبًا ما يُشار إلى صانع الساعات والمُعالج(1) المسمري الأمريكي "فينياس باكهوست كويمبي" [1802 - 1866] بوصفه مؤسسها وأول من نادى بـ"الفكر الجديد"، ومن ثمَّ انبسط نفوذه وتأثيره في معتقدات أنصاره ومؤلفاتهم. وُلد "كويمبي" في مدينة (لبنان) الأمريكية في ولاية (نيوهامبشاير) ونشأ في مدينة (بلفاست) في ولاية (مين)، حيث عمل في صناعة الساعات في بداية حياته إلى أن تأثر بالمُعالج المسمري الفرنسي "تشارلز بوين" [توفي 1844] وتتلمذ على يده بعد أن استمع إلى مُحاضرةٍ جُزئيةٍ كانت من ضمن مُحاضرة مُطولة ألقاها "بوين" عام 1836 خلال جولته في الولايات المُتحدة -تحديدًا في إقليم (نيو إنجلاند) - تعرّف من خلالها على طرق العلاج بالتنويم المغناطيسي وقوة العقل البشري وقدرته على الشفاء من أي مرض، ومنذ ذلك الحين، حدد "كويمبي" مفاهيمه عن الشفاء الروحاني والذهني، وبدأ في ممارسة المسمرية في عام 1840 مُرتكزًا على الرأي القائل بأن منشأ المرض الجسدي هو العقل.

يرجع العديد من السمات الجوهرية لحركة "الفكر الجديد" إلى الفلسفة المثالية، خاصةً فلسفة "رالف والدو إمرسون" المُتعالية ومثالية أفلاطون (في القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد) التي تفترض أن عالم المُثل - أي "الأفكار" - أكثر واقعيةً من العالم المادي، وأن الطريقة المُثلى للوصول إلى الحقيقة هي عن طريق العقل المجرد لا الحواس، وفلسفة "سفيدنبورج"، وتحديدًا وجهة نظره التي تقول إن العالم المادي هو إحدى النتائج التي لها مَرَدٌ روحي ومقصدٌ إلهي، وكذلك مثالية هيجل المُطلقة التي تقوم على اعتبار الوعي سابقًا للمادة، كما ترجع إلى التعاليم الروحانية لدى بعض الديانات الشرقية، مثل الهندوسية.

المسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تعددت مُعتقدات أتباع "الفكر الجديد" وصارت مُنتسبةً إلى أفرادٍ بعينهم، لذلك كان من الصعب ذكرها بإيجازٍ في نقاطٍ مُحددة، إلا أنه في عام 1916، لخص دستور التحالف الدولي للفكر الجديد (تأسس عام 1914) المبادئ الرئيسة والمعتقدات المتجذرة في هذه الحركة والسائدة بين الطوائف الدينية والمدارس الفرعية التي ولِدت من رحمها، وهي: الإيمان العميق بقُدسية الذات البشرية وقوتها، بما في ذلك قوة الفكر الإيجابي البنّاء، واتسام العقل البشري بالتفوق على كل الأوضاع والظروف المادية، وهكذا تُصبح الحالة الذهنية التي تنتاب الشخص هي الواقع الذي يتجسد له في الحياة اليومية، ويتسنى له أن يستجيب لصوت الحضور الساكن فيه، الذي هو مصدر كل الإلهام والقوة والصحة والرخاء، أي أن يتصل بالله عن طريق قوى العقل؛ فالله ذو القدرة الواسعة موجود داخل كل إنسان وهو العقل الكلي أو الحكمة اللامتناهية، والإنسان عندما يتناغم فِكره مع الله، يتمتع بقدرة خلاقة في دائرة نشاطه الخاصة، وبناء على ذلك يستطيع أن يُشفى من العلل جميعها باستخدام قواه العقلية بصورة سليمة.

إن الترويج للحركات الناشئة يتم عادةً من خلال الأدباء والمُفكرين، وكذلك الأشخاص المُتخصصين بعلوم الخطابة والتواصل، وهو الحال مع "الفكر الجديد"؛ فلقد كان بعض رواد هذه الحركة وقادتها من مرضى "كويمبي" وبعضٌ آخر منهم لم يلتقِ به قط، ولكن نظريته قد انعكست - بفضل جهود أتباعه الذاتية في نقلها - في مؤلفات عدد من الأدباء والفلاسفة والمُحاضرين والقساوسة، وغيرهم من الشخصيات المؤثرة، ما أفضى إلى توسع الحركة وانتشارها لا سيما بعد أن ذاع صيت التنويم المغناطيسي كـ"طبٍّ بديل" وعلاجٍ مُعترف به من الأمراض آنذاك في (نيو إنجلاند)، وكان من أبرز هؤلاء الرواد:

1. "يوليوس دريسر" [1838 – 1893]، وهو رئيس للتحرير في جريدة (بورتلاند) ومُحاضرٌ مرموقٌ ومُناصرٌ رائدٌ لتعاليم "كويمبي" وأفكاره، وكذلك ابنه "هوراشيو دريسر" [1866 – 1954] الذي أخذ عن والده ولاءه لـ"الفكر الجديد" ويُعد أول مؤرخٍ ومُدونٍ لأفكار "كويمبي"؛ إذ إنه قد جمع النسخ الخطية لجُملة أفكاره

وملاحظاته بعد أن أتاحتها مكتبة الكونجرس للجمهور، وقام بتحرير مجموعة مختارة من أعماله لتصبح كتابًا بعنوان مخطوطات كويمبي (1921).

2. "وارن فيلت إيفانز" [1817 – 1889]، كاتبٌ أمريكي وقسٌ ميثودي سابق إلى أن تبنى أفكار "كويمبي" بعد أن تماثل للشفاء بالتنويم المغناطيسي لديه، وكذلك تمذهب بمذهب "سفيدنبورج" فصار كاهن كنيسة أورشليم الجديدة. قيل عن "إيفانز" إنه - فضلًا عن "ماري بيكر إيدي" - أول من حاول الترويج لفلسفة واضحة ذات كيان مُتماسك تستند إلى ممارسات "كويمبي"؛ فعلى الرغم من اهتمامه الواسع بالتقاليد الثيوصوفية والتنجيم، كانت له إسهامات كُبرى في مجال "الفكر الجديد" من خلال التفاسير التي قدمها لهذه الأفكار المُتبناة من كلٍّ من "كويمبي" و"سفيدنبورج" في كتاب بعنوان العصر الجديد ورسوله (1863)، يليه كُتب أُخرى مثل الشفاء العقلي (1869)، و الدواء الذهني (1872)، و روح وجسد (1876).

3. "ماري بيكر إيدي" [1821 – 1910]، مؤسِسة "العلم المسيحي" وإحدى تلاميذ ومرضى "كويمبي" التي انشقت عن حركته الفكرية بعد وفاته، ولقد كان مدى تأثيره في مُعتقدات "إيدي" مثار جدل في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين؛ كانت "إيدي" في موضع اتهامٍ من العديد من أتباع "كويمبي" باقتباس أفكاره في تأسيس طائفتها الدينية "العلم المسيحي" في عام 1879 وكذلك عملُها الرئيسي الذي يحمل عنوان العلوم والصحة مع مدخل إلى الكتاب المقدس (1875) والذي اعتبرته "وحيًا كتابيًا" يتضمن لاهوت حركتها الدينية الجديدة (إضافةً إلى الكتاب المُقدس) ومبادئ كنيستها - كنيسة "المسيح العالم" - دون عزوٍ أو اعترافٍ بفضله في تشكيل مُعتقدات هذه الطائفة، بيد أنه حينما نُشرت مخطوطات كويمبي في عام (1921) أصبح من السهل تحديد الفروق الجذرية التي تُميزُ تعاليم "إيدي" ذات الطابع(2) الديني المُتشدد عن تعاليم "كويمبي" ذات الطابع العلماني.

ازدهر نمو "الفكر الجديد" إبان فترات(3) الإحياء البروتستانتي المسيحي المتلاحقة التي شهدتها الولايات المُتحدة في أواخر القرن التاسع عشر، ونالت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

زخمًا واسعًا من العديد من المفكرين الروحيين والفلاسفة - هم في الواقع من الرموز المؤسِسة لهذه الحركة - ما نَجم عن ظهور مجموعة متنوعة من الطوائف والكنائس الدينية (عُرفت باسم: العائلة الميتافيزيقية) مثل "العلم الإلهي"، أسستها كلٌ من "مالبندا كارمر" [1844 – 1906] و"نونا لوفيل بروكس" [1861 – 1945] عام 1888 و"كنيسة الوحدة"، أسسها "تشارلز فيلمور" [1854 – 1948] وزوجته "ميرتل فيلمور" [1845 – 1931] عام 1889، وفيما بعد أسس "إرنست هولمز" [1887 – 1966] "علم الأديان" في عام 1927، تتلمذ كل هؤلاء المؤسسين - النساء تحديدًا منهم - على يد الكاتبة الأمريكية "إيما كورتيس هوبكينز" [1849 – 1925] التي تتلمذت في الأصل على "ماري بيكر إيدي" ثم شطرت عن مدرستها الدينية لكي تبدأ مسيرتها في تعليم طُلابها من المُعلمات اللاتي قُدن الكنائس المتبنية لتعاليم ومبادئ الفكر الجديد والداعمة له، وكذلك المراكز المجتمعية للحركة منذ ثمانينيات القرن حتى يومنا هذا، ولذلك لُقبت "هوبكينز" بـ"مُعلمة المُعلمين".

لم يكن للفلسفة أو أي ضربٍ من ضُروب المعرفة أن يتخلد من دون الكتابة والتدوين، ولذلك كان للقلم نصيبٌ وافرٌ في النهوض بالحركة وتسليط الضوء على جوهر مبادئها، ألا وهو قوة "الأفكار" أو بعبارة أخرى، قوة جذب "الأفكار"؛ لم يكتفي رواد "الفكر الجديد" بإعلاء كلمتهم في الكُتب فقط، وإنما كان الهدف هو الوصول لأكبر عدد من الجمهور من خلال النشرات والمجلات الدورية، أصدرت "كنيسة الوحدة" مجلة (ويي ويسدوم) وهي أطول مجلات الأطفال عمرًا في الولايات المتحدة؛ استمر نشاطها منذ عام 1893 حتى عام 1991، تُقدم من خلالها رسالة يومية مُلهمة بعنوان (ديلي وورد) تتناول موضوعاتٍ عن السلام الداخلي والتشافي الذهني وما إلى ذلك، ومجلة (ساينس أوف مايند) التي نشرتها مراكز الحياة الروحانية وهي منظمة تابعة لـ"علم الأديان"، وكذلك أسست الكاتبة والمُحررة الأمريكية "إليزابيث تاون" [1865 – 1960] دار نشر مجلة (ذا نوتيليس) في عام 1898 وهي المجلة الرئيسة والأكثر دعمًا لـ"الفكر الجديد"؛ تُصدر مطبوعاتٍ شهرية تهتم بتطوير الذات وتضم عددًا هائلًا من الافتتاحيات والمقالات بقلم "تاون"

وكذلك عدد من الكُتاب الملهمين مثل: "والاس واتلز" [1860 – 1911] و"ويليام ووكر آتكينسون" [1862 – 1932]، استمر نشاطها حتى عام 1953 حيث تقاعدت "تاون" عن مجال النشر في عمر الـ88، إلى جانب نشر قائمة طويلة من كتب الماورائيات وتطوير ومساعدة الذات مطبوعة بختم الناشر إليزابيث تاون مثل: علم اقتناء الثروة (1910) لـ"واتلز"، وبعض أعمال "آتكينسون" التي كانت من ضمن سلسلة الأعمال التي شكلت ما أسماه بـ"علم النفس الحديث"، وهي عناوين تُناقش موضوعاتٍ عن العالم العقلي والتنجيم والواقع النفسي والطبيعة البشرية، أشهرها: ذبذبة الفكر: قانون الجاذبية في عالم الفكر (1906) حيث يبين لنا المفكر والكاتب "آتكنسون" قانون الجاذبية في عالم الفكر باعتبار أن الفكر قوة أو مظهر من مظاهر الطاقة لها قوة جذب مغناطيسية وموجات تعمل في إطار قانون الجاذبية تمامًا مثل الكون الذي يسير وفق أنظمة وقوانين عظيمة ثابتة، ومن خلال دراسة قانون الجذب في عالم الفكر يتمكن الفرد من فهم كيفية عمل عقله، مما يمكنه من تسخير قواه العقلية الخارقة الموجودة في كل شخص منا لصالحه، كما سيتعرف على سر الإرادة وكيفية تحصين ذاته ضد مغناطيسية تيارات الفكر السلبية أو تحويل الأفكار السلبية إلى إيجابية إذا ما أصابته عدوى الأفكار السلبية، ويتناول هذا الكتاب أيضًا سيكولوچية العواطف وكيفية تطوير خلايا دماغية جديدة، ولقد كان "آتكنسون" نفسه مُحررًا في مجلة (الفكر الجديد) وكاتبًا غزير الإنتاج؛ ألَّف ما يزيد عن مائة كتابٍ، حقق انتشارًا واسعًا ونال شعبية كبيرة ومؤثرة بين أتباع "الفكر الجديد" والممارسين له. في العام التالي، عام 1907، أصدرت مؤسسة (ذا نوتيليس) للنشر كتاب بعنوان الازدهار من خلال قوة الفكر لـ"بروس ماكليلاند"، ويُمكننا قول إنه قد لخص فيه قانون الجذب كمبدأ أساسي لـ"الفكر الجديد" في عبارة: "أنت ما تُفكر به، وليس ما تعتقد أنك هو".

منذ ذلك الحين، شهد القرن العشرون اهتمامًا زائدًا بالتنمية البشرية، وتحديدًا قانون الجذب الفكري كمُعتقدٍ روحاني وإحدى نظريات "الفكر الجديد" - والتي أُطلِق عليها "العلوم الذهنية" منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر - في عدة مؤلفاتٍ تتطرق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إليه، من بينها كتابان من أعلى الكُتب مبيعًا في التاريخ، ألا وهما: فكر لتصبح غنيًا (1937) للكاتب الأمريكي "نابليون هيل" [1883 – 1970]، و قوة التفكير الإيجابي (1952) للكاتب والقس الأمريكي "نورمان ڤنسنت بيل" [1898 – 1993]، مرورًا بأواخر القرن في كتاب: يمكنك شفاء حياتك (1984) للكاتبة الأمريكية "لويز هاي" [1926 – 2017]، حتى قرننا الحالي، تحديدًا عام 2006، اكتسب مفهوم "قانون الجذب" شهرةً مُتجددة مع إصدار الفيلم الوثائقي "السر" للكاتبة الأسترالية "روندا بايرن" [1951]، والذي تحول إلى كتابٍ يحمل نفس العنوان، وهو من أفضل كتب المساعدة الذاتية مبيعًا لعام 2006. كانت أدبيات "الفكر الجديد" هي مصدر الإلهام لـ"بايرن" في إنتاج وتأليف كلٍّ من الكتاب والفيلم؛ منها كتابا علم اقتناء الثروة وذبذبة الفكر: قانون الجاذبية في عالم، وأيضًا، كتاب "مالفورد" الذي أنت بصدد قراءته الآن: الأفكار هي الأشياء (1889).

پرنتيس مالفورد:

أما كاتبنا "پرنتيس مالفورد"، فكان له دورٌ فعال في تطوير وصقل أفكار مدرسة "الفكر الجديد" من خلال توضيح العديد من المبادئ والمُعتقدات الأساسية التي أصبحت من ثوابت هذه الحركة لا سيما التفكير الإيجابي وقانون الجذب الذي نعرفه اليوم؛ إذ ناقش في مؤلفاته الأسس الصحيحة لهذين المبدئين بأسلوبٍ مُبسط وبشكلٍ أعمق من التطبيقات البدائية التي اقترحها "فينياس كويمبي"، لذلك أصبح من روادها الأوائل ومن الرموز المؤسسة لفلسفتها في أواخر القرن التاسع عشر.

وُصِفَ بـ"أغرب الرجال" وأنه "مُفكرٌ بطبيعته"، استمد بصيرته بما يُحيط الجنس البشري من غموضٍ وأسرار بالتأمل والخبرة المُباشرة وليس من الكتب؛ فهو رجلٌ من الشمال الشرقي من الولايات، عاش حياةً مُتسكعة مُضطربة لا يجد سلكًا مهنيًا يُرضي شغفه، فاستجاب لنداء المُحيط تاركًا اليابسة خلفه على متن سفينة تجارية وصولًا إلى الساحل الغربي، عاهدًا نفسه بالذهاب حيث يأخذه اليوم أو البحر، استقى من نبع الطهي وصيد الحيتان والتعدين والتعليم المدرسي قطرة، وحاول الخوض في الحياة السياسية ولكن ما لبثت محاولته أن باءت بالفشل، ثم انتهى به المطاف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلى عالم الإنشاء الأدبي والصحافة؛ فما من وسيلة للتنفيس وإطلاق العنان لما يدور في ذهنه الألمعي المُتقد سوى الأوراق والأقلام.

ولد الفيلسوف والكاتب الأمريكي الساخر "برنتيس مالفورد" في الخامس من إبريل عام 1834 في منطقة ساج هاربور، جزيرة (لونج آيلاند، نيويورك)، وفي عام 1856 أي في عامه الثاني والعشرين، أبحر إلى بلدة (چايمستاون، كاليفورنيا) - حيث الإصابة(4) بحمى الذهب- بحثًا عن مصيره المهني والحياتي ليقضي هناك ستة عشرة عامًا، عمل خلال هذه الأعوام في التنقيب في المناجم لعدة سنوات أملًا في أن يغتنم نصيبه من الذهب والفضة والنحاس، إلى أن ترك حياة التعدين واتجه إلى قلب العاصمة (ساكرامنتو) حيث كان مُرشحًا لتولي منصبًا في جمعية ولاية كاليفورنيا، ولكن لم يحصد أصواتًا كافية لانتخابه ما أفضى بالطبع إلى خسارته الانتخابات، ثم عاد بعد ذلك إلى مدينة (سان فرانسيسكو، كاليفورنيا) في عام 1863 ليصبح هذا العام هو العام الذي اتخذ فيه أولى خطواته في مسيرته الصحفية التي بدأها بالكتابة في عدد من الصحف والمجلات الأدبية المحلية، مثل جريدة (ذا جولدن إيرا) الأسبوعية، و(ذا دراماتيك كرونيكل) اليومية، و(ذا كاليفورنيان) الأسبوعية ومجلة (ذي أوفرلاند) الشهرية حتى عام 1866.

بنى "مالفورد" طوال هذه السنوات الثلاث مكانًا ثابتًا في قلوب القراء لقوة وحيوية الكلمات المتدفقة من قلمه في كتابة المقال تلو المقال والقصة القصيرة تلو القصة القصيرة؛ تميز بأسلوبه الساخر في الكتابة ووصفه الدقيق لحياة البحر والتعدين، وأطلق عليه قُراء المدينة لقب "البوهيمي" لما تبين لهم من نمط حياته غير المألوف في مقالاته ولعدم اكتراثه الشديد بالمال؛ فلقد كتب في مذكراته: "لقد دفعني الفقر إلى امتلاك مزيدٍ من الأدمغة"، ثم عمل فيما بعد مُحررًا في جريدة (ذا ستوكتون جازيت) لبضعة أشهر فقط من عام 1868.

ازداد اهتمام "مالفورد" - تحديدًا منذ عام 1865 - بالظواهر الروحانية والقوانين العقلية، واتخذت مقالاته ومؤلفاته كافةً بُعدًا فلسفيًا يُجسد شكلًا لا مثيل له من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحكمة والنظرة الثاقبة على المعضلات التي يواجهها الإنسان وكيفية التصدي لها باستخدام قواه الفردية الكامنة في العقل بأسلوبٍ إبداعيّ شائق، هذه الحكمة هي صفة راسخة واستعداد عقلي خاص بـ"مالفورد" لتناول الأمور بحذقٍ ومهارة لا يدين بالفضل في اكتسابه للقراءة النهمة للكتب، وربما لا يدين بالكثير من الفضل أيضًا بما يُقصد به عادةً بملاحظة الأشياء، وإنما الفضل، أو على الأقل مُعظم الفضل يرجع إلى تأمل الأمور المُعزز بالاتصال الوثيق مع الطبيعة؛ فلقد كانت مُحاولاته لفهم وتفسير طبيعتنا الجسدية المُجردة عند التطرق إلى موضوعاتٍ أزلية كالزواج والذكريات والعدالة وقوة العقل وحتى ضرورة جمع الثروة تعتمد على الحدس والمشاركة الوجدانية لا التناسق والمنطق، علاوة على تفاؤله الشديد وتوسم الخير في الجنس البشري، لذلك، قد تبدو أفكاره للكثيرين دربًا من دروب الأحلام والخيال، في حين أن هذه الصفات الإنسانية بالذات هي ما أسبغت على أعماله - التي هي تُرجمان أفكاره - الحداثة وخفة الروح، التي جعلتها سابقةً لهذا العصر، إذًا، فهي في الوقت ذاته تبدو لآخرين حقائق لا تُقدر بثمن. ومن هُنا، تبوأ "مالفورد" مقعدًا راسخًا في حلقات الأدب في (سان فرانسيسكو) في ستينيات هذا القرن مع نُظرائه من الأدباء مثل: "بريت هارت" [1836 – 1902]، و"مارك توين" [1835 – 1910] بوصفه كاتب مقالاتٍ وقصص قصيرة ساخرة.

في عام 1872، سافر "مالفورد" إلى أوربا للقيام بجولة محاضراتٍ دامت لعامين من أجل الترويج لرسالته وحملها للجماهير من خارج الولايات المُتحدة الأمريكية، ثم عاد إلى (نيويورك) ليستأنف عمله الصحافي عام 1875 في جريدة (ذا نيويورك ديلي جرافيك) - وهي أول جريدة أمريكية يومية مصورة - ككاتب عمود يحمل عنوان "تاريخ يوم" حتى عام 1881، ثم اعتزل الحياة العملية بعد ثلاث سنواتٍ بثروة ضئيلة ولجأ إلى مستنقعات مدينة (پاسيك، نيو چيرسي) حيث بنى كوخًا صغيرًا على ضفافها وعاش ناسكًا مُختليًا بنفسه لسبع سنواتٍ مُتفرغًا للكتابة والإبداع، أثمرت عن نشر روايته القصيرة الأولى بعنوان ملاك المُستنقع (1888)، ومذكراته التي اتخذت عنوان قصة پرنتيس مالفورد: حياة البر والبحر (1889)،

والعديد والعديد من المقالات، أشهرها على الإطلاق سلسلة مقالاته الصادرة عن دار نشر (ذا وايت كروس لايبراري)، وهي سلسلة تبحث في عدد هائل من الموضوعات الميتافيزيقية الروحانية ولكنها في الوقت ذاته موضوعاتٌ عملية ذات تطبيق واقعي، ولعل اختيار عناوينها هو خير دليلٍ على ذلك، على سبيل المثال: "الله في الأشجار"، و"طبيبك الداخلي"، و"الدواء الذهني"، و"وصال الروح النافع والضار"، و"أنت تُسافر عند نومك"، و"قانون النجاح"، و"فن النسيان"، و"كيف تولد الأفكار؟"، جميعها عناوين تنطوي على فن التفكير السليم وطبيعة القوى الفردية وكيفية استخدامها، صدر بعضٌ منها في حياته مُجمعة في عدة دواوين، مثل: قواك وكيفية استخدامها (1888) - وهو سلسلة مقالاتٍ نُشرت على ستة مجلدات - وكذلك الأفكار هي الأشياء (1889)، وبعضٌ آخر نُشر بعد وفاته مثل: قوى الفِكر: مجموعة مُختارة من مقالات وايت كروس لايبراري (1913)، و هبة الروح (الإصدار الأول عام 1914، والإصدار الثاني عام 1917)، و هبة الإدراك (عام النشر غير معروف)، و الإله في نفسك (1918).

توفي "مالفورد" بمفرده أثناء ذهابه في رحلة بحرية وبسلامٍ دون أن يُصاب بأي مرض أو ألم في الثلاثين من مايو عام 1891 عن عمر يناهز الـ57، عُثر على جثته مُلقاة في زورق راسٍ عند خليج (شيبشيد) في بلدة (بروكلين، نيويورك)، ودُفن في المدفن السردابي الخاص بعائلته في (لونج آيلاند) في قبرٍ بلا شاهد، ثم نُقلت رُفات جثته في عام 1921 إلى مقبرة (أوكلاند) في منطقة (ساج هاربور، نيويورك) حيث وُضِع شاهدٌ تذكاري على ضريحه منقوشٌ عليه مرثية: "الأفكار هي الأشياء".

غالبًا ما ترمي المرثية إلى ذِكر أهم معتقدات وقيم المتوفى أو إحياء ذكراه في بضع كلمات؛ فهي تُمثل رابطة بين الأحياء والأموات، ولكن في هذه الحالة تُردد مرثية "مالفورد" صوت الحكمة لديه؛ على مدار حياته المهنية ما برح "مالفورد" يُفصِّل ويوضح "قانون الجذب" في كتاباته بالإشارة إلى أنه ينص على أن ما يُنتجه العقل البشري باستمرار من أفكارٍ يتجسد له في الواقع، بالتالي تصبح مجريات حياة المرء اليومية وكذلك ماهية علاقاته وتفاعلاته مع غيره هي نتاج أفكاره، وفي

عصرنا الحديث، تؤكد الدراسات أن العقل البشري تنتابه ما لا يقل عن ستين ألف فكرةٍ في اليوم، أغلبها أفكارٌ سلبية وتظل الأقلية هي الأفكار الإيجابية، ما يجعل الإنسان المُعاصر يتخبط في هذه الأفكار السلبية التي يصعب عادةً التخلص منها، بالتالي يفقد صحته البدنية والنفسية، هكذا يُبرهن "مالفورد" على عمق حكمته في ديوان "الأفكار هي الأشياء" الذي يضم ثلاثة عشرة مقالًا لديه ما يقوله من خلالها عن الفوارق الجوهرية بين العقل المادي والعقل الروحاني ومدى أهمية تحديد هذه الفوارق، وعن ضرورة توخي الحذر من جودة الأفكار لما تظهره من تأثير في العلاقات الإنسانية بين أفراد العائلة والأصدقاء والأقران، وعن كيفية الإتيان بأفضل النتائج في كل مناحي الحياة من خلال حضور الذهن، وعن آليات المُضي قُدمًا بالتفكير، وعن القوة الإلهية اللامتناهية التي تتشابه مع قوى الإنسان الداخلية وقدرته على تقليص التفكير السلبي والحد من سيطرته على العقل وفي بعض الحالات تغييره إلى النقيض، وعن أهم القوانين لاستعادة صحة الإنسان ورونقه. على الرغم من أنه كتابٌ يعود لعام 1889، إلا أن قيمته العلمية والفلسفية لم تضمحل إلى يومنا هذا، لاتسامه بالشمولية وسهولة التطبيق إضافةً إلى الأسلوب المُحفز على أخذ فحواه بعين الاعتبار؛ فهو كتابٌ مُلهم للعديد من المُتحدثين والمُدربين المُختصين في مجال التنمية البشرية من جميع أنحاء العالم في العصر الحالي، والجدير بالذكر أن في عصرنا هذا ثمة كمًا هائلًا من كتب "تطوير الذات"، العديد منها الأكثر انتشارًا ومبيعًا في الأسواق العالمية والعربية، وقد وضعها لفيفٌ من الفلاسفة والمُفكرين وعلماء ورجال الدين والشخصيات المؤثرة حول العالم، وإن كان أغلبها قادمًا من الغرب، وقد قام زملائي المُترجمون بترجمتها من اللغات المُختلفة إلى العربية أو غيرها من اللغات، مما ساهم في انتشارها ونقل معارفها إلى القُراء الشغوفين بهذا المجال، ولكن ما قد يجهله بعضهم -ويُذهلهم في الوقت ذاته- هو أن هُنالك أيضًا العديد من هذه الكنوز المعرفية القيمة منسي؛ وليدة أفكار صادرة عن عقول مُستنيرة ذات تحضر ورُقي منذ ما يزيد عن المائة عام، لم يعرف القارئ العربي عنها شيئًا للأسف، ولذلك، يُسعدني أن أُقدم للقُراء العرب ترجمتي العربية لإحدى هذه الكنوز المعرفية وذروة أدبيات "الفكر الجديد" النادرة للغاية،

والتي لا تُخاطب فئة القراء المهتمين بالجانب العملي من تطوير الذات فحسب، وإنما بالجانب الروحاني والفلسفي العميق، وهو كتاب "الأفكار هي الأشياء"، حيث سعيت - بفضل الله - جاهدةً إلى سد الفجوات الزمنية بين لغة الكاتب الإنجليزية من القرن التاسع عشر واللغة الإنجليزية المُعاصرة، ومن ثم ترجمتها ترجمة شارحة إلى اللغة العربية الفصيحة التي تُناسب القرن الحادي والعشرين، مع توخي الأمانة الأدبية في نقل روح الكاتب وأسلوبه الساحر وتقديم بعض التعليقات الهامشية بهدف البيان وتوضيح ما أراد "برنتيس مالفورد" إيصاله للقارئ، وما نوه عنه من أمور خاصة بعصره، راجيةً من الله أن تنال إعجاب الباحثين ممن سمع بهذا الكتاب، أو مَن يستحوذ عنوان هذا الكتاب على اهتمامه، والله الموفق والمُستعان.

---

(1) كلمة "مسمرية" أو "mesmerism" هي نسبة إلى الطبيب الألماني " فرانز مسمر" [1734 - 1815] واضع نظرية "المغناطيسية الحيوانية" في عام 1779، وهي فرضية تقول إن ثمة قوة تمتلكها أجساد الكائنات الحية وغير الحية تُحدث انتقالًا طبيعيًا وخفيًا للطاقة، فتؤثر هذه الأجساد في بعضها بعضًا. وافترض أن لهذه القوة تأثيرات جسدية مثل الشفاء من العلل الجسدية والذهنية.

(2) يختلف لاهوت كنيسة العلم المسيحي عن "الفكر الجديد" من عدة أوجه؛ أولها: رفضُ أتباع "الفكر الجديد" مبدأ "ماري بيكر إيدي" أو أية آراءٍ مُضاعة تعتبر نفسها وحيًا فريدًا ونهائيًا، وإنما يرون الحقيقة وحيًا مُستمرًا لا يُمكن لقائدٍ أو لمدرسة الانفراد بها، أما "إيدي" فرفضت العالم المادي باعتباره وهمًا وليس مجرد تابع للعقل، ونظرًا لتأثرها الشديد بنشأتها الدينية، كان العالم الروحي هو الواقع الوحيد. وثانيها: ذعر "إيدي" من "المغناطيسية الحيوانية الخبيثة" أي انتقال الأفكار السلبية من شخص لآخر مما يتسبب في إيذائه.

(3) عُرفت باسم (الصحوة الكبرى)، وهو مصطلح يُشير إلى عدة فترات من الاهتمام الروحي أو التجديد في حياة جماعة كنسية أو عدة كنائس في التاريخ الديني الأمريكي، حددها المؤرخون وعلماء الدين في ثلاث أو أربع موجات من الحماس الديني، في الفترة من القرن 18 حتى أوائل القرن 20، وقد تميزت كل موجات (الصحوة الكبرى) بعمليات إحياء المعتقدات الدينية واسعة النطاق بقيادة القساوسة البروتستانت الإنجيليين، ما أدى إلى تقوية الإيمان بفائدة الدين.

والشعور العميق لدى الفتضررين بالحاجة إلى استشعار الإثم والخلاص منه على الفور، والانضمام المتزايد للكنيسة الإنجيلية، وتشكيل الحركات الدينية والطوائف الجديدة.

(4) ظاهرة بدأت في (كاليفورنيا) في 24 يناير 1848 مع اكتشاف "جيمس مارشال" الذهب في بعض مجاري الأنهار في (كاليفورنيا)، احتفظ "جيمس" بالأمر سرًا لحين تواتيه الفرصة ويستثمر في مجال البحث عن الذهب إلا أنه سرعان ما انتشر الخبر في الصحافة وأدى لحدوث فورة هجرة إلى كاليفورنيا، حيث إن الآلاف استقلوا القطار والعربات والسفن وحتى ساروا على الأقدام من قارتي أمريكا والعالم القديم طمعًا في الحصول على ثروة سريعة. في البداية اغتنى الكثير من المنقبين، إلا أنه لم يلبث الأمر حتى سادت الصراعات وأعمال السطو وأصبح من الصعوبة الحصول على الذهب بسبب احتكار الشركات الكبيرة فضلًا عن تضاؤل كميات الذهب، انتهت حمى الذهب في عام 1855م، وأما "جيمس مارشال" الذي وجد الذهب فقد مات فقيرا معدمًا، مع ذلك كان لحمى الذهب إيجابيات كثيرة على ولاية (كاليفورنيا) إذ استقر فيها الكثير من التجار ورجال الأعمال الذين كان لهم فضل في تطويرها.



الفصل الأول
عقل الجسد ضد عقل الروح

لكل إنسانٍ نفسٌ عليا ونفسٌ دُنيا؛ نفسٌ- أو بالأحرى- عقلٌ للروح التي ظلت تنمو وتتطور منذ وقتٍ سالف، ونفسٌ للجسد الذي ما هو إلا نتاجٌ قريب العهد، تمتلئ النفس العليا بالأفكار الدافعة والصور الذهنية والطموحات؛ هذا ما تتلقاه من القوة العُليا المُسيطرة، وكل تلك الأفكار بالنسبة إلى النفس الدُنيا أو النفس (الحيوانية) هي الجموح والمثالية بعينهما، تُظهر لنا النفس العُليا قدراتٍ أعظم مما يمتلك ويتمتع بها الإنسان – رجالًا ونساء- في الوقت الحالي، بينما تزعم النفس الدُنيا أنه يُمكننا فقط أن نحيا مثلما بقي الإنسان حيًا من قبل.

النفس العُليا تشتهي التحرر من أعباء وقيود وآلام وعوائق الجسد، بينما تفترض النفس الدُنيا أننا قد خُلقنا لهم؛ خُلقنا للإصابة بالمرض والمعاناة بل علينا أن نُعاني كما عانى الكثير ممن سبقونا. تُريد النفس العُليا مقياسًا خاصًا بها للصواب والخطأ، أما النفس الدُنيا ترى أنه يجب علينا قبول مقاييس وضعها الآخرون لنا قائمةً على الآراء العامة والسالفة والمُعتقدات والانحياز.

"كن صادقًا مع نفسك"، قولٌ مأثور كثيرًا ما نردده، ولكن عن أي نفسٍ يتحدث؟ النفس العُليا أم الدُنيا؟ لديك- بشكلٍ افتراضي- نوعان من العقل؛ عقل الجسد وعقل الروح.

الروح طاقة لها نفوذٌ خاص ولُغزٌ غامض، كل ما نعرفه وما يتسنى لنا معرفته هو وجودها وتأثيرها الدائم في الأشياء المادية التي نراها ونشعر بها من خلال الحواس (الإدراك الملموس) والعديد من الأشياء غير المرئية أو الملموسة بالحواس؛ ما نراه من أي جسم، كالشجرة أو الحيوان أو الصخرة أو الإنسان هو جزءٌ من الشجرة والحيوان والصخرة والإنسان، ولكن هُنالك طاقة تربط هذه الأشياء بعضها ببعض حينًا من الوقت، لكي تظهر بالشكل الذي تراه، ودائمًا ما يتفاوت تأثير تلك الطاقة في الأشياء بدرجة أو بأُخرى، فتزهر الزهرة- على سبيل المثال- إلى كامل ريعانها

ثم يتضاءل عند توقف تأثير هذه القوة في الزهرة أو الشجرة- أو ما نسميه نحن بالذبول، إنها تُغيّر باستمرار شكل كل الأجسام التي يُطلق عليها الأجسام المُنتظمة؛ فلن تكون حالة الحيوان أو النبات أو الإنسان الجسدية هذا الشهر أو هذا العام كما هي الشهر أو العام القادم، هذه القوة المؤثرة والمتغيرة باستمرار التي تكمن وراء الأشياء وبمفهومٍ ما تُشكّل مظهر كل الأجسام هي ما نُسمّيها "الروح"، بالتالي، يُمكننا تلقيب الإدراك أو القاضي الذي يُصدر الأحكام في الحياة وعلى الأمور بـ"عقل الروح".

إننا نملك من خلال معرفة هذه القوة قدرة مُذهلة على استخدامها والسيطرة عليها عندما نُدرك مدى تأثيرها وأن سبب وجودها هو أن تجلب لنا الصحة والسعادة وراحة البال الأبدية، هذه القوة هي أساس تكويننا؛ لذلك دائمًا ما نجتذب المزيد منها ونجعلها جزءًا من كياننا، وكلما ازدادت لا بُد وأن تزداد المعرفة.

لقد كان لها تأثيرها على وجودنا المادي في بادئ الأمر دون أن نشعر به؛ فعُرفت هذه الحالة من الجهل بهذه القوة بـ "العقل المادي"، ولكن مع نمو العقل وزيادة هذه القوة صار أكثر وعيًا، تطرأ عليه تساؤلاتٍ مثل: "لماذا تأتي الحياة المادية بالكثير من الاستياء والخِذلان؟"،"لمَ يجب علينا مواجهة حقيقة أننا قد ولدنا لكي نُعاني ثم نفنى؟".

هذه التساؤلات هي نداء إفاقة من عقل الروح، بل هي استفسارٌ صريح وحاجة ماسة إلى المعرفة يجب تلبيتها في الحال، والعقل المادي جزء من ذاتك امتلكه الجسد وهذّبه. الأمر أشبه بتعليم طفلٍ أن عجلة القيادة هي التي تُحرك السفن البُخارية ولكن من دون ذكر أي معلوماتٍ عن البخار الذي هو مصدر الطاقة الحقيقي، ولأن الطفل قد نشأ في هذا الجهل، أقصى ما يمكن فعله ليبحث عن سبب توقف العجلة عن الحركة إذا توقفت هو محاولة العثور على مكانٍ لإصلاحها، تمامًا مثلما يعتمد الكثيرون الآن اعتمادا كاملًا على إصلاح الجسد المادي من أجل حركةٍ أكثر نشاطًا وصحة دون أدنى توقعٍ أن النقص يكمن في القوة المُحركة الحقيقية، ألا وهي العقل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العقل الجسدي أو العقل المادي يرى ويفكر ويصدر أحكامًا من وجهة نظرٍ مادية بالكامل؛ فهو يرى في جسدك كل شيء ذي صلةٍ بك، أما العقل الروحي يرى أن الجسد أداة العقل أو النفس الحقيقية للتعامل مع الأشياء المادية، وعند هلاك الجسد يُشير ذلك العقل المادي إلى انتهاء كل ما يتعلق بك، بينما يتبين للعقل الروحي أن هلاك الجسد ما هو إلا خروج الروح من أداة تالفة، إنه يعترف بوجودك كما كان الحال من قبل ولكن صارت رؤيتك محجوبة عن العين المادية، وأخيرًا، يرى العقل الجسدي أن مصدر قوتك الجسدية هو عضلاتك وما من مصدرٍ آخر سوى جسدك، ويرى في تلك القدرة الإقناعية- كالتي قد تمتلكها باللسان أو القلم- القوة الوحيدة التي تمتلكها للتحدث مع الآخرين وتحقيق نتائج من هذا الحديث.

أما العقل الروحي فسيعرف في الوقت المُناسب أن تفكيرك هو ما يجذب الآخرين أو ينفرهم من اهتماماتك رغم أن أجسادهم على بُعد آلاف الأميال.

لا يعدُّ العقل المادي فكره عنصرًا فعليًا- أي له وجود حقيقي- كالهواء والماء، بينما يعلم العقل الروحي أن كل فكرة من أفكاره السرية العديدة التي ينتجها يوميًا هي أمورٌ حقيقية تؤثر في عقول الأشخاص التي تستقبل هذه الأفكار، وأن المادة أو الجسد ما هو إلا وسيلة لإظهار الروح أو القوة العُليا؛ ذلك لأنه في تغير دائم طبقًا للروح التي تُشكّل أو تجسد نفسها في الصورة التي نُسمّيها "المادة"، بالتالي، إذا كانت الصحة والقوة والعافية أفكارًا عالقة في الذهن، فستُظهر هذه الأفكار نفسها على الجسد، فتخلق نُضجًا دائمًا وحيوية لامُتناهية وفطنة مُتزايدة بكل حاسة جسدية. يفترض العقل المادي أن المادة- أو ما نُدركه بحواسنا الجسدية- هي التي تُشكل الجزء الأكبر من كل ما هو موجود، بينما يعدُّ العقل الروحي المادة وجهًا أكثر فظاظةً للروح والجزء الأصغر في كل ما هو موجود بالفعل.

عندما يصيب تفكير العقل المادي هاجس الهلاك ينتابه شعور الحزن، بينما العقل الروحي لا يُبالي بالهلاك أو التحلل؛ فهو يعلم أن في هذا التحلل أو الهلاك تُفكك الروح أو القوة العُليا في كل الأشياء الجسد الميت أو الشجرة الفاسدة ببساطةٍ إلى أجزاء صغيرة لبعض الوقت ثم تُعيد بناء أجزائها كما كانت من قبل ولكن إلى شكلٍ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جديد ملموس أكثر حيوية وجمالًا.

يعتقد عقل الجسد أن حواسه الجسدية كالبصر والسمع والإحساس هي كل الحواس التي يمتلكها الإنسان، أما العقل الأسمى أو عقل الروح فيعلم أنه يمتلك حوَاس أُخرى شبيهة بهذه الحواس الجسدية- البصر والسمع- ولكنها أكثر نفوذًا وذات نطاق أوسع.

أُطلق على عقل الجسد عدة مُصطلحات: كـ "العقل المادي" و"العقل الفاني" و"العقل الجسدي"، كل هذه المُسميات تُشير إلى نفس العقل، أو بتعبيرٍ آخر: إلى ذلك الجزء الواهم الذي ثقفه وهذبه الجسد بالطريقة الخاطئة، على سبيل المثال: إذا كنت قد ولدت ونشأت وسط الأشخاص الذين كانوا يعتقدون أن الأرض سطحًا مستويًا لا تدور حول الشمس، فستعتقد ذلك مثلهم في السنوات الأولى من نموك الجسدي، بهذه الطريقة تمامًا في سنواتك الأولى تستغرقك أفكار ومُعتقدات من هم مقربون إليك، الذين يعتقدون أن الجسد هو كل ما يوجد منهم ويدركون كل شيء من خلال تفسيره المادي لهم، هذا ما يخلق عقلك المادي.

يرى العقل المادي فقط ما يبدو له: الهاوية والفناء والهلاك لكل نظام بشري، غافلًا حقيقة أن النفس الحقيقية والفكر قد تخلصا في ذلك الموت الظاهري من غلَاف قديمٍ رثٌ، مُعتقدًا أن الموت والفناء هو نهاية مطاف البشرية بأسرها؛ لهذا السبب لا يمكنه نبذ شعور الكآبة أو الحزن الناتج عن هذه الفكرة الخاطئة الذي يسود الآن الكثير من جوانب الحياة البشرية في الوقت الحاضر، وأي ردة فعلٍ أو تصرفٍ ناجم عن هذا الشعور بالكآبة الذي تولّد من اليأس هو نابعٌ من روح هوجاء تسعى إلى الحصول على أكبر قدرٍ من الإشباع واللذة ما دام الجسد الحالي باقيًا من دون أخذ الصواب والصلاح بعين الاعتبار، هذا خطأ فادح؛ فكل المُتعة واللذة التي تتحقق للمرء لا تدوم، بل تجلب إلى جانب هذه السعادة الزائفة أضعافًا مُضاعفة من التعاسة والخِذلان.

يُرشدنا العقل الروحي إلى أن شعور اللذة هو الهدف الأعظم للوجود، ولكن في

الوقت ذاته يُرشدنا إلى سُبلٍ ووسائل أخرى ننال بها سعادةً دائمة غير تلك التي تأتي من تعاليم العقل المادي، ويُعلمنا العقل الروحي- أو العقل المُتطرق لقدراتٍ أسمى وأحدث في الحياة- أنه ثمة قانون يُنظم استخدام كل حاسة جسدية، عندما نتعلم ونتبع هذا القانون فلن ينتهي الأمر بملذاتنا ومُمتلكاتنا أن تُصبح مصدرًا للألم- كما يحدث مع الكثيرين- أكثر من أن تُصبح مصدرًا للسعادة.

يُقصد بـ "العقل الروحي" في هذا النص أنه رؤية ذهنية أوضح للأشياء والقوى التي تكمن بداخلنا ورؤية للكون كان الجنس البشري على جهل تام بجزء كبير منها، والآن لا نملك سوى لمحة عن هذه القوى، بعضٌ منها ذو لمحة أوضح نسبيًا من الآخر، ولكن ظهر ما يكفي من لمحات لإقناع بعض الناس أن المُسببات الحقيقية والراهنة لاضطراب البشرية وحزنها وخيبة أملها لم تُرَ في الماضي قط، بعبارةٍ أخرى، الجنس البشري كالأطفال؛ يظن أن الطحان هو من يحرك ويدير أذرع الطاحون لأن هُنالك من أخبره بذلك، وبتلقيه هذه المعلومة نشأ على جهلٍ تام بأن الهواء هو القوة الدافعة الفعلية لا الطحان، هذا التصوير ليس تصويرًا مبالغًا في تشبيهه على الإطلاق بالجهل الحالي الذي يرفض أن الفكر جزءٌ أساسي يتعلق بنا وعنصرٌ عميم كالهواء الذي يحيطنا، ولكن بعض الأشخاص أو جمع من الأشخاص يحركونه بصورةٍ عشوائية في سياق العقل المادي أو تحت تأثير الجهل، يحركون به أذرع الطاحون تارة في اتجاه وتارة في اتجاه آخر، حينًا يأتيهم بنتائج جيدة وحينًا بعواقب وخيمة.

الرداء الذي يكسو الجسد ما هو إلا جزءٌ قابلٌ للانفصال عنه، رَغم ذلك كثيرًا ما يُفكر العقل المادي ويُمنطق الأشياء على غير هذا المنوال؛ لا يعترف بوجود "رداءٍ" للروح، وذلك لأنه لا يُدرك أن الجسد والروح شيئان منفصلان، فيأتي بفكرة أن الرداء (الجسد) هو كل ما له وجود من الإنسان، فيرى فقط انهيار "الرداء" الذي يحتوي الجسد عندما ينهار صاحبه ويعجز عن السيطرة على نفسه، ويبدد كل جهوده التي يبذلها لجعل الإنسان أكثر قوة على الغطاء الخارجي، بدلًا من تعزيز القوة الكامنة في داخله التي صنعت هذا الرداء الخارجي. ربما لا يوجد شخصان متطابقان تمامًا فيما يخص الحالات النسبية أو الأثر الذي يتركه فيهما كلٌ من العقل المادي والعقل

الروحي، فالعقل الروحي يبدو أنه لم يستيقظ بعد عند بعض الأشخاص، وبدأ عند آخرين في التمدد وفرك أعينه مثلما يفعل الإنسان في استيقاظه الجسدي- عندما لا يزال كل شيء يبدو ضبابيًا وغير واضح - وفي كامل يقظته عند بعض الأشخاص الآخرين، هؤلاء الأشخاص يشعرون بدرجة أكبر أو أقل أن هنالك قوىً تخصهم لم ينتبهوا لها من قبل، بذلك من المتوقع أن يصبح الصراع على السيطرة بين العقل المادي والعقل الروحي أشد عنفًا، ومن المرجح أن يصحب هذا الصراع اضطراب جسدي أو ألم أو مشقة لبعض الوقت.

يظل العقل المادي في حرب مستمرة مع العقل الروحي، إلى أن ينهزم ويتم إقناعه بالحقائق. ويكره الجانب الجاهل في شخصك كثيرًا التخلي عن عاداته المألوفة منذ وقتٍ طويل في التفكير، غير أن الأمر يتكلف في بدايته على أية حال جهدًا كبيرًا لكي نعترف بأننا كُنا مخطئين وأن نتخلى عن آراء لطالما تشبثنا بها.

يريد العقل المادي تغيير نمط الحياة والفكر الرتيب الذي لطالما كان عالقًا فيه، كما كان يفعل دائمًا، وكما يفعل الآلاف في الوقت الحالي، بيد أنه يكره التغيير كلما ازداد شمك القشرة التي تحيط به: قشرة الفكر القديم الذي ظل مُتمسكًا به بمرور السنين، فيرغب في أن يظل مُقيمًا باستمرارٍ في المنزل الذي سكنه منذ سنوات وأن يرتدي أزياءً بصيحة الماضي، وأن يؤدي عمله ثم يعود إلى المنزل في نفس الساعة تمامًا عامًا بعد عام. إنه ينبذ بل ويحتقر بعد عمرٍ مُعين فكرة تعلم مَهارة جديدة كالرسم أو الموسيقى التي من أهم وظائفها إمتاع الذهن واسترخائه وأنها تمنحك اطلاعًا واسعًا بالعالم والوجود، كل ذلك فضلًا عن السرور الشديد الذي يملؤك عندما يُعلّمُ العقل أو الروح الجسد مهاراتٍ وخبراتٍ أكثر بالعمل الإبداعي الذي تُمارسه، يرى العقل المادي أن الأهمية الأساسية من أي فنٍّ أو عمل إبداعي هي أنه وسيلة لكسب المال وليس أن هذا العمل الإبداعي هو وسيلة لزوال الملل وجعل الحياة أكثر تشويقًا وإنعاش ذلك الجانب من الذهن المُخصص للأعمال الأخرى وتحسين صحة الذهن والجسد وزيادة نشاطهما، فيتمسك بفكرة كونه "أكبر سنًا من أن يتعلم".

هذا هو لسان حال العديد من الأشخاص الذين قد بلغوا أو تجاوزوا "منتصف

CamScanner المسوحة ضوئيا بـ

العمر" ويرغبون في "الاستقرار"؛ يقبلون "كِبَر السن" أمرًا حتميًا، فتخبرهم عقولهم المادية أن أجسادهم لا بُد وأن تضعف بصورةٍ تدريجية ثم يتناقص الحماس والحيوية والسمات التي تُميز الشباب ثم تتحلل ثم في النهاية تموت. تقول العقول المادية إنه هكذا كانت تسير الأمور سابقًا وبالتالي يجب أن تسير كذلك لاحقًا، فيتقبل أصحاب هذه العقول الفكرة بالكامل ويقولون بصورة لاشعورية تمامًا: "لا بُد ولا مهرب من ذلك".

تكمن قوة الأشياء في حتمية حدوثها؛ أي أن تقول إن شيئًا لا بُد أن يحدث هو القوة ذاتها التي تُحدثه، بالتالي يرى العقل المادي أن الجسد سوف يتحلل تدريجيًا ولا مفر من ذلك رغم أنه يكره تصور هذه الفكرة ويحاول نبذها قدر المُستطاع، ولكنها ستعاود الذهن ما بَينَ آنٍ وآخَر عندما يخطر ببال أصحاب هذه العقول المادية وفاة أقرانهم فيُذكرهم بها، عندما تُراود هذه الصورة الذهن يخطر ببالهم أنه "يجب" حدوث ذلك، بالتالي ستؤدي حتمًا هذه الحالة الذهنية التي قد حددتها كلمة "يجب" إلى تحلل الصورة الجسدية داخل العقل.

في المُقابل، يقول العقل الروحي أو العقل الأكثر ثقافةً واستنارة: "إذا كان بوسعك إبعاد المرض والاضطراب فوجِّه فكرك قدر المُستطاع نحو الحيوية والقوة والنشاط والأشياء المادية من حولك التي تزخر بالحيوية والقوة والنشاط، كالسُحُب المُتنقلة والنسيم العليل والشلال المتدفق وأمواج المُحيط، ومنظر الغابات والأشجار المُتنامية والطيور النابضة بالحياة والحراك، لأنك بذلك تضع لنفسك مسارًا حقيقيًا أو تُرسخ في ذهنك هذا الفكر الصحي الواهب للحياة الذي جلبه وأظهره إليك التفكير في أشياء مادية مُزدهرة وجديرة بالملاحظة كهذه، والأهم من ذلك كله، حاول الاعتماد والوثوق بتلك القوة العُليا التي كونت هذه الأشياء كلها وأكثر من ذلك بكثير، وهو الجانب الذي لا ينضب من نفسك العُليا وعقلك الروحي، فكلما ازداد إيمانك بتلك القوة ازدادت قوتك الخاصة بك".

فكان رد العقل المادي المُتطرف: "هُراء! إذا مَرِض جسدي فيجب فعل شيءٍ لعلاج هذا الجسد بأشياء يمكنني رؤيتها والشعور بها، هذا هو كل ما يجب فعله، أما عن

المسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التفكير فلا فرق بين التفكير في أن أكون مريضًا أو مُعافًا". في الوقت الحاضر وفي حالة كهذه، سيسمح العقل- الذي بدأ للتو في إيقاظ إحساسه بهذه الحقائق الجديدة عليه- لعقله المادي أو الجانب الجاهل منه أن يتغلب عليه ويسخر من تلك الفكرة لبعض الوقت، وأغلب الظن ستؤيده في تلك العقول المادية الأخرى التي لم تستيقظ بعد لهذه الحقائق والتي تظن – لفترة مؤقتة- أنها الأقوى حُجةً لما هي عليه من جهلٍ مُركّب.

إن هذه العقول المادية كالأشخاص الذين لا يستطيعون رؤية مَدى أبعد مما يستطيع المرء رؤيته من خلال المنظار وربما هم مُحِقون تمامًا في عدم تصديقهم لما يراه الشخص الذي ينظر من خلال المنظار، على الرغم من أن هؤلاء الأشخاص لا يُجادلون ولا يُعارضون على الإطلاق مُعتقد العقل المُستيقظ بعض الشيء، إلا أن أفكارهم لا تزال كالستار أو العائق الذي يحجب رؤية هذا العقل عن هذه اللمحات من الحقيقة، أما العقل الروحي منذ أن بدأ في الاستيقاظ قبلًا لم يُعيقه شيءٌ عن استيقاظه بدرجةٍ أكبر ولو أن العقل المادي قد يعيقه لبعض الوقت.

يقول العقل الروحي: "قد لا تكون نفسك الحقيقية حيث يوجد جسدك في بعض الأوقات، بل حيث يوجد عقلك، أيًا ما كان المكان – في المتجر أو المكتب أو المشغل أو برفقة شخص ترتبط به ارتباطًا وثيقًا - وقد تكون كل هذه الأشياء في بلدات أو مدن بعيدة عن تلك التي يقيم فيها جسدك، إن نفسك الحقيقية تتحرك كما يتحرك فكرك بسرعة لا تُصدق"

ليجيبه العقل المادي، بتعجرفٍ وغرور: "كلامٌ فارغ! إنني حيث وجد جسدي، وليس في أي مكانٍ آخر"

هُنالك العديد من الآراء أو الأفكار التي ترفضها باعتبارها حالمة أو باعتبارها فكرة اعتباطية أو من نسج الخيال؛ هذه الأفكار تأتي بدَفعةٍ من عقلك الروحي وما يرفضها وَينبذها هو عقلك المادي، ما من فكرة من تلك الأفكار تخطر في ذهنك دون أن تحمل في طياتها حقيقة ما ولكن باتباع هذه الحقيقة قد لا نتمكن من تحقيق الكمال الذي

يتسم بالنسبية والتغير على الفور؛ فربما اكتشف عقلٌ ما فائدة البخار كقوةٍ مُحرِّكة قبل مائتي عام، غير أن هذه القوة العُليا كان من الممكن ألا تُستغل حينئذٍ بالصورة التي تُستغل بها اليوم؛ ففي السابق كان هنالك تطوراتٌ مُحددة وضرورية يجب التركيز عليها؛ تطور وتقدم في صناعة الحديد وشق الطرق واحتياجات الإنسان، ولكن الفكرة كانت حقيقة تمسكت بها عقولٌ كثيرة وأظهرت البخار في صورته الحالية والكاملة نسبيًا كقوةٍ مُحركة، صارعت وتغلبت على كل عقبةٍ وُضِعت في طريقها وكل نقاشٍ كان يدور بين العقول المادية الباهتة والمُتثاقلة.

عندما تخطر في ذهنك أي فكرة وتقول لنفسك ضمنًا: "حسنًا، قد يحدث شيءٌ كهذا وإن كنت لا أستطيع رؤيته الآن"، فإنك بذلك تُزيل بنفسك حاجزًا كبيرًا بينك وبين إدراكك واستغلالك لقدراتٍ نادرة مُخبأة لك.

أما الآن، يرى العقل الروحي أن تقبله واتصاله بنفسه هو في حد ذاته قوة تُمكنه من تحقيق كافة النتائج في العالم المادي، أكبر مما يتخيل جموع البشر، إنه يرى فيما يتعلق بإمكانات الحياة أننا لا نزال في جهلٍ شديد بها، ولكنه مع ذلك يرى بعض الأشياء، تحديدًا: الصحة السليمة، والتحرر من الانحلال والضعف وموت الجسد، وقوة ونفوذ العبور أو تغيير الكيان الروحي عند الموت، والرحيل عن الجسد ومراقبته المُستقلة عنه، وطرق الحصول على المُتطلبات المادية المرغوبة بالسلوك وبفعل العقل الصامت(5) أو الفِكر، سواء أكان ذلك مُنفردًا أم بالمُشاركة مع الآخرين.

إن الحالة التي ينشدها العقل هي هيمنة العقل الروحي الكاملة، ولكن الهيمنة هنا لا تحمل أي مَعنى لِلسَّيطَرَةِ الاستبدادية من العقل الروحي على العقل المادي، بل تعني بصورة غير مُباشرة أن العقل المادي سيتنحى جانبًا ويتخلى عن مقاومته الشديدة ورفضه التام لكل ما يُلقيه عليه العقل الروحي، وتعني أن الجسد سيصبح خادمًا مُطيعًا -بالأحرى معاونًا للروح- وتعني أن العقل المادي لن يُجاهد للتظاهر بأنه الأرقى وهو في حقيقة الأمر الأدنى، وتعني هذه الحالة التي يُلبي فيها الجسد كل رغبات العقل الروحي عن طواعيةٍ وبكل سرور. فتكتسب روحك كل القوة من

دون الحاجة لبذل أي جهد لمقاومة نُشوز وتمرد العقل المادي، وسيُستثمر هذا الجهد للقيام بمهام أخرى، واقتناء منافع مادية والارتقاء بنا أكثر فأكثر إلى عوالم من القوة والسلام والسعادة، ولتحقيق ما يمكن أن نعتبره اليوم مُعجزات.

لن يتسنى للعقل الروحي أن يستدرج العقل أو الجسد المادي وأن يتحد معهما إذا اقترن بالتوبيخ القاسي للذات أو إنكارها أو مُعاقبتها على الخطايا التي ارتكبتها، ولا بالزُهدِ والتنسك، لن يؤدي ذلك إلا إلى أن يجعلك أكثر قسوةً وأشد حدةً وتعصبًا وعُنفًا سواء أكان ذلك على نفسك أم الآخرين، فمن ذلك التشويه للحقيقة ظهرت مُصطلحاتٌ مثل "صَلب الجسد"- أي تعذيبه- و"إخضاع العقل الأدنى أو العقل الحيواني"، ومن ذلك التشويه أيضًا ظهور فئةٍ من أشخاص يتوجهون بأفكارهم إلى تطرفٍ آخر ويسعون إلى القداسة بإنكار الذات والتكفير عن الذنب. "القداسة" توحي بالمثالية أو تأثير الروح المثالي في الجسد أو سيطرة روحك التامة على الجسد بالعلم والإيمان بقدراتنا على الاستفادة أكثر وأكثر من تلك القوة العُليا المُسيطرة بداخلنا.

لن يُجدي جزعك من نفسك الناجم عن ضراوة تفكير العقل المادي وزلاتك ووقوعك المُتكرر في الأخطاء ونقاط ضعفك والمُغريات المُحيطة بك في أوقات الضيق أو المزاج السيئ أو إطلاق العنان لأي توجه - بأي نفع، بل لن يعود ذلك إلا بالضرر على نفسك من خلال الإساءة أو التفكير المسيء لذاتك. لا يصح أن تدعو نفسك بـ "المُذنب الكريه" مثلما لا يصح أن تدعو شخصًا آخر بـ "المُذنب الكريه"؛ فإنك بذلك تُبرز هذه الفكرة- فكرة أنك "مُذنب كريه"- وتجعل منها حقيقةً تعتقد بها لبعض الوقت، إذا كنت تُرسخ داخل بصيرتك – أو رؤيتك الذهنية- أنك "سيئ للغاية" و "مُذنبٌ كريه"، فإنك بذلك تجعل- دون وعي- من هذه الفكرة غايتك، وستنمو في داخلك لَاشعُوريًا إلى أن يُعطل الألم والمكروه الناجم عن هذا النمو غير الصحي حركتك وتقدمك ويدمر جسدك، فمن هذه الحالة الذهنية التي طبعها الماضي في الذهن على مدار السنين ينبثق التشدد والرجعية وعدم الرفق بالآخرين والنظرة القاسية والمُتزمتة والمُعتمة للحياة، وبالطبع ستجلب هذه الحالات العقلية المرض

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجسدي.

لذلك، عندما يُكبح العقل المادي، أو بعبارةٍ أخرى، نُصبح على يقين تامٍّ بوجود هذه القوى الروحية داخل أنفسنا أو خارجها، وعندما نعلم كيف نستخدمها بشكلٍ صحيح (لأننا نستخدمها في الوقت الحاضر بطريقةٍ أو بأخرى، ولطالما كان استخدامنا لها كذلك)، ثم نتّبع كلمة بولس الرسول: "ابتلع الإيمان إلى غلبة"(6) ويزول القلق والخوف من الموت، ستُصبح الحياة خطوة مهيبةً إلى الأمام تخطوها من لذة ومتعة اليوم إلى لذة ومتعة أعظم في الغد، وعبارة "البقاء على قيد الحياة" سترادف فقط كلمة "الاستمتاع".

---

(5) القدرة على إسكات العقل، أي التفكير عند الحاجة إلى التفكير والحفاظ على هدوء العقل عند عدم وجود ما يدعو للتفكير.

(6) العبارة الأصلية في العهد الجديد: "ابتلع الموت إلى غلبة"، وتعني: متى قامت أجسادنا مُتمتعة بخصائص الخلود والحياة الأبدية، وتحول الجسد من جسد فاسد إلى جسد غير قابل للفساد، لن يعود للموت شلطان علينا ويتحقق كل ما سبق، ويُقصد بذلك وقت قيامة يسوع المسيح؛ كذلك الإيمان بمعتقدات العقل المادي الخاطئة، إذ يقصد الكاتب أنه بالتخلي عن هذه المعتقدات التي تترسخ في الذهن نتيجة لفكر العقل المادي وسلطتها ستأتي السعادة ويزول الكرب.

المسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثاني

من هم أقرانُنا؟

قد لا يكون الشخص - رجلًا كان أو امرأةً - الذي تتشابه أذواقه ودوافعه وعاداته في الفكر مع أذواقك ودوافعك وعاداتك في الفِكر، وتشعر بانجذاب نحوه أخًا أو أختًا أو من أبناء عمومتك أو بينكما أي قرابةٍ، ولكنه شخصٌ قريبٌ جدًا منك، قد لا يتماثل إدراكك وذوقك ونزعاتك وإدراك وذوق ونزعات إخوتك وأخواتك بأي حالٍ، ربما كان سبب مُرافقتك لهم هو لأنهم فقط أفرادٌ من العائلة، ولكن إن لم تربطك أي أخُوّة أو قرابة عائلية بهم ورأيت في مكان آخر أشخاصًا يشبهونهم تمامًا من حيث الصفات الشخصية، فربما لن تستحسن هؤلاء الأشخاص مُطلقًا.

ليس للعلاقة الجسدية أو "صلة الدم" تأثير كبير في العلاقة الحقيقية أو الذهنية؛ فمن الممكن أن يتوافق شعورك وأفكارك توافقًا كبيرًا مع الشقيق أو الشقيقة أو الأب أو الأم، في المُقابل، من الممكن أن يتنافر الفكر والعاطفة بينك وبين الأب أو الأم أو الشقيق أو الشقيقة تنافرًا شديدًا، وأن يعيشوا في عالمٍ أو هالةٍ مُميزةٍ من التفكير تختلف تمامًا عن هالة تفكيرك.

إذًا، لن يتسنى لك العيش بصحة جيدة وارتياحٍ إلا مع أولئك الذين تتشابه هالة تفكيرهم (التي تنبعث منهم بمعنًى غير مجازي) مع هالة تفكيرك، وقد تنشأ أو لا تنشأ العلاقة الجسدية في هالة الفكر هذه؛ فإذا أجبرت رجلًا كادحًا لا يتعدى تفكيره كسب قوته ونطاق عمله اليومي أن يعيش وسط مجموعةٍ من الفنانين والفلاسفة من دون سواه ومن دون أن يلتقي بمن يتبعون أسلوب حياته وفِكره ذاته، ستنخفض حالة هذا الرجل المعنوية بمرور الوقت وتتدهور صحته.

كذلك تنطبق القاعدة ذاتها على النفس العُليا عندما تُرغَم على الاتصال المستمر بالنفس الدنيا وقد يكون هذا هو موقفك بين الأقارب الحقيقيين؛ إن الأبناء يعيشون وينشئون ويبتهجون من هالة التفكير المُنبعثة من رُفقائهم في اللعب، اقطع هذا الاتصال وسيفتر حماسهم وينضب، ولقد صدق الأمر عليك كذلك؛ عشت في طفولتك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذه الظروف، أي أنك عشت حالةً من ارتباط الطفولة الروحي تلقيت فيها غذاءً ناجعًا من الفكر الفرِح، ومنحته أيضًا لرفقائك في اللعب، ولعلك تتساءل الآن لماذا لا يمكنك إيقاظ هذا الشعور القديم والبهجة النابعة من زُفقات الطفولة أو الشباب؛ ذلك لأن روحك تشتهي غذاءً آخر من الأفكار أو البيئة المُحيطة والذي ما من شيءٍ يمكنه الإتيان به سوى عقل آخر وفي الغالب عقلٌ على مُستوًى أعلى من الفكر، بمجرد أن يتم إشباع الروح بهذه البيئة المُحيطة، يمر الوقت بسرعةٍ وسعادةٍ مِثلَما مر قديمًا مع رفقائك في الصغر.

أولئك القادرون على خلق هذه الحالة هم أقرَانك الحقيقيون، ولكن لن تتحقق هذه العلاقة ما لم يكن بإمكانك خلق هذه الحالة لهم بنفس طبيعة الفكر في المُقابل؛ لهذا السبب الأقران الحقيقيون أو الروحيون للعديد من التجار أو مُصلحي الماكينات أو أيٍّ من أصحاب الحرف الأخرى هم زملاؤهم التجار ومُصلحو الماكينات أو أولئك الذين يمتهنون مِهَنًا مُتماثلة، ويتضح ذلك من أسلوب حياتهم؛ فهم يشعرون بالألفة وكأنهم في منازلهم مع من يمتهنون مهنتهم أكثر من بقائهم في الأماكن التي قد يسمونها بـ "المنزل" حيث يمكثون لتناول الطعام والنوم وقضاء يوم أحدٍ شاقٍّ في كثير من الأحيان ويتوقون إلى مجيء يوم الاثنين ليعودوا إلى حياتهم السارة التي تُحسن استقبالهم والحفاوة بهم في متاجرهم ومقصوراتهم في الأسواق بين أقرانهم الحقيقيين، فتوقظ هذه الحالة من التخاطر الفكري التي خلقها هؤلاء الأقرباء حماسهم وينقادون لها، وبدورهم يحيطونهم بالحالة ذاتها.

يجب أن يرتبط كل مُستوًى للعقل وكل طبيعةٍ للفكر بمستوى مُماثلٍ للعقل وطبيعة مُماثلةٍ للفكر وإلا سيُعاني، وليس لـ "صلة الدم" علاقة تُذكر بذلك المُستوى من الفكر، هُنالك قدر هائل من الاستبداد اللاواعي يُمارس في العلاقات الملموسة؛ فغالبًا ما يضع الأبناء عندما يكبرون في أذهانهم الوالدين في إطارٍ أو أسلوب للحياة ليس بالضرورة أن يصبح الانتماء لهذا الإطار من اهتماماتهم أو يصلح لهم، فتدور الأفكار- التي قلما يُفصح عنها – في جوهرها كالتالي: "الأم قد بلغت من العمر أرذله إذًا لا يُمكنها ارتداء مَلابس ذات ألوان زاهية، يجب أن ترتدي ملابس أكثر هدوءًا"، "من

المسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السخافة أن تتزوج الأم (إذا كانت أرملة) مرة أخرى"، وأحيانًا ما يكون لأسباب مادية تمامًا دخلٌ بذلك الشعور، "لا تُريد الأم – بالطبع- أن تُشاركنا حياتنا الأكثر مرحًا، حتى تتمكن من البقاء في المنزل ورعاية الأبناء" أو "لقد حان وقت تقاعد الأب عن العمل" أو "انطباع الأب عن الزواج مرة أُخرى مُثيرٌ للسخرية".

ما من قوةٍ – يكتسبها شخص ما- أكثر دقةً في تأثيرها ولا أكثر نفوذًا في الإتيان بنتيجةٍ مُرضيةٍ أو غير مُرضيةٍ من النتاج الثابت الذي يصدر عن تفكير عقلٍ واحد أو عدة عقول مُجتمِعة من أجل أن يُثمر عن ذلك نتيجة مرجوة، وستؤدي هذه القوة إلى هذه النتيجة سواء أكان ذلك قد تم بذكاءٍ أم بوعيٍ أم بعشوائية.

هذا المجرى المُتتالي من هذا النوع من الأفكار الذي يصدر ربما من ثلاثة أو أربعة عقول، وكان لـ "الأم" دور فعال في خلق آراءٍ جديدةٍ تستهدفها داخلهم باستمرار، هو قوةٌ شديدة النفوذ للسيطرة عليها ووضعها حيث يرى الأبناء مُلائمًا لها، ويتوالى تدفق هذا التيار المُتبع من الفكر تأييدًا لهذه الآراء، كأن تقول "الأم" هذا الشعور الذي لا يُقال: "بالطبع لا بُد أن أتقدم في العمر وأن أعتزل تدريجيًا الحياة الأكثر مرحًا ونشاطًا وأن ألتزم برعاية الأسرة لكي أنضم إلى الآباء المُهمَلين الآخرين، ولكي أكون أمًا صالحة كالمُمرضة في أوقات المرض أو أيّ ما يطرأ على العائلة بسوء" لذلك تمتنع العديد من الأمهات عن التمتع بأي امتيازات كأفراد مُستقلين بسبب ما يدور في هذه العقول عن "الأم"، ويلبين في النهاية رغبات أبنائهن.

من المُمكن أن يُقال هنا: "ولكن، ألا يجب عليّ اللجوء إلى والدتي أو أيّ من أقربائي المقربين بكل ما يُثقل كاهلي من هموم ومكروه كما اعتدت من قبل؟ أليس هؤلاء هم عائلتي التي تُساندني قبل الآخرين وقت الحاجة؟" بالتأكيد! ولكن في حالة سرور وتلهف الأم أو الأقرباء بالقيام بذلك، بالتأكيد! إذا كانت هذه المُساندة صادرة عن القلب تمامًا، دون أن تدفعها المشاعر التي تتخذ أحيانًا هذا الشكل من التعبير الخفي: "أظن أنني يجب عليّ تقديم العون لأنه أخي، أو لأنه ولدي، أو لأي قريب يلتمس مساندتنا".

أي نوعٍ من الالتماس هذا؟! في هذه الحالات يُطالب بتقديم العديد والعديد من هذه المُساعدات – كحقٌ مُكتسب- من دون وعي، بدلًا من التماسها، وللمطلوب منه حرية الاختيار بالقبول أو بالرفض، فتتراكم الأعباء على الأقارب لمجرد أنهم أقارب؛ فتُنتزع- بطريقة أو بأخرى- صكوك الأموال (الإحسان المادي) بحجة تعاطف الأقرباء، الدعم والغذاء والمأوى، كلها أشيَاء مُتوقعٌ تقديمها من الأقرباء حينما لا يمكن الحصول عليها من مكانٍ أو شخصٍ آخر. الاحتفاء مُتوقعٌ مِن الأقرباء ولكن عند توقع الاحتفاء يأتي الترحيب والأُنس بعد المُطالبة به، والهدايا مُتوقعٌ تقديمها من الأقرباء ولكن عند توقع تقديم الهدية يُصبح بذلك شكلٌ من أشكال الابتزاز.

الهدية الحقيقية هي المُفاجآت؛ لا أحد يترقب المُفاجأة لأن الترقب يُفسد المُفاجأة، فمثالًا لذلك عندما يزور – بل "يخيم"- أشخاصٌ عند أقاربهم لمجرد أنهم أقرباء يَعُم قدرٌ كبير من الشعور الخفي بالتذمر والمُشاحنات عندما يستخدم الأقارب منازل بعضهم بعضًا توفيرًا لفواتير الفنادق.

ليس هناك من خير حقيقي أو دائم يأتي من عطاءٍ يُمنح لشخصٍ آخر ما لم يُمنح بخالص الود، وما لم يكن منح هذا العطاء بالنسبة إلى المُعطي هو المُتعة بعينها، فثمة شيء آخر يُرافق العطاء المادي والغذاء والمأوى وإقراض المال أكثر أهمية من شكل العطاء رغم عدم مرئيته وجهل الكثير به، ذلك "الشيء الآخر" هو الشعور الذي يُرافق البذل وذلك لأن هذا الشعور يؤثر -تأثيرًا إيجابيًا أو سلبيًا- في المُتلقي، فحتى إذا أقرضت شخصًا بحاجة إلى الأموال في حدود إمكاناتك المادية، ستقرضه القليل من الأموال، ولكن الشعور الذي يُصاحب الإقراض ليس فقط الرغبة الصادقة لمساعدة هذا الشخص بل إنك تشعر بإحساس شديد بالمتعة في العطاء، مما يترك شعورًا طيبًا في نفس هذا الشخص لن يُفارق وجدانه أبدًا، وستحسن إليه دائمًا بالتناسب مع طبيعة وقوة ونفوذ شعورك.

بالتالي فإنك تُقدم ما هو أكثر من سد حاجتهم المادية؛ ألا وهو أنك تُلبي لهم قدرًا معينًا من الاحتياج الروحي. إن رغبتك في أن تزدهر قوتهم لكي تمنحهم فُرصة العيش فوق مستوى الفقر ونيل خيرات هذه الحياة (لأن جميعنا سنناله ولا بُد من

ذلك عندما نبلغ درجةً مُحددةً من القوة الروحية) هي خير عونٍ لهم في الوقت المُناسب لاكتساب هذه القوة، فلقد بعثت وبذرت فيهم بذرة الشعور التي ستترسخ ثم تؤتي ثمارها بعد حينٍ من الوقت في كيانهم الحقيقي أو الروحي.

أما إذا أعطيت مُتذمرًا أو تحت أي نوع من الإكراه، إذا قدمت طعامًا أو مأوى أو ملبسًا أو مالًا أو أي شيء فقط لأن الظروف تُجبرك على ذلك أو لأن الناس قد يتحدثون عنك بسوءٍ لعدم عطائك، أو لأن من يحيطونك من أشخاصٍ يُقدمون العطاء أيضًا، فلن يُجدي عطاؤك بالكثير من النفع أيًا كان الشخص الذي منحته، سواء أكانت الأم أم الأب أو الشقيق أو الشقيقة أو الابن أو الابنة، إنك بذلك تسد حاجة جسدية لبعض الوقت فقط؛ بإمكانك إطعام الجسد وإيوائه وتزويده بالملابس، ولكنك لا تُطعم الروح التي تقود هذا الجسد بشكلٍ صحيح- وليس بإمكانك فعل ذلك أيضًا- إذا لم يكن تقديم هذه العطايا عن طيب خاطر وسرورٍ نابعٍ من القلب بسد حاجة هذا الجسد. إن شعور الامتعاض الذي يصحب العطاء والإحساس السائد الذي ينتاب مُتلقي العطاء (مهما بلغت العلاقة من قوة) بالعبء لا الاستمتاع، والمشاعر التي تصحب الإحسان إلى أي شخصٍ أو أحد الأقرباء والدافع الأساسي لذلك هو مخافة الآراء السلبية أو إلحاح الشخص المحتاج _ إساءةٌ معنوية كبيرة لكلٍّ من المانح والآخذ. لأن فعل الإفضال على الشخص الذي يتلقى فيه سيلًا من المشاعر مُسيءٌ في أثره ونتيجته، إذ يواجه المانح ردة فعلٍ من جنس المشاعر التي يُظهرها وهذا أيضًا أمرٌ مَعيب، فإذا تلقيت من أحد الأشخاص منحة بأي شكل من أشكال الإكراه منك فسيصبح شعورك تجاه المانح ليس شعور الامتنان الدافئ المتوهج بالعاطفة، بل شيء غير ذلك تمامًا.

عندما أثنى يسوع المسيح على الأرملة المسكينة التي ألقت فلسها في الخزانة (قربانًا للرب) كان السبب في ذلك - بتقديرنا ومن وجهة نظرٍ أخرى - ليس فقط لأنها قد بذلت بما يتناسب مع مواردها المادية وإنما لأنه أبصر هذا الشعور: (شعور الرغبة في المُساعدة كيفما كانت الوسيلة) الذي رافق هذا الفلس وكان أكثر إخلاصًا وصدقًا مما ألقاه الأثرياء من مبالغ كبيرة، ولكنهم ألقوا معه أيضًا شعوزا ودافعًا

أقل للمساعدة، ورأى أيضًا أن اهتمام المرأة في الواقع يُساعد أكثر بكثير من اهتمام الآخرين لأنه أكثر نقاءً لا يحركه دافعٌ آخر، بالتالي فهو اهتمام أقوى بكثير.

قد يتساءل بعض الأشخاص: "أليس هو من واجبي إطعام وتزويد أحد الأقرباء المقربين أو أحد الوالدين بالملابس والمأوى وإعالتهم إذا كانوا عاجزين أو في شيخوختهم؟" إن المُساعدة النابعة من "الشعور بالواجب" سواء أكان ذلك بتقديم العون لِشخص ما أم برعاية مريضٍ وقت مرضه لا تعني أنه قد قُدِّم بدافع الود لهذا الشخص أو حُب المُساعدة ذاتها، فأحيانًا يتم ذلك دونما تفكير أو بنفورٍ من الفعلِ، إنه في بعض الأحيان أداءٌ قسريٌ وشاق؛ لهذا السبب لا يتم فعل الكثير من الخير، فإذا أُشبع الاحتياج الجسدي لبعض الوقت فالاحتياج الروحي لم يُشبع، وإذا لم يتم غذاء الجانب الروحي من طبيعتنا فلن نحظى بالسكينة الأبدية كما لن يسلم الجانب المادي.

كثيرًا ما تعاني نفوس الآباء والأمهات المُسنين الذين يعولهم أبناؤهم جرح المشاعر والحرمان لشعور أبنائهم بالالتزام تجاههم فحسب؛ يعانون جرح المشاعر لشعورهم بأنهم أعباءٌ ثقيلة على أكتاف أبنائهم، ويعانون الحرمان لغياب مشاعر الود التي تأتي مع أي عطاء أو إحسان يُقدمه لهم الأبناء، والأطفال – من جهةٍ أخرى- الذين أقبلوا إلى هذا العالم حديثًا ولم يحظوا بترحيبٍ من والديهم ثم يربيانهم ويرعيانهم فقط لأن العادات والتقاليد والرأي العام يحتمونَ على هذين الوالدين إعالتهم؛ هم الأكثر تعاسة وأكثر من يُعانون مفسدة الروح وتعطشها؛ المودة الصادقة والصادرة من القلب هي عطاءُ الحياة بكل ما تحمله الكلمة من معنى، إن يجدها الطفل تصبح مصدرًا للبهجة والصحة والقوة والحيوية.

هُنالك شعورٌ ووعيٌ ذاتي مُنضبِطٌ على الخوف من الآراء العامة والآراء الشخصية، هذا حتمًا ما يدفع إلى القيام بالأفعال التي يُقال إنها تتم من "الإحساس بالواجب" في بعض الأحيان، ولكن إذا حدث تغيرٌ مفاجئٌ في الرأي العام ولم يُلقَ أي لوم على الشخص الذي رفض إعالة الأقارب المُقربين الذين لا يملكون إلَّا أقل القُوت أو كبار السن، فربما يذهب بعضٌ من هؤلاء الأقارب إلى ملجأ الفقراء وسيتصرف الأبناء

الذين أرسلوهم إلى هُناك بطبيعتهم الحقيقية دون التظاهر بمشاعر لم تكن لديهم.

تقول الأمهات أحيانًا: "لا يهمني ما سيحدث لي من أجل أن أحسن رعاية وتربية أبنائي"، يجب على الأم أن تهتم جزيل الاهتمام بنشئها؛ فإذا أحسنت تربية الأبناء واعتنت بنشأتهم على الحكمة سيتحقق ذلك في أبنائها، سيتحقق ذلك إذا ثابرت في جهودها في العناية بأبنائها.

الأم الحقة دائمًا ما تجذب مشاعر الإعجاب والاحترام والود من أبنائها، وهذه المشاعر لا يُمكن اجتذابها إلا من امرأةٍ ذات دراية بالعالم المُحيط بها وذات شأنٍ واعتبارٍ فيه ودائمًا ما تُبرز نفسها وتمضي قُدمًا نحو مكانةٍ أكثر سيطرةً، ولا يمكن اجتذاب هذه المشاعر الصادرة من الابن أو الابنة من أمٍّ تنكفئ فقط على شئون المنزل وتصبح هجينًا من مُمرضة ومُربية للأطفال وتُهمل ملبسها ومظهرها الشخصي وترسخ في أذهان أبنائها أنها تحت تصرفهم في كل ما يطرأ على العائلة الحقيقي منه أو الوهمي، لهذا السبب بالذات يُهمل الأبناء البالغون أمهاتهم ويُعاملونهن بازدراء، إذا أفرطت الأم في المُثابرة وإغراق نفسها – كما تتوهم- لصالح أبنائها فستدفع ثمن هذا الخطأ الفادح غاليًا. حينما تسمح لشخصٍ آخر أن يقهر إرادتك ويجعلك تتخلى عن رغباتك وميولك ثم تصبح صَدىً ونسخةً مُكررة من شخصٍ آخر بالعيش كيفما أراد شخص آخر، فستخسر بهذه الحياة المزيد والمزيد من قوة تأكيد ذاتك، وتستوعب الكثير من ذهن وأفكار هذا الشخص الآخر عنك حتى تصبح جزءًا من ذلك العقل ومن ثَم تتصرف حتى بما يتماشى مع إرادته الصامتة ورغباته الخفية، وستشعر بالجمود ويغمرك شعورٌ بالعبودية اليائسة وستفقد المزيد والمزيد من قوتك الجسدية والعقلية في سبيل القيام بأي شيء؛ ستصبح العبء الثقيل والوالد الخرف والرجل أو المرأة المُسنين العاجزين المُحتملين لا المحبوبين.

هكذا تؤثر الأفكار التي تدور في أذهان الأبناء البالغين في والديهم بين الحين والآخر، إنها القوة المُستترة التي تُصدرها تلك العقول والتي تؤثر باستمرار في قوة الوالدين وتُضعفهم جسديًا؛ يرجع الوهن الجسدي والضعف العقلي – الذي يُنسب عمومًا إلى "التقدم في السن"- جزئيًا إلى التأثير الخبيث الصادر من عقل أو مجموعة

عقول تسعى إلى الاستحواذ والسيطرة على الآخرين، تحدث هذه الإساءة لاشعوريًا، مثالًا على ذلك: أراد الابن تولي إدارة المزرعة، ربما كانت رغبته القوية هي ما جعلت نفوذه يزداد شيئًا فشيئًا إلى أن استحوذ على ما لم يكن من الجائز الاستحواذ عليه في البداية إلا بإذن من الوالد كحقٍّ مُكتسبٍ أو امتياز، وظلَّ يتصرف كيفما شاء في كل كبيرة وصغيرةٍ، وربما أعانه الأبناء الآخرون على ذلك مُستخدمين قوتهم الكامنة موجهين لها في اتجاه واحدٍ، هذه القوة المؤتلفة يكاد يكون من المُستحيل أن يتصدى لها شخص واحد إذا تعرض لها بصورةٍ مستمرة، إنه ضغطٌ ثابتٌ متواترٌ مُندفعٌ من اتجاه واحد، يُمارَس طوال الوقت بمزيدٍ من الفاعلية لأن الوالدين المُجابهين لهذا الضغط أو هذه القوة يجهلان تمامًا ماهيته وأثره عليهم، إنهما يجدان نفسيهما أكثر ضعفًا وخمولًا وفقدانًا لحماسهما القديم ظنًّا منهما أن ذلك بسبب اقتراب الشيخوخة. أعرف رجلًا في السبعين من عمره ولكنه يمتلك صحةً جسدية وعقلية سليمة مليئة بالحيوية والنشاط كرجلٍ في الأربعين من عمره، كان قد نظم وبدأ عملًا كبيرًا، وفي النهاية خطر في ذهن أبنائه أن الوقت قد حان لكي "يتقاعد من العمل"، ومنذ ذلك الحين فصاعدًا كانت الفكرة التي تبناها الأبناء وعبّروا عنها لفظيًا أو ضمنيًا لعدة شهورٍ هي رغبتهم ومطالبة والدهم بضرورة تركه العمل.

عندما صارح بما في نفسه إلى صديق قال: "لماذا أترك العمل؟ إنني أرتزق منه وأحبه، وحسبما أرى إنني أستطيع إدارته بشكلٍ صحيح"، ولكن الإلحاح المُستمر والضغط الذي مارسه عليه غُرماؤه الذين هُم من صُلبه ومن أفراد عائلته كان أقوى من أن يصمد أمامه، فترك العمل وكان أبناؤه راضين عن ذلك وسرعان ما بدأت صحة الأب في التدهور؛ عاش بعد ذلك عامين ثم كانت آخر كلماته: "لقد قتلني أبنائي".

يسألني شخص ما: "ألا يجب علي أن أحب أبنائي أكثر من أي شخصٍ آخر؟" في الحقيقة إن عبارة "يجب" لا تصح على ماهية الحُب؛ الحُب يظهر أينما شاء ولمن شاء وأينما اجتذب، لا يمكنك إجبار نفسك على حب شيء أو شخص ما، فهُنالك آباءٌ لا يُكنّون حُبًا حقيقيًا لأبنائهم، وأبناءٌ لا يحملون أي مودةٍ لآبائهم. ولا يُلام كِلا الطرفين على ذلك، فهم لا يملكون القدرة على الحُب؛ وُلدوا مُفتقرين إلى تلك القدرة، ولا

CamScanner المسوحة ضوئيا بـ

يُمكن أن يُعابوا على هذا العجز مثلما لا يُمكن أن يُعاب شخصٌ ما أنه قد وُلد فاقدًا للبصر أو مُصابًا بالعرج.

يتوهم بعض الآباء أنهم يُحبون أبناءهم، ولكن في حقيقة الأمر أنهم ليسوا كذلك؛ فالأب الذي يفقد أعصابة ويضرب ابنه لا يحب ذلك الابن حقًا، بل من الصواب أن تقول إنه يحب ضربه وقهره، النظام العائلي أمرٌ ضروري، لكن النظام السليم الذي تسوده المحبة واللين لا يرتكز على الغضب وحِدة الطباع؛ فأحيانًا يتدخل الوالدان ويؤثران تأثيرًا بالغًا في مستقبل الابن بالاعتراض على اختياره للمهنة التي يرغب في امتهانها، قد يكون رأي الوالد مُجحفًا ضد بعض المسارات في الحياة وقد يرغب الابن في سلوك إحدى هذه المسارات فيقابله رفضٌ قاسٍ لا هوادة فيه من الوالدين، بلا تفكير أو إرشادٍ في الأمر؛ لا شيء سوى الرفض القاطع، هذا التصرف لا تُحركه مشاعر الحُب من الأبوين للابن بل يُحركه إعجابهما بآرائهما وحُبهما للتسلط، ولكن يغفل الأبوان في بعض الأحيان أنه عندما يخرج الابن من استضعاف الطفولة الجسدي والعقلي التام سيصبح أكثر استقلالًا فأكثر، وبإمكانه- كشخصٍ مُستقل- إبداء ذوقه واختياراته وميوله في وجهة ما، ولا يُمكن للأبوين أو أي شخصٍ انتهاك أو تغيير هذا الذوق أو الاختيار، لا يُمكن لشخصٍ أن يُغير مسار عقل هذا الطفل؛ فعقل الطفل – كما نُسميه- هو في الواقع عقلٌ أو روحٌ عاشت أكثر من حياة ذات وجود حقيقي؛ من مرحلة الطفولة إلى البلوغ، إن لم يكن إلى الشيخوخة، في الوقت الذي تستحوذ فيه على جسدها الجديد وتكتسب سيطرة نسبية على ذلك الجسد ستبدأ في تجسيد الرجل أو المرأة كما كانت تُجسد في حياتها السابقة – أي في مرحلة الطفولة- وقد يربط هذا الرجل أو المرأة علاقة وثيقة بأحد الوالدين أو بالكاد لا تربطهما أي علاقة على الإطلاق.

ولكن على أي حال، يتعامل الوالد مع شخصٍ مُستقل يتطور ذوقه واختياراته وسماته الشخصية التي تُنسب إليه وتُشكل جزءًا منه شيئًا فشيئًا، هذه الأشياء لا بُد أن يكون لها وسيلةٌ للتعبير عنها؛ سَيُعَبَّرُ عنها داخل العقل أو الروح سواء أكان مسموحًا له جسديًا (في الوجود الواقعي) أم لا، إذا رغب الصبي رغبةً شديدة في

الذهاب إلى شاطئ البحر ولكن منعه الوالدان، فسيذهب الصبي إلى هناك داخل عقله، وإذا كان الأمر كذلك داخل عقله فمن الأفضل كثيرًا أن يتبعه جسده؛ فلن يحدث سوى الضرر عندما لا يتصل العقل والجسد ببعضهما بعضًا. إذا رفضت الأم السماح للصبي بالذهاب إلى الشاطئ لأنها تخشى عليه من مخاطره، فهي فقط تخشى تقصيرها في حمايته أكثر من حُبها لولدها. يَتَحكّم الأبوان في بعض الأحيان تحكمًا تامًا بغير حقٍّ ليس فقط على كيانه الجسدي بل على عقله أيضًا؛ فذوق الابن وميوله ورغباته واختياراته لا تُعد ذات أهمية أيًا ما كانت. إذًا، إذا كانت من رغبات الصبي أن يصبح بحارًا وأراد والداه أن يمتهن مهنة أُخرى، ثم امتهن هذه المهنة الأُخرى التي يُصر والداه على امتهانها، فهل سينجح في عمله؟ الحقيقة أن أفضل من يستطيع الإجابة على هذا السؤال هم جموع الأشخاص ضعيفو الكفاءة في كل مهن العالم، أي من اتبعوا أفكارًا فائتة أو مُخالفةً للأفكار الصائبة المُتعارف عليها أكثر من العادات المسموح بها والتي تُعد عاداتٍ تجعل المرء يتمتع بسُمعةٍ طيبة، ولكنها قد تكون مصادر خفية وفي أغلب الأحوال مصادر مجهولة لوجود آفات كُبرى كتلك التي يُدينها المجتمع، فيتجه الابن إلى تناول الكحوليات أو مُرافقة أصدقاء السوء أو ارتكاب بعض الجرائم، وفي النهاية تُدين الوالدة نفسها لعدم رعايتها الكافية لولدها، وأنها- بسبب إهمالها- السبب الأساسي لسوء سلوك ولدها.

إنكِ تلومين نفسك يا سيدتي أكثر من اللازم؛ لأنكِ لم تسمحي لأبنائك ببناء هويتهم، لقد بُنيت من قبل أن تقدر الروح على استخدام جسدها الجديد الأخير؛ أيّة سماتٍ وأيّة نقائص كانت بارزةً في وجودها الأخير ستظهر حتمًا في وجودها التالي؛ إذا كانت الروح مُتلصصة فمن الأرجح ظهور ميولٍ للسرقة؛ إذا كانت بذيئة أو حيوانية أو شرِهة ستظهر ميول مُشابهة لهذه الصفات الآن، كذلك أنت، إن كنت قد نشأت على مُستوى أكثر تهذيبًا من التفكير فقد تفعل الكثير لتعديل وتقليل شدة هذه الميول، ولكن كل ما بوسعك فعله في هذا الأمر سيتم من خلال القوة العُليا الساكنة بداخلك والفكر المُتسلط على عقلك الطفل وليس من خلال تقديم كمًا هائلًا من النصائح شفهيًا أو العقاب الجسدي أو التأديب؛ مهما كان حال العقل عند

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خوضه تجربة جسدية جديدة وأيًا ما كان عليه من عيوب ونقائص لا بُد من بروز هذه الميول وتنفيذها فتُفضي إلى العقاب أو شيء من هذا القبيل، إلى أن تتبين تلك الروح بنفسها جيدًا أنها بارتكاب هذه الأخطاء تجلب لنفسها العقاب والأذى.

لا يمكن تعلم هذه الدروس إلا عندما يتمتع هذا الشخص بالحرية الكاملة عندما يتعلق الأمر بالسيطرة الأبوية لكي يحيا كما يحلو له، بإمكانك الرضوخ لتلك السيطرة الأبوية على حياتك لبعض الوقت وقد تبدو ظاهريًا أنك تعيش كما يحلو لك، ولكن هذه الحياة الظاهرية ما هي إلا واجهة خادعة إذا كان العقل مليئًا برغبات ونزعاتٍ أقل تهذيبًا، وكلما سارع ذلك الشخص بتنفيذ هذه الأشياء التي لطالما رغب في تنفيذها تعلَّم في وقت أقرب نظام الحياة الثابت الذي يُنزل العقوبات والمتاعب على من يكسر قواعده الراسخة، وما عليه من ارتياح في العيش طبقًا لقواعده.

من الجائز أن يُشكل الوالدان طبيعة خاطئة لأبنائهم؛ فقد يُعلمانهم بطريقة غير مُباشرة وتحت تأثير حالتهما الذهنية التي يؤثران بها في الأبناء تُصنع ما يُسميه الناس "الفضيلة" وألا يظهروا أية رغبة أو نزعة سرية على سلوكهم الظاهري؛ باختصار: أن يكونوا مُنافقين.

ما من شخصٍ هذبه وقوَّمه شخصٌ آخر بالمفهوم المقصود أحيانًا عند قول هذه العبارة؛ فالتهذيب ينبغي أن يأتي من الشخص داخله؛ ينبغي أن يكون مُستديمًا في الذات؛ يجب ألا يعتمد اعتمادًا كاملًا على وجود أو تأثير شخص آخر، إذا حدث ذلك فهو تهذيبٌ وقتي سيبوء بالفشل عندما ينتهي تأثير الشخص الذي يعتمد عليه.

أحيانًا ما نستجيب للإصرار على زعم أن "زوجة فُلان هي نتاجه الصالح"؛ لمَ لا نسمع مُطلقًا- على ذكر تلك العبارة- أن "الرجل هو نتاج زوجته الصالحة؟" من الجائز ألا يُبالغ في تقويمها ومن الجائز أن يستجمع قواه لمواجهة العالم من خلال تأثير وقوة زوجته الذهنية في تهذيبه، ولكن إذا اعتمد في هذا التهذيب تمام الاعتماد عليها ولم يكن قادرًا على معاونة نفسه دون وجودها المستمر وتحفيزها فلن يُصبح تهذيبه مُستمرًا، وسيصبح أيضًا حِملًا ثقيلًا ومُزعجًا عليها تحمله؛ إنها مُهمةٌ مُلزمة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لأحدهما عندما يتعين على شخص واحد توفير كل القوى الداعمة لشخصين، وبإدامة هذا الحال تنوء الزوجة -أو أيٌ من كان الشخص الداعم- بهذا العبء الثقيل، وتتحطم حياة شخصين بدلًا من حياة شخص واحد.

لا يمكن لشخص أن "يصنع شخصًا آخر" بمعنى الكلمة، ولكن يُمكن لشخصٍ يملك عقلًا أعلى وأكثر نفوذًا أن يمنح الشخص ذا العقل الأقل نفوذًا حياةً وقوةً صحيحتين لبعض الوقت ما دام هُنالك صلةٌ وثيقةٌ للغاية وذات أمدٍ طويل مع الشخص الأضعف.

إذا كان الزوج هو من يتلقى هذه الدفعة من الزوجة مُعتمدًا بشدةٍ عليها فهو لا يُجسد أي صِفاتٍ وخصائص أساسية خاصةٍ به؛ إنه يُجسد أو يتقمص شخصية زوجته بصورةٍ مؤقتة أو بقدر ما يُناسبه منها، وإذا توفيت أو فارقته لأي سبب آخر سيعاود تجسيد نفسه الحقيقية - عديمة الصفات والخصائص - ما لم يكن ثابت العزم على أن يكون قائمًا بدعم نفسه والاكتفاء بذاته وأن يستخرج القوة من نفسه بدلًا من استخدام الآخرين. إذا استمرت في إعانته وتعويض ما ينقصه فهي بذلك تُساند فقط شخصيته الزائلة التي لا يُمكن أن تدوم إذا نفد مصدر العون، وفي هذه الاستمرارية إنهاك وشيك لها بالتأكيد. كثيرًا ما يُعلّم الآباء أبناءهم الارتكاز والاعتماد عليهم في تقديم الدعم المعنوي أكثر من اللازم؛ ونتيجةً لهذا الخطأ تتباطأ حياة الوالدين من فرط ثقل العبء الذي يحملانه، ويمتنع الابن عن إبداء أي ودٍّ حقيقي لوالديه. قد تُشفق على من هو عاجزٌ وواهنٌ ومُحطم، ولكن لا يُمكنك أن تُبدي له ودًا؛ فالمودة ترتكز على الاستحسان، ولا يُمكن إيجاد الاستحسان إذا ضَعُف ووهن راغبه.

ترتكز النزعة التي يُطلَق عليها الغريزة التي تدفع الطائر الأم إلى إخراج صغارها من العُش فور أن يُصبح لديهم القدرة الكافية على الطيران، وتدفع الحيوان إلى فِطام صغاره لينبذهم على غير هُدى دون الحاجة إلى مُساعدة من أحد على نظامٍ طبيعي وإلهي؛ قد نزعم أنه أسلوب حياة المتوحشين وبالتالي نقول إن هذه "وحشية"، ولكن هل من اللطف أن يُشجع الطائر صغاره على البقاء في العش حيث لا يستطيعون اكتساب القوة وحيث لا يستطيعون الطيران عندما تشتد عواصف الشتاء وبرودته التي لا يقدر الطائر نفسه على تحملها؟

الرد على هذا السؤال هو أن الأم- إن كانت طائرًا أو حيوانًا أو من البشر- بعد كل هذه الفترات التي أنشأت فيها صغارها وهَيَّأتْهُم لمواجهة العالم، بحاجة إلى فترةٍ من الراحة والنقاهة يتوقف تحديد مُدتها على مدى تعقيد عملية التربية والطاقة المبذولة فيها، وفي أثناء هذه الفترة يجب أن تخلو تمامًا من الالتزام بأية مطالب من الأبناء. تحظى الطيور والحيوانات في حياتهم الطبيعية البرية بهذه الفترة ولكن آلاف الأمهات من البشر لا يتخلصن أبدًا من مطالب أبنائهن حتى الإرهاق ثم الهلاك؛ يجب عليهن أن يصبحن أحرارًا من كل ما يتعلق بالأبناء كما كانوا في مرحلة ما قبل الزواج وقبل أن يُصبحن أمهات، إن الأمومة هي أكثر مراحل الوجود ضرورة ولا غنى عنها لإنضاج الصفات وتنميتها، ولكن لا ينبغي التقيد بأي تجربةٍ والاستمرار فيها إلى الأبد، الحياة في أكمل صورها مليئةٌ بالتغييرات وليست طريقًا واحدًا يجب السير فيه بمجرد أن خطوت بقدمك فيه دون انقطاع.

إذا بَقي الأبناء مع والدتهم لسنواتٍ حتى بعد بلوغهم ما يُمكن اصطلاحه بـ "سن المسؤولية" وإذا ظلوا يتطلعون إلى معونتها ونصيحتها، وإذا سمحت الأم لنفسها بأن تُصبح عمود الاتكاء للعائلة، فهي بذلك تُكرر خطأها المُلزِم لطرفٍ واحدٍ بإمداد الآخرين بالكثير من القوة مُقابل لا شيء، قد تُمارس صورة ذهنية خاطئة ومسيئة من صفات الأمومة لأنها صفاتٌ يُطالب بها وتُلتمس، قد تسلب من نفسها حياتها الجديدة التي هي في انتظارها عندما ينشأ الصغار وتقوى أجنحتهم على الطيران بمفردها؛ بذلك تُساعد أبناءها على أن يجعلوا منها "عجوزًا هزيلة وخرقاء".

قد يُبدي شخصٌ رأيه: "إذا نُفذ رأيك حرفيًا ستمتلئ الشوارع بأطفالٍ طردهم آباؤهم من منازلهم ولن يستطيعوا حماية أنفسهم"، بالتأكيد، ولكنني لا أحاول إقناعكم باتباع مثال الطائر والحيوان بِمَعْنًى حرفي؛ هذا ظُلمٌ كبير.

لا يمكن لأسلوب حياةٍ اتُّبِعَ على مر السنين - حتى وإن كان مبنيًا على خطأ - أن يتغير فجأةً من دون اضطراب أو ظُلمٍ أو تحاملٍ على فئة بعينها، رَغْم ذلك، حريٌ بنا أن نتأمل هذا المبدأ الذي نجده في الطبيعة من الشجرة التي تلقي بثمرة الجوز

الناضجة في مهب الريح إلى الطيور والحيوانات التي تلقي بصغارها النّاضِج بعض الشيء على غير هُدى أو اتجاه، ولكن عندما تُلقى ثمرة الجوز وينبذ الطائر أو الحيوان لا يعودون مرة أُخرى إلى آبائهم للحصول على قوة الاكتفاء بذاتهم.

الأبوان فقط هم من يمنحون هذه القوة إلى أن يصبح الجسد الجديد قويًا بما يكفي للاستيعاب والتفرد بكل ما يجده مُلائمًا من حوله، كاستيعاب الأرض وضوء الشمس والاستئثار بما يجده مُلائمًا من الغذاء – لحمًا أو حبًا - ألا تمتلئ شوارعنا اليوم بأبناءٍ بالغين غير قادرين على حماية أنفسهم حقًا؟ ألا يترك آلافٌ ممن ليس لديهم قوة الاكتفاء بذاته ويعجزون طَوال حياتهم عن توفير الغذاء والملبس والمأوى إلا بالانخراط في ساعاتٍ طويلةٍ من العمل الشاق بأدنى الأجور منزل والديهم؟ ألا تُنهكهم وتعرقلهم حياة الشقاء والكدح هذه مُبكرًا؟ أليس هُنالك آلافٌ من الفتيات حول العالم سيصبحن "نساءً عجائز"، ولن يسمح لهن آبائهن - إلا إذا كن مُستعدات - للخروج إلى العالم وأخذ فُرصهن؟ هذه هي الطيور المُستكينة في العُش التي تأبى استخدام أجنحتها إلى أن تفقد كل القدرة والدافع إلى الطيران، ورغم بلوغها، أفواهها مُدربةٌ فقط على تلقي الفُتات التي تُلقى داخلها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثالث

تيارات الفِكر

من الضروري أن نتوخى الحذر فيما نفكر ونقول، لأن الفكر يتدفق في صورة تياراتٍ حقيقية كتلك التي تتدفق في الهواء والمياه؛ ففيما نفكر أو ننطق به نجذب إلينا ما يُشبه التيار من الفكر، وهذا يؤثر في العقل والجسد تأثيرًا إيجابيًا أو سلبيًا.

لو رأت العين الجسدية الفكر لرأينا تياراته تتدفق من الأشخاص وإليهم، وكذلك الأشخاص المُتشابهين في الطباع والصفات والدوافع؛ يتشابهون في تيار الفكر المُتدفق منهم وإليهم، ورأينا أن الشخص الذي يعيش حالةً من اليأس والغضب يسير مع التيار الذي يعيش فيه أشخاصٌ آخرون حالة اليأس والغضب، وبذلك يقوم كل شخص بحالات مزاجية كهذه بدور البطارية أو مُولد الكهرباء لذلك الفكر، ويزيد من شدة ذلك التيار بالتحديد، ورأينا أن هذه القوى تعمل بطريقةٍ مُماثلة وتربط الشخص المُتفائل والشخص الشجاع والشخص المُبتهج بالأشخاص المُتفائلين والشُجعان والمُبتهجين الآخرين. عندما تنخفض حالتك المعنوية وتصبح "حزينًا" هنالك تأثيرٌ يؤثر فيك بشدةٍ من تيار الفكر الصادر من جميع الأشخاص الآخرين ذوي الحالة المعنوية المُنخفضة؛ لأنك تتماثل مع حالة الفكر الكئيبة فيصبح ذهنك مشوشًا من جراء تلك الحالة، من الممكن أن يستعيد صفاءه ولكن صفاءه الدائم لا يُمكن استعادته على الفور إذا اعتاد المرء على أن يفتح المجال لهذا التيار للوصول إلى العقل؛ فعندما نجذب إلينا تيار أي نوع من الشر، نصبح لبعض الوقت أشرارًا.

وإذا أشار إلينا تيار فكر القوة العُليا بداخلنا إلى الخير فسنسير وننجرف مع تلك القوة، أو سنصبح بكلماتٍ توراتية "مُعادِلين للرب"، هذا هو التيار الذي نرغب في أن نجذبه إلينا. إذا كان هُنالك مجموعةٌ من الأشخاص يتحدثون بأي صورةٍ عن المرض أو المُعاناة أو يسترجعون مشاهد لفراش الموت وآلام الاحتضار وظلوا يُفاقمون هذا التوجه المروع من التفكير إلى الحد الذي تقشعر له الأبدان بجعله موضوعًا أساسيًا في حديثهم، فهم بذلك يجلبون لأنفسهم ما يُشبه تيارًا من الفكر مليئًا بتصوراتٍ

للمرض والمُعاناة وأمور مُنافية للعقل السليم، هذا التيار سيؤثر فيهم ويأتيهم في النهاية بالمرض والشقاء بشكلٍ أو بآخر، وإذا كُنا نتحدث كثيرًا عن أشخاصٍ معتلين أو عندما نجتمع بهم كثيرًا ونفكر فيهم - أيًا ما كان دافعنا - فإننا نجتذب تيارًا من الفكر ناقلًا للعلة والاضطراب وستتجسد نتائجه السيئة في أجسادنا بمرور الوقت. ولكننا لدينا الكثير مما يُمكن فعله لإنقاذ أنفسنا، أكثر مما يُمكننا إدراكه الآن؛ عندما يتحدث الرجال عن العمل مع بعضهم بعضًا، يتجاذبون – في سياق العمل - تيارًا من الأفكار والاقتراحات النافعة، وكُلما اتفقوا بشكلٍ أفضل اشتدت قوة هذا التيار الفكري الذي يجتذبونه، واستناروا بأفكارٍ وآراءٍ تُحسن من نشاطهم وتضخمه. هكذا يؤدي الاجتماع أو النقاش بين أعضاء المجالس الإدارية في الشركات أو المؤسسات إلى خلق القوة التي تدفع أعمالهم إلى الأمام. لذلك، إذا أردت السفر سافر بطريقة مُسافري الدرجة الأولى وأقم في فنادق من الدرجة الأولى وارتدِ ثيابًا باهظة الثمن "بقدر ما يُمكن لحافظة أموالك شراؤها" ولكن دون تأنقٍ زائدٍ عن الحد.

في هذه الأمور تجد المُعينات التي تضعك في تيارٍ من القوة والنجاح النسبي؛ فإذا كانت حافظة أموالك لا تستطيع تحمل نفقاتٍ كهذه في الوقت الحالي أو إذا كُنت تعتقد ذلك، بإمكانك أن تبدأ بالعيش بهذه الطريقة في ذهنك، هذا سيجعلك تتخذ الخطوات الأولى في هذا الاتجاه. يُطبق الناجحون في المجال المالي هذا القانون لاشعوريًا؛ إذ تُحرك الرغبة في التفاخر بعض الناس على اتباع هذا الأسلوب، ولكن هنالك قوة وعاملٌ آخر يدفعهم إلى ذلك، ألا وهي الحكمة التي نادرًا ما تعيها عقولهم المادية؛ إنها الحكمة التي تصدر من الروح التي تشير إليهم بالانخراط في تيار فكر الأشخاص الناجحين، وبذلك التيار يُحقق المكاسب، إنها ليست مكاسب تامة ولكنها مكاسب جيدة إلى حد ما.

إذا كانت عقولنا قد انضبطت – بسبب ما يُسمى كذبًا بالاقتصاد - على اعتماد كل ما هو بثمنٍ زهيد – كالإقامة في سكنٍ زهيد وتناول طعامٍ زهيد والقبول بتقاضي أجورٍ زهيدة، فسننتمي الآن إلى تيار فكر الشخص الفقير الذليل؛ هذا التيار هو ما يؤثر في نظرتنا وأهدافنا للحياة ويشوهها؛ لأنه يشل العزم والنشاط الذي يُشير إليه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القول المأثور "من جد وجد". في حالة استحواذ هذا الفكر عليك وسماحك له بالتأثير فيك، سيظهر تأثيره عند الاجتماع بأشخاص ناجحين ويجعلهم يتجنبونك؛ فلقد لاحظوا فيك افتقاد هذا العنصر الذي يجلب لهم نجاحهم النسبي، إنه كالحاجز الذي يمنع تجانسهم معك، التجانس هو أهم عنصر في العمل؛ فوجود تيار فكري متجانس يجمع الأشخاص الأكثر نجاحًا بعضهم ببعض، بغض النظر عن الاختلاف والتنافس.

يكمن الهوس بكل ما هو زهيد الثمن في تيار فكر الحذر والإفلاس، ولا يجتمع هذا التيار من الفكر مع تيار الهمة والجرأة والنجاح ولا يلائم بين الأشخاص المنتمين لكلا التيارين من الأفكار؛ سيؤدي إلى العداء الشديد بينهم وفيهم ويتشكل حاجز منيع بين هاتين الفئتين العقليتين.

عش متشبثًا تمام التشبث بفكرةٍ واحدةٍ – أيًا ما كانت - واسلك طريقًا واحدًا لـ"التهذيب" وسيجذبك تيار فكر كل العقول الأخرى التي تتمسك بتلك الفكرة إلى أقصى الحدود، ولكن ما من "تهذيب" عندما نصل بالأمور إلى أقصى الحدود، سيحيق ضرر هذا التطرف بالشخص الذي يصل بفكرةٍ ما إلى هذه الدرجة؛ فيشوه عقله وقراراته وإدراكه ويحصرهم في جانبٍ واحد؛ التطرف لأي فكرةٍ هو ما يصنع المتعنتين والمتعصبين والمختلين والمهووسين بها، سواء أكانت الفكرة تتعلق بفنٍ أم دراسةٍ أو علمٍ أو سبيل لـ"التهذيب" أو "حركة"، يجمع الأشخاص المتطرفين في درجة أو تيارٍ واحد من الفكر أيًا ما كانت اختصاصاتهم، وغالبًا ما ينتهي بهؤلاء الأشخاص الأمر بأن يصبحوا ثائرين كارهين لكل من يختلف معهم، وبذلك يهدرون قوتهم في إهلاك أنفسهم.

أما الجانب الآمن فيكمن في الاستحضار الحياتي لتيار فكر الحكمة الذي ينبع من الذكاء اللاافتناهي، وعندما نستحضر تلك الحكمة بشكلٍ أكبر لن تقع مساعينا لإصلاح النفس وتنقيحها "لصالح الجميع" بمجرد الشروع فيها في شباك المجادلات الداخلية.

إن تيار الكراهية والعداوة الذي يسايره الشخص "المستبد" والمحتكر أمرٌ مرسخ منذ ولادته، وهذه الطاقة نفسها تولد النزاعات والتنافر بين الأفراد؛ فهي طاقةٌ للهدم

وليست للبناء، كانتشار النيران التي تولد البخار من المراجل في أرجاء المكان؛ فعندما يجتمع أشخاصٌ ويُظهرون بشكلٍ أو بآخرٍ غذاءً مُضرًا للآخرين أثناء تسويتهم للخلافات، يجتذبون إلى أنفسهم بعشرة أضعاف القوة تيارًا ضارًا من الفكر، لأنه كلّما اتحدت العقول لتحقيق أي غاية اشتدت القوة التي يجذبونها لتحقيق تلك الغاية، وتيار الفكر الذي يجتذبه هؤلاء الشكائون والمُتذمرون ومروجو الكراهية سيؤذي أجسادهم؛ لأن الفكرة الأكثر تعلقًا في الذهن هي الأكثر تجسيدًا على الجسد، أي إذا كنا نفكر ونتحدث باستمرارٍ عن نقائص الآخرين فإننا نجلب لنا باستمرارٍ ذلك التيار من الفكر، وبذلك تتجسد علينا هذه النقائص عينها.

ولقد ذكرنا في كُتبٍ سابقةٍ إن "الكلمة تجلب الطاقة" وإنه كلّما كثر عدد الأشخاص الذين يتحدثون بانسجام ازداد حجم وقوة تيار الفكر المُنبعث والمُنجذب للنفع أو الضرر؛ لذلك يُرهِق الأشخاص الثرثارون -الذين لا يستطيعون التشاور من دون البحث والتنقيب عن أخطاء الآخرين- أنفسهم دون قصدٍ في اتباع سلوكٍ يجلب لهم عواقب فادحة، الثرثرة والقيل والقال أمرٌ مُغرٍ؛ هُنالك مُتعة زائفة في نشر عيوب أصدقائنا أو جيراننا وأعدائنا والتنقيب عن هفواتهم تُشابه تمامًا المتعة التي يمنحها الشراب المُسكِر، ولكننا ندفع ثمنًا باهظًا مقابل هذه المُتعة.

لو أن شخصين يلتقيان بين حينٍ وآخر ويتحدثان عن صحة وقوة ونشاط الجسد والعقل، وفي الوقت ذاته يُفسحان المجال في عقولهما لتلقي الفكرة الأكثر مُلائمةً وفائدةً من القوة التي تُحركهما فيما يتعلق بسُبُل ووسائل تحقيق هذه النِّعَم - لاجتذبا تيارًا من جنس هذه الأفكار، وإذا أدام هذان الاثنان - أو أشخاصٌ أكثر - هذا الحديث عن هذه الأمور في وقتٍ ومكانٍ ثابتين فسيجدان مُتعةً في تلك المُناجاة من دون إجبارٍ أو تصنع، وإذا استطاعا مواصلة ذلك من دون نزاعٍ أو جدلٍ ومن دون ترسيخ أفكارٍ مُتحاملةٍ ودون السماح بوجود أي أثرٍ للثرثرة أو الوشاية بأحد أو توبيخ الآخرين لعدم الانسياق معهما في حديثهما، فسيُذهلان من نتيجة هذا الحديث المُثمرة على العقل والجسد في النهاية؛ لأنهما بذلك -عندما يجتمعان وهما مُطالبان بمطلبٍ مُستتر من القوة العُليا وهو إيجاد الفكرة الأكثر نفعًا- يجلبان لأنفسهما تيارًا

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

مُحفزًا من القوة.

لذلك، من الأفضل أن يبدأ اثنان حديثًا كهذا ليس أكثر، وإن كان إيجاد شخصين على وفاقٍ وانسجام تام للإتيان بالنتائج المرجوة ليس بالأمر اليسير؛ فالرغبة في الانضمام في لقاءاتٍ كهذه يجب أن تكون طبيعية – أي نابعة من الذات - وأي دافعٍ خارجي يعرقل تيار الفكر – مهما كانت قوته - بلا شك.

جلب طقسا لقاء الإحياء(7) و لقاء المُعسكرات(8) تيارًا فكريًا من خلال نشاطٍ وغايةٍ مُشترَكين، اشترك فيهما عدد من العقول بعث في وقته على النشوة والحماس الذي تتميز به تلك اللقاءات، وتسبب حماس الساكن الأصلي الشديد في دخوله في نوبة انفعال أثناء رقصته للحرب(9)؛ فقد جلب لنفسه وبقوة ونفوذ هدفٍ جماعي مُشترك مجالًا وتيارًا للفكر أثاره بل وألهب حماسه، كانت غايته الوحيدة هي اجتذاب هذه النشوة العقلية لنفسه، وكلما ازداد عدد العقول التي تتبع نفس الأسلوب تحققت النتيجة التي يرمون إليها بصورةٍ أسرع، والخطيب الحَق ذو الصيت الذائع يجتذب إلى نفسه من خلال جهوده التي يبذلها في إلقاء الخطاب تيارًا فكريًا ينقله إلى المُلتفين حوله فيثير عاطفتهم، وكذلك المُمثلون المسرحيون المُلهَمون يجلبون لأنفسهم أولًا تيارًا أعلى وأقوى من الفكر ثم يتدفق من خلالهم لينصَب على جمهور المُتفرجين بعد ذلك. إذا كنت تُركز تفكيرك على أخطائك فبالطريقة ذاتها ستجذب مزيدًا من تيارها وبالتالي سترتكب مزيدًا من الأخطاء، يكفي فقط الاعتراف بهذه الأخطاء في داخلك.

لا تقل لنفسك باستمرارٍ "إنني ضعيف أو جبان أو سيء الطباع أو أحمق"، بل اجتذب لنفسك تيارًا من القوة والإقدام وَالطِّباع السوية والحِكمة وكل الصفات الحميدة الأُخرى، احتفظ بصورة هذه الصفات في ذهنك وستجعلها بنفسك جزءًا أساسيًا منك. غالبًا ما تنزعج بين حينٍ وآخر وتُستغرق في التفكير بل وتشعر بالضجر لعدة أيامٍ من التفكير في الثياب التي تريد شراءها أو قَصة ولون وشكل الرداء أو انتقاء القُبعة أو ربطة العُنق المُناسبة، إلى أن لا يشغل تفكيرك سوى الثياب والقبعة

وغطاء الرأس والرداء وربطة العُنق أو بعض التفاصيل الأخرى في الحياة.

لعل السبب في ذلك هو عجزك عن اتخاذ القرار فيما يجب شراؤه وتخبط ذهنك في موجةٍ عارمةٍ من التذبذب وعدم الحسم لعدة أيامٍ، وذلك لأنك في تلك اللحظة واكبت تيار العديد من العقول الأخرى التي كانت في هذه الحالة من الفكر. إن الوسيلة الأكثر نجاحًا لكي تُصبح الفتاة قبيحة هي أن تُظهر امتعاضها من الآخرين وحِدة طباعها وفظاظتها لهم وحقدها عليهم؛ لأنها تجتذب في هذه الحالات المزاجية مجالًا خفيًا من الفكر يؤثر في جسدها ويُلحق به الضرر؛ فيُفسد البشرة ويُظهر خطوط وتجاعيد الوجه ويجعل الأنف حادًا ويمسخ ملامح الوجه الشابة سريعًا؛ إنني لا أُلقي الآن مَوَاعِظ أخلاقية أو لا أُملي عليكم "لا يَصِحُ فعل كذا وكذا"، الأمر ببساطةٍ أنه سردٌ للسبب والنتيجة؛ إذا لامست النيران وجهك سينذب ويتشوه بفعل مجالٍ يؤثر فيه - ألا وهي الحرارة التي تحرقه - كذلك عقلك؛ إذا ألقيته في نيران الضغينة والحقد سينذب ويتشوه أيضًا بفعل مجالٍ حقيقي كالنيران الحارقة - وإن كان غير مرئي- يؤثر فيه.

إذًا، يجب أن ننبذ من أذهاننا كل الأشياء الذميمة والمَعيبة، من بينها السمات الشخصية التي يبغضها الآخرون أو أي شيء غير مُستحبٌ سماعه أو النظر إليه بأسرع ما يُمكن، ما عدا ذلك، إذا إستَغرَقنا في تلك الأشياء فسننجرف في تيارها، وستصبح فيما بعد ثوابت معنوية وتتجسد بمرور الوقت في صورة ثوابت جسدية مُماثلة.

إذا كنا دائمًا ما نستغرق في الإمعان في الشخص الذي يرتكب خطأ ما، سنُصبح أكثر عُرضة لارتكاب الخطأ ذاته بأنفسنا، فَلْنَسَعَ إذًا- ويد القوة العُليا معنا - إلى الدخول في تيار الأشياء الطبيعية المُفعمة بالصحة والقوة والجمال، ولنحاول تجنب التفكير في المرض والمُعاناة والعيوب والمفاسد.

إن تأمل حقول من سنابل القمح المُتمايلة أو أمواج البحر المُتلاطمة أفضل من التمعن في أهوال حادثة قطار؛ فنحن لا ندرك كم نحن مُحبطون جسديًا وذهنيًا بفعل

ما تقدمه لنا الصحف اليومية من وجبة دسمة من الأهوال المُتتالية، إننا نستحضر من خلال مُطالعتها تيارًا فكريًا مشحونًا بأحداث وتصوراتٍ عن الهول والمُعاناة، وإننا نجعل أنفسنا بذلك على اتصال واتّحاد مع كافة العقول المريضة سريعة التأثر بالأمور غير الصحية والتي تستمتع بالبقاء في ذلك التيار، إنها لا تدلنا على الحياة بل على المرض والهلاك، وإنك لست ولا الآخرون جزءًا صغيرًا من ذلك التيار الذي تزداد شدته باطلاعك على كل حريق أو تفجير أو مقتل أو سرقة أو أية جريمة تسردها الصحف كل أربعٍ وعشرين ساعة؛ إذا كنا نقرأ كُتبًا ألفتها عقولٌ تهكمية وساخرة بلغ تشوهها حد اقتصار تركيزها على أخطاء الآخرين وتعجز في النهاية عن رؤية الخيْر في أي شيء، فإننا نستحضر تيار أفكارهم الفاسد ونتآلف معه؛ فالسهم المغموس نصله دائمًا بسوء الخُلُق والاستهزاء بالآخرين هو الأكثر فتكًا بمن يُطلقه، أو بعبارة أخرى، الشخص الذي دائمًا ما يدعو إلى هذا التيار الفكري ويزيد من قوته، الداعي إلى الاضطراب والمرض وسوء الطالع سيجلبه إلى نفسه بلا شك، وعندما نعير أفكاره اهتمامًا زائدًا ندعو إلى تلك الأفكار ذاتها.

قد تكون شخصًا مُنظمًا وحريصًا وتتبع منهجًا بعينه في عاداتك ومُتقنًا ومُجتهدًا في عملك، ولكنك إذا صادقت أولئك الذين يتصفون باللامُبالاة والإهمال صداقة وثيقة، فقد تجد في نفسك نزعةً لأن تُصبح مُهملًا ولامباليًا مثلهم، وصعوبةً في معاودة ممارسة عاداتك وأساليبك السابقة المُنظمة والمُمنهجة؛ لأنك لم تكن قد استوعبت العقل اللّامُبالي أو العقل الذي يجزع عن فعل أي شيء بتبصر فقط بل إن هذا الجزء من هذا العقل المُستوعِب يعمل كالمغناطيس في دفع تياره المُشابه إليك.

ولكن، إذا عُرِف الخطأ تدارك نصفه؛ تذكر أن تيار فكر هذه العقول ذات المزاج المُتكدر يؤثر فيك عندما تنتابك أي حالة مزاجية سيئة، تذكر أنك في تلك اللحظة قد تم إقحامك فيما يُشبه الاتصال الكهربي بعقولٍ مُضطربة أخرى كثيرة تُحدث وتبعث أفكارًا كريهة.

ما يجب فعله تباعًا لذلك هو سؤال الله أو الدعاء إليه بالابتعاد عن هذا التيار المؤذي من الفكر، لا يُمكنك القيام بذلك بالكامل من خلال جهدك الفردي، يجب عليك

التماس ما يصرفه عنك من القوة العُليا؛ بذلك، يُصبح بوسعنا اجتذاب المزيد والمزيد من تيار الأشياء الباعثة على الحياة والمرح والمُتعة.

يجب أن تحفل الحياة بالمرح والبهجة؛ الجدية المتواصلة وجهٌ آخر ودرجةٌ أقل ببضع درجات من الحزن والانقباض، ولكن رغم ذلك يتعلق الآلاف كثيرًا بتيار الجدية؛ نتيجةً لذلك يندر التقاؤنا بالوجوه التي ترتدي قناعًا مُبتسمًا، فبعضٌ منهم لا يبتسم مُطلقًا، وبعضٌ آخر منهم نسوا كيف يبتسمون، وفي حقيقة الأمر يستاءون من التبسم أو رؤية البسمة على وجوه الآخرين، والسبب أن الحالة المزاجية الجادة تُزيد من الاضطراب والاعتلال إلى أن يبلغ حد ارتكاب أفعالٍ أكثر وقاحة، وتزيد العادة من شدة القابلية المؤسفة للإسهاب في هذا الداء الذي قد يبدو للوهلة الأولى أمرًا لا يؤبه له.

ينغمس الناس كثيرًا في هذا التيار الذي تُنشأ فيه الأمراض الخطيرة من تهيجٍ بسيطٍ في جزءٍ من أجزاء الجسد، إلا أن هُنالك العديد من الأشياء المادية التي قد تُساعد على إلهائك فقط عن أي تيار فكري يؤثر في حالتك المزاجية تأثيرًا مُزعجًا وكريهًا، والذي قد ترى من جرائه عددًا من الأعراض البغيضة يوميًا، أشياء مادية ربما تأتي في صورة مُلحقات لنمط الحياة اليومي كمنضدة الإفطار أو أثاث المنزل أو الحديث مع غيرك، وحتى الأشخاص الذين هم على مقربةٍ منك مُباشرةً من المُحتمل أن يُعاودونك بتلك الأفكار، ولكن السفر والابتعاد عن مكان الوجود المُعتاد أحيانًا ما يُبعده تمامًا، أي أن رؤية بيئاتٍ مُختلفةٍ تصرفنا عن هذا التيار الفكري تحديدًا؛ الحلول المادية قد تؤدي إلى النتيجة ذاتها ولكن بشكلٍ مؤقت، وكذلك التغيرات الطارئة في الحياة أو العمل، ولكن كلها مُعيناتٌ للقوة العُليا على إبعاد هذا التيار الفكري دومًا.

إن تيار فكر الخوف موجود في كل مكانٍ؛ جميع البشر يخشون شيئًا ما، إذا كان المرض أو فقدان الثروة أو فقدان الأصدقاء - فقدان أي شيء لكل إنسانٍ مخاوفه الخاصة به والتي تمتد إلى أبسط تفاصيل الحياة؛ فتمتلئ الشوارع بأناس يخشون عدم اللحاق بالقطار أو الترام التالي -إن لم يكن هُنالك أشياء أُخرى يخشونها – كلما ازدادت حساسيتك من تأثير فكرة الخوف أصبحت أكثر عُرضة للانجراف في تيارها

إلى أن تبني روحك، بأن تطلب بإلحاحٍ من القوة العُليا درعًا واقيًا من تلك الفكرة التي يحملها ذلك التيار ويعوق السبيل إليها، ويُمكنك أن تبدأ بناء هذا الدرع الواقي كلما تأثرت بالطريقة التي ذكرناها في السطور السابقة أو بأي مكروه بقول: "إنني أرفض قبول هذا الفكرة وهذه الحالة العقلية الذي يأتي بها إلي وتؤثر في جسدي" وعندئذٍ تبدأ في تنحية تيار الفكر المكروه جانبًا.

كما ذكرت، لكل إنسانٍ بعض المخاوف الخاصة به كالإصابة بأمراضٍ لم يسبق له الإصابة بها ولكن لطالما ذُعِر منها، أو خوف غير اعتيادي من فقدان شيءٍ ما، بعض الأمور التي قد لا يعبأ بها المرء هي ما تبعث هذا الخوف غير الاعتيادي في العقل، ككلمةٍ أو عبارةٍ قالها شخصٌ آخر، يعود العقل بحُكم العادة الراسخة إلى ذلك الخوف على الفور ويُفسح له المجال ليندفع الفكر بأكمله وتياره إلى داخله ويؤديان وظيفتهما في التأثير في العقل؛ لأنه يُحرك ذلك الوتر ويؤثر في تلك العاطفة تحديدًا من طبيعتك التي قد أظهرت ضعفك الخاص بك منذ سنواتٍ، وعندئذ يتأثر الجسد سلبًا بطريقةٍ أو بأخرى ويُظهر عددًا لا يُحصى من أعراضٍ مُختلفةٍ؛ قد يضعف جسدك ويرتجف، وقد تشعر بفقْدان للشهية وقشعريرة وجفاف في اللسان ومذاق كريه في الفم وضعف في المفاصل وخمول وصعوبة في التركيز للقيام بمهامك والعديد من الأعراض المُرهِقة الأُخرى.

هذه الأعراض غالبًا ما تُصنف على أنها أعراض "الملاريا"- الاسم صحيح إلى حدٍّ ما ولكن في كثيرٍ من تلك الحالات الأمر فقط هو أنك مُحاطٌ ببيئةٍ أو تيارٍ سيئ من الفكر هو ما يؤثر في عقولنا وليست تلك الحالة الجسدية السيئة الوهمية. مما لا شك فيه أن تلك البيئة التي يسودها الهلاك والفناء لكل الكائنات الحية تنعكس على صحة العديد من الأشخاص، ولكن بعض الناس يعيشون في خضم البِرك الراكدة والمُستنقعات ولا يُصابون مُطلقًا بالملاريا، ويعيش آخرون على النقيض في بِقاعٍ بعيدةٍ تمام البُعد عن تلك المُستنقعات في أماكن مُرتفعة وعلى أرضٍ جافة ويُصابون بها رَغم ذلك؛ لأنهم قد جلبوا تيار فكر الخوف من المرض.

إذا أقمت ليلة في منزل سادته في الآونة الأخيرة حالة من الذعر أو الخوف قد

لا تعرف عنها شيئًا، وحالتك كانت على ما يُرام في اليوم السابق، فستستيقظ في صباح اليوم التالي مُصابًا بهذه السلسلة من الأحاسيس الثقيلة كلها؛ فلقد تشبع المنزل أو حيثما نزلت بتيار فكر الخوف، إذا زرعت الخوف في مدينةٍ أو بلدةٍ أو بلدٍ ينتشر فيه وباءٌ مُميت أو فاجعةٌ كُبرى، سيغمر الخوف المئات من الأشخاص الأكثر سرعة للتأثر بالأشياء وإن لم ينتبهم شعور الخوف من الإصابة بذلك الوباء أو لم يمسسهم أثر تلك الفاجعة بعد؛ وذلك لأن هذا التيار الفكري يستهدف نقاط الضعف الخاصة بكل إنسان.

ما يحدث هو أن يتنبأ شخصٌ طائشٌ بحدوث كارثة كبرى، ثم تتناول الصُحُف المُتحمسة الموضوع وتناقشه، ثم تجعل منه مادة للسخرية ولكن تظل مُستمرة في الكتابة عنه وتناوله، هذا يدفع مزيدًا من العقول إلى التفكير ومزيدًا من الأشخاص إلى الحديث، وكلما كثر الحديث ازداد انبعاث تلك القوة الخبيثة وتضرر منها آلافٌ من البشر ضررًا جسيمًا، بعضٌ منهم سيتضرر بطريقةٍ وبعضٌ آخر سيتضرر بأُخرى نتيجةً لذلك؛ لأن قوة هذا القدر من الخوف ستطلق عليهم بأكملها لكي تقضي على بعضهم تمامًا من دون أدنى إدراكٍ للسبب، ولكنهم مُستمرون في إفساح المجال في عقولهم لتلك القوة ويُسهبون في تركيزهم عليها سرًّا ودون إرساء فكرة تُقاوم تلك القوة إلى أن ينقطع في النهاية الاتصال بين الروح - التي لم تعد قادرة على حمل هذا العبء على عاتقها- والجسد.

كلما ازداد إحساسك بالفكرة التي تدور حولك ازدادت احتمالية تأثرك بها، ولكنك لديك القدرة على تدريب عقلك على استبعاد وصد هذه الفكرة؛ يُمكنك تدريبه شيئًا فشيئًا على إغلاق الباب بإحكام في وجه الضعف وفتحه على مصراعيه للقوة فقط، يُمكنك فعل ذلك من خلال السعي وراء نزعة اجتذاب والحفاظ على الحالة الذهنية أو تيار الفكر النابع من الرب أو من القوة العُليا في سبيل الخير.

إن الإحساس بالفكر والقدرة على استقباله واستيعابه إما أن يكون مصدرًا للقوة وإما مصدرًا للضعف؛ ففي وقتنا الحاضر أكثر الأجساد ضعفًا تقتادها في أغلب الأحيان عقول دقيقة وحساسة وعلى درجة عالية من التطور، ولكن الجهل قد جعلهم

يستجلبون باستمرارٍ تلك التيارات الخبيثة من دون أدنى معرفة بحقيقة وجودها أو أي سبيل للخلاص منها، فبجهلٍ إما يتقربون إليها وإما يجعلون أنفسهم غرضةً ويخضعون لها، والاختلاط غير السليم للأفراد هو أحد أهم مصادر هذا التعرض.

الإناث -النوع الأكثر اهتمامًا بالتفاصيل الدقيقة- هن الأكثر حساسيةً لأي مسحةٍ أو أثرٍ بسيط من التيار الذي يحيطهن إن كان جيدًا أو سيئًا؛ الرجال المُنهمكون في عملهم يُحدثون قوة أو طاقة إيجابية تقضي على تيار الخوف، ولكن هذه القوة لا يُمكنها أن تدوم إلى الأبد، لهذا السبب غالبًا ما تُعاني النساء عند الانعزال والبقاء في المنزل أكثر مما يُدرك الرجال بآلاف المرات، قد يفسر الرجل العادي سلوكهن على أنه "تصرفٌ نسائي"، فيتساءل لماذا يكتنفها "الانفعال" و"الاكتئاب" و"الهواجس" و"المرض".

بالطريقة ذاتها التي تعتمد بها على العقل ذي الذكاء اللامتناهي لإخراجك من كل هذه القوى القبيحة، سيأتيك هذا العقل بالعديد من المُعينات الجسدية التي تساعدك، سيأتيك بالدواء والغذاء والبيئة المُناسبة والتغيرات التي تساعدك بصفةٍ دائمة وليست مؤقتة وبذلك تتعافى نهائيًا؛ فهو عقلٌ مبتهجٌ ومفعم بالأمل (ولا يوجد عقل مبتهج ومفعم بالأمل والحيوية إلا إذا كان أقرب إلى الذكاء اللامُتناهي من العقل المكتئب والتعيس والمُتشائم) ليكن عقل طبيبك الخاص أو صديقك، سيساعدك على الابتعاد عن هذا التيار الفكري المضِر، ضع في ذهنك أن هذا العقل هو أحد المُعينات الذي أرسلته الروح اللامتناهية ولكن لا تضع ثقتك الكاملة في صاحبه، بل في القوة العُليا التي أرسلت لك هذا الشخص صاحب هذا العقل كمُساعدةٍ مؤقتةٍ أو كالعصا التي تتوكأ عليها "أطرافك" الروحية إلى أن تُصبح بالقوة الكافية التي تُمكنها من حملك ومُساندتك.

كلما اندرجت داخل تيار الفكر الصادر من عقل الذكاء اللامُتناهي وجعلت نفسك جزءًا من ذلك العقل على نحوٍ مُتزايد (تمامًا مثلما قد تجعل نفسك جزءًا من أي عقل مكتئبٍ ومريض عندما تجعل نفسك غرضةً لتياره الفكري)، تسنى لجسدك ولذهنك أن يتجددا ويستعيدا حيويتهما بشكلٍ أسرع؛ فتُصبح إنسانًا مُتجددًا باستمرار،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التغيير إلى الأفضل سيأتي بشكلٍ أسرع وستزداد قوتك لتأتي بالنتائج المنشودة، وتفقد الخوف كله بداخلك شيئًا فشيئًا، ويتضح ذلك أكثر فأكثر عندما تجد نفسك في تيار فكر الخير اللامتناهي وليس هُنالك ما تخشاه، ثم تُدرك بوضوحٍ أكثر فأكثر أن هُنالك قوة وطاقة هائلة تعتني بك، وستتعجب من حقيقة أن الأشياء المادية جميعها يخضع إليك بأقل الجهود البدنية أو الخارجية عندما يتخذ العقل تُوجه الفِكر الصحيح، وستندهش في تلك اللحظة من كد الإنسان وكِفاحه وإرهاق نفسه فعليًا حتى الموت في حين أنه في حقيقة الأمر يُبدد بهذا الجهد الزائد نعمة الصحة التامة والسعادة والرخاء المادي كلهم مُجتمعين، وسترى أن بهذه المُطالبة المُلحة للخيْر المُطلق تزداد قوتك أكثر مما تخيلت.

سيتبادر في ذهنك أن واقع الحياة مُهيأ للوقت الحاضر اليَقظ الذي لا يحمل الكثير لتشعر به، أما المُستقبل فهو حُلمٌ باهرٌ يحوي الكثير مما ترغب في الشعور به: إدراكٌ دائمٌ أنه من دواعي السعادة أن تحيا، شعورٌ متواصلٌ بالهدوء والطمأنينة والرضا، وانتقالٌ من بهجة إلى بهجةٍ أُخرى ومن المُتعة الكبيرة إلى المُتعة الأكبر. مِن ثَمَّ تكتشف من خلال توغلك في تيار الذكاء اللامتناهي أن تلك المُثابرة الشاقة ليست مطلوبة منك ولكن عندما تلتزم الوثوق بهذا التيار وتدعه يقودك حيثما أراد، تتواتر إليك الأشياء الضرورية كلها.

عند دخولك في تيار الفكر الصحيح قد تُعاني لبعض الوقت من عدم الارتياح الجسدي والذهني أكثر من أي وقتٍ مضى، هذا لأن العنصر الجديد الذي يؤثر فيك يجعلك أكثر حساسية لوجود أي تيارٍ ضار، فينفي التيار الجديد ذلك القديم، أما تيار الفكر الجديد، فيبحث ويستكشف صغائر الأخطاء والتشوهات في ذهنك والتي لم تكن ملحوظة من قبل ثم يُقاومها؛ هذا يُثير صراعًا داخليًا ويتضرر العقل والجسد لفترةٍ من الوقت. الأمر أشبه بتنظيف المنزل، فغالبًا ما تتضمن عملية التنظيف قدرًا كبيرًا من الغُبار والفوضى والاضطراب، والفكرة أو الحالة الذهنية الجديدة التي استحضرتها لنفسك هي ما تُنظف منزلك الروحي.

إن قوة تيار الفكر الذي باستطاعتك اجتذابه والأشياء التي يُمكن للفرد القيام بها

من خلال هذه القوة ليس لهما حدود، ولعل الإنسان في المُستقبل يجتذب الكثير من الأفكار الأعلى جودة إلى عقله التي تُمكنه من تحقيق ما يُسميه بعض الناس بـ "المُعجزات"، ففي هذه القدرة التي يمتلكها العقل البشري لاجتذاب تيار الفكر ذي الجودة والقوة المُتزايدة يكمن السر وراء ما قد سُمي بـ "السِّحر".

---

(7) طقس ديني قديم يتكون من اجتماع أو سلسلة من الاجتماعات لإيقاظ الروح الدينية، تتميز بالوعظ المشحون بالعاطفة والشهادة العلنية لأشخاص مروا بتجارب روحية، و تُقام لإحياء الأعضاء العاملين في هيئة الكنيسة لاكتساب مُتحولين جدد من المذاهب الأخرى ودعوة الخطاة للتوبة.

(8) شكل من أشكال الخدمة الدينية في المسيحية البروتستانتية، نشأ في إنجلترا وأسكتلندا كحدث إنجيلي بالتزامن مع موسم الاحتفال بالعشاء الرباني، وهو لقاءٌ للعبادة والوعظ وتبادل الأفكار والمشاعر أُقيم في المعسكرات على الحدود الأمريكية خلال فترة الإحياء الديني البروتستانتي (الصحوة الكبرى الثانية) في أوائل القرن التاسع عشر في الولايات المُتحدة الأمريكية.

(9) رقصة تتضمن قتالًا وهميًا يُشار بها عادةً إلى مجتمعات المحاربين القبلية، تُؤدى كطقوس مرتبطة بالحرب المُتوطنة، وهي أداء حركاتٍ من فنون القتال في مختلف الثقافات بحركاتٍ شبيهةٍ بالرقص لعدة أسباب، مثل إثارة الشراسة استعدادًا للمعركة أو التباهي بمهارة القتال، وأيضًا للاحتفال بالبطولة والغزو، وغالبًا ما يُصاحب العديد من تلك الحركات القتالية أثناء الرقص الموسيقى، خاصة ذات الإيقاعات القارعة القوية منها.

الفصل الرابع

الطريق الوحيد لتنمية الشجاعة

الشجاعة وحضور العقل يعنيان الشيء نفسه؛ وحضور العقل يتضمن سيطرة ونفوذ العقل، إذًا، الخوف يُرادف انعدام سيطرة العقل. يستمد الخوف جذوره من العجلة والاندفاع والاعتياد عليهما أو عدم الارتياح وعدم الاطمئنان، وترتكز كل مستويات الإنجاز العقلي أو البدني على العزيمة والإقدام، أما الفشل فترتكز مستوياته على التخاذل والتردد.

يُمكنك أن تُنمي الشجاعة وتُرسخها في ذهنك في كل دقيقة وساعة في اليوم عند شعورك بالاستحسان من معرفة أنك قد أنجزت شيئين عند فعل شيءٍ واحدٍ، ألا وهما فعل الشيء نفسه والسلوك الذي سلكته لفعل الشيء، فتزيد من صفة الشجاعة في نفسك أبديًا، يُمكنك فعل ذلك بالتدرب على التمهل: التمهل أثناء الحديث والتمهل أثناء المشي وتناول الطعام، التمهل في كل شيء؛ فأينما وجد التسرع ولو شيءٌ منه وجد معه بعض الخوف.

عندما تُسرع من أجل اللحاق بالقطار فإنك تسرع لأنك تخشى من فواته، ويصاحب ذلك الخوف من الاحتمالات الأخرى المُترتبة على عدم اللحاق بالقطار، كذلك عندما تُسرع من أجل حضور حفلٍ أو مُقابلة شخصٍ ما بموعدٍ مُسبق فإنك تخشى أيضًا من الاضطراب أو الضرر الناجم عن عدم الحضور في الوقت المُحدد، هذه العادة التي يتبعها عقلك لاإراديًا في تفكيره من المُمكن أن تتفاقم إلى الدرجة التي تتملك فيها عقل الشخص في كل وقتٍ وفي كل مكانٍ، فتُظهر الخوف من أي نوعٍ من الخسارة رُغم عدم وجود أي خسارة من الأساس.

قد يُسرع شخصٌ - على سبيل المثال - للحاق بعربة الترام ويشعر بل ويتصرف وكأن هُنالك ضررًا هائلًا سيحدث إذا لم يستقل تلك العربة بعينها؛ في حين أن هُنالك عربة ترامٍ أُخرى ستتبعها خلال وقتٍ قصيرٍ، ما يُحضرها هو انتظار دقيقتين أو ثلاث دقائق على أكثر تقديرٍ، ولكن الخوف من انتظار تلك الدقائق الثلاث يتزايد باستمرار،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والانتظار في ذهن ذلك الشخص هو الاحتمال المرفوض. نتيجةً للاعتياد على ذلك السلوك قد يصف حال مُماثل للعجلة مشية الشخص وطريقته في تناول الطعام والكتابة؛ كل أفعاله على وجه الاختصار، فيتعذر على هذا الشخص التصرف بهدوء وتأنٍّ.

إن الخوف هو طبيعة العقل أو العاطفة التي تكمن وراء كل هذه الحالة الذهنية المُتعجلة وما يترتب عليها من أفعالٍ مُتسرعة، والخوف ليس سوى اسم آخر لانعدام القدرة على التحكم في عقولنا؛ أو بمعنى آخر، عدم القدرة على التحكم في نوع الفكرة التي نُفكر فيها أو نطرحها.

هذا النوع من الاعتياد العقلي اللاشعوري (والذي يُعد أمرًا شائع الحدوث) هو ما يُحدِث حالة ذهنية دائمة أكثر عُرضة للذعر العارم والضامر من أقل تعطلٍ أو خيبة أمل بسيطة؛ إنه يخلق خيبات أمل جميعها ليس ضروريًا، وهو الوتد الصلد الذي يشق المجال أكثر فأكثر لتيار فكر الخوف، لأنك إذا زرعت في نفسك الخوف من شيءٍ ما فإنك تجعلها بذلك أكثر قابلية لإحساس الخوف في كل شيء، وإذا سمحت لنفسك أن تجلس لنصف ساعة خائفًا من الوصول إلى القطار أو القارب واستقلاله بعد فوات الأوان، فستصبح أكثر عُرضة بكثيرٍ لأن تتملكك سلسلةٌ من نوبات ذعرٍ طفيفة عند حدوث أي حادث بسيط أو مواجهة أي عقبة في تلك الرحلة تحديدًا. هكذا تندس هذه العادة في طبيعتنا وهكذا تترسخ في نفوسنا عند فعل الأشياء التي تُسمى "أبسط الأشياء"؛ كأن تكتب أو تخيط قطعة من الملابس أو أن تستغرق في أداء أي عمل يثير انتباهك بشدة ولا تحب أن يُقاطعك أحد أو شيء.

إذا كنت تخيط قطعة من الملابس، فإنك تتناول المقص الذي سقط على الأرض وأنت في حالة ضجرٍ لحظية وبحركة اهتياجيةٍ ومُتشنجة؛ ذهنك - كما تتكرر العبارة - "في شُغل شاغل" ولن تصرفه عما يشغله في الوقت الذي تلتقط فيه المقص؛ فتحاول في عقلك أن تستأنف عملك وتلتقط المقص في الوقت ذاته، بالتالي تجعل حركة عضلات جسدك وجهده أمرًا شاقًا وغير مُحبب لوهلةٍ، لأنك ترفض في الوهلة الثانية أن تبذل في هذا الفعل الجهد الذي يتطلبه، عندما ترفض فعل ذلك لاشعوريًا

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

سيصبح أي فعل شاقًا ومزعجًا لعدم وجود القوة والجهد الكافي للقيام بهذا الفعل بسهولة، هذه هي محاولة الجسد الضعيف للقيام بتلك الأفعال؛ ولكنك تمتلك القدرة على إقحام طاقتك في عضلات جسدك مما يجعل تنفيذ الأشياء أمرًا يسيرًا، هذه القدرة على تحويل الطاقة إلى أي جزء من جسدك ستتضاعف وتزداد من خلال تنميتها، وبإمكانك فعل الكثير وكل ما هو أفضل من خلال تهذيب نفسك على التمهل، ذلك لأن التمهل قد يطرأ في ذهنك تمامًا كالتفكير كلما اعتاد العقل على اتباع هذا التوجه، مثالًا على ذلك: عندما تلتقط إبرةً أو عندما تربط رباط حذائك بسرعة، إنك لا تفعل ذلك فقط لأن هذا الفعل هو فعلٌ شاق بالنسبة إليك بل لأنك تخشى من أن يحرمك ولو للحظةٍ من بعض المتعة الحسية، ها قد أفسحت المجال مرةً أخرى في عقلك لتيار فكر الخوف؛ الخوف من فقدان شيءٍ ما (المتعة الحسية). تنمية الشجاعة تبدأ من تهذيب نفسك على التمهل عند فعل ما يُسمى بـ "أبسط الأفعال" كتلك المذكورة. إذًا، فإن التمهل والشجاعة مُقترنان إقترانًا لصيقًا، تمامًا كالعجلة والخوف؛ إذا لم نتعلم إخضاع قوانا وطاقاتنا بالطريقة الصحيحة في فعل أقل وأبسط الأشياء، سنجد أن هذا الإخضاع أمر أكثر صعوبة من القيام بكل شيء، وإذا دققنا النظر إلى ما نخافه فسنجد أننا نحاول - داخل أذهاننا - التطرق إلى الكثير من الشيء الذي نخافه دفعةً واحدة؛ وما نتطرق إليه مُباشرةً هو القليل منه نسبيًا.

في أي تصرف - عند فعل أي شيء ليس هُنالك سوى خطوةٍ واحدةٍ يجب اتخاذها في وقتها؛ ألا وهي تحديد القوة اللازمة وليس أكثر من ذلك في تلك الخطوة، عند اتخاذ تلك الخطوة سوف نتمكن من اتخاذ الخطوة التالية، وكُلما دربنا عقولنا على التركيز على اتخاذ تلك الخطوة ازدادت قُدراتنا على توجيه كل طاقتنا دفعة واحدة وفي اتجاه مُحدد، هذه الطاقة في تزايد دائم ويجب استغلالها فيما نُسميه أدق تفاصيل الحياة اليومية.

بهذه الطريقة يُصبح التمهل أو الفعل المُتأني أمرًا مألوفًا، بينما نحن لا نعي - بعض الشيء - أننا نجعل أنفسنا أشخاصًا مُتمهلين؛ ففي الوقت الذي اعتدنا فيه اتباع النقيض الخاطئ لم نكن مُدركين أننا نضع أنفسنا في الإطار العقلي المُتعجل. غالبًا ما

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يكون الخوف الشديد نتيجةً للتفكير في العديد من الصعوبات والأهوال دفعة واحدة في حين أننا في الواقع المادي نتعرض حتمًا إلى صعوبةٍ وهَولٍ تلو الآخر؛ فنحن نميل عندما نذهب للقاء شخصٍ فظٍّ ومتغطرسٍ وحاد الطِّباع إلى أن نُشغل أذهاننا باللقاء برمته، وأن نُركز تفكيرنا في أدق تفاصيله المُحتملة، فنخشى أن يكون لقاءً بغيضًا ومن ثَمّ نرى داخل عقولنا أنه بالضرورة لقاءٌ مُزعج وغير مُحبب. من الجائز أن يكون ذلك اللقاء هو ما كُنا نُفكر فيه صباح يومه وقت ارتداء الملابس والاستعداد له، ولكن وقتئذٍ كان ارتداء الملابس والظهور بمظهرٍ جيد هو اهتمامنا التام والأمر الضروري، ربما كان هذا اللقاء هو ما كان يشغل تفكيرنا أثناء تناول الطعام، ولكن في وقته كان تناول الطعام والاستمتاع أكبر قدرٍ ممكنٍ بوجبتنا هو ما يجب أن نأبه إليه.

هذه خطوة أُخرى يجدر بك اتخاذها عند فعل أي شيء؛ كلّما كان تناولنا للطعام هادئًا لا يصحبه أي قلق، صار تذوقنا له أكثر قوة وزود أجسادنا بمزيدٍ من الطاقة، رُبما ظلَّ القلق من ذلك اللقاء ينتابنا طوال الطريق أثناء السير للذهاب إلى المكان المُحدد له، ولكن التنزه والاستمتاع بالمشي هو ما نحن بصدده تمامًا في ذلك الوقت. هذه خطوة أُخرى ينبغي لك اتخاذها وهي: الاستمتاع بالمشي.

المتعة هي النتيجة المؤكدة لتركيز الفكر أو القوة على الشيء الذي نقوم به الآن، ونوعٌ من المُعاناة في الوقت الحاضر والمُستقبل هو النتيجة المحتومة لصرف الفكر أو القوة عن الفعل الذي يتعين فعله في هذه اللحظة.

إننا عندما نرتدي ملابسنا أو نتناول الطعام أو نسير أو عند فعل أي شيءٍ بذهنٍ مُنشغلٍ بشيءٍ آخر، نجعل هذا الفعل القائم فعلًا مُزعجًا، بل إننا نعتاد استثقال كل الأفعال وجعلها أفعالًا غير مُحببة، وجعل الشيء المُقلِق الذي ينشغل به الذهن أمرًا يقينيًا، فما نضعه في الحُسبان على أنه أمرٌ كريه يُصبح حقيقةً وأمرًا فعليًا؛ وكلما استمررنا في التفكير فيه بتلك الصورة ازدادت قوة وصدق هذه الحقيقة واحتمالية تحقيقها في العالم المادي. ولكن، لكي نحظى بما يتطلع جميعُنا ويسعى إليه - ألا وهو السعادة - نحن بحاجةٍ إلى أن نُسيطر سيطرةً تامةً على عقولنا وتفكيرنا في كل وقتٍ وكل مكانٍ، وتكمن إحدى أهم الوسائل وأكثرها ضرورةً لاكتساب هذه المهارة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في هذا النظام السلوكي الذي يتعلق بالأمور التي نزعم أنها بديهية ولا يُعبأ بها، تمامًا كنظام وحركات الجيش عندما يبدأ في إعداد وتدريب الجنود على أساليب القتال.

إذا كنت تتعجل وتتغاضى عن هذه التفاصيل التي تزعم أنها بسيطة، فسيصبح من السهل عليك التخلي عن حذرك أو الارتباك عند حدوث الأحداث غير المتوقعة، وفي الحياة الشيء غير المتوقع هو ما يحدث دائمًا. من الضروري أن نُبقي أذهاننا حاضرةً باستمرار وأن نجعلها دائمًا على أهبة الاستعداد والتهيؤ لاستخدامها في كل صوب، ولكنها ليست حاضرةً عندما نربط رباط الحذاء وتستغرقنا الأفكار بعيدًا عن ربطه، وعندما نسنن ريشة الكتابة ونُطيل في التفكير في أحد هموم الغد، إنها بذلك تستبق الأحداث، وإذا كانت عادة السهو تلك تراود أذهاننا على الدوام أثناء أداء العمل الذي في مُتناول اليد والاستغراق في فعلٍ مُغاير، فسيصبح من الصعب استعادتها واستخدامها، وعند استعادتها سيصبح من الأكثر صعوبةً أن تصبح سريعةً وحاضرةً.

تنتقل أفكارنا من شيءٍ لآخر أسرع من تيار الكهرباء، وباستطاعتنا إخضاع هذه الأفكار السريعة لاشعوريًا لتنطلق دائمًا من شيءٍ لآخر حتى يصبح من الصعب - يكاد يكون من المستحيل - التركيز على شيءٍ واحد لعشر ثوانٍ مُتتالية.أما بالتهذيب - على النقيض من ذلك - على الهدوء والتمهل في كل الأمور، يُمكننا تعويد أنفسنا على حشد وإحكام تفكيرنا في أي شيء، ما أردنا ذلك، والانغماس في أي حالةٍ مِزاجيةٍ تروق لنا والاستغراق في سُباتٍ عميق أو الدخول وقتما نشاء في حالةٍ مناميةٍ حالمةٍ شبيهةٍ باليقظة ولكنها مُريحة كالنوم. هذا شَطرٌ بسيطٌ من إمكانات العقل البشري؛ لا حدود لتطورها أو ازدياد قوتها، وما من شيءٍ يُمكن أن يخطر في حدود مُخيلتك لا يُمكنها تحقيقه، والخطوات التي يجب اتخاذها لإدراك هذه القدرات خطواتٌ ضئيلة وبسيطة ويسهل اتخاذها نسبيًا لدرجة أن بعض الناس يمتنعون عن اتخاذها لذلك السبب.

لا شك أن هذه القوى والنتائج العديدة التي تسديها إلينا مُمارستها كانت معهودة منذ أمدٍ بعيد لدى قِلّة نسبيةٍ من الناس من كل حدبٍ وصوب، ولكن يمكن وصف أي قوة أو أي حالة ذهنية ناجمة عنها بدقةٍ أكثر للأشخاص الناطقين باللغة الإنجليزية

من خلال استخدام كلمة إنجليزية أو شكل من أشكال التعبير أكثر من استخدام المصطلحات المأخوذة من اللغات أخرى؛ فلقد كان لدى السُّكّان الأصليين وأبناء الشرق في بعض الحالات القدرة على لفظ كل الأفكار وإفراغ عقولهم بمغنى أو بآخر بطريقةٍ لا تؤدي إلى عدم الشعور بالخوف فحسب، بل جعلت هذه الحالة الذهنية أجسادهم فاقدة للشعور تقريبًا بالآلام الجسدية.

إن قوة استحضار هذه الحالة العقلية هي التي مكنت الأسير عند أسره من تحمل كل وسائل التعذيب التي مارسها آسروه، وغِناء أغنية موته بنفسه أثناء إحراق جسده بألسنة اللهب، عمليةُ بطيئة من التشويه الجسدي أفظع من أن توصف ولا يقوى سوى قلة قليلة من عِرقنا على تحملها من دون أن يذوق ويلات الألم.

إذًا الساكن الأصلي أكثر هدوءًا وتمهلًا بكثير مِن الغالبية العُظمى من عِرقنا في كلٍّ من الحركة العقلية والجسدية؛ فلقد عزز قوته المعنوية من خلال ترسيخ هذا الهدوء في طبيعته دون وعيٍ منه ولأنه يعيش حياةً أقل تصنعًا من معيشتنا، وكانت إحدى النتائج المؤكدة لذلك هي سيطرة العقل على الجسد التي يُمكنها تخفيف الألم الجسدي والخلاص منه كُليًا على أقصى تقديرٍ. إن التمهل في الحركة – أو بعبارةٍ أوضح - حركة العضلات البطيئة التي تجد فيها عقولنا وقتًا لتنفيذها ثُمهلنا وقتًا للتفكير في خِضَمّ الأزمات الطارئة الشديدة منها واليسيرة، أما عدم التدرب والاعتياد على ذلك فيحدث حركةً جسديّةً غير واعية. بمجرد أن تترسخ هذه العادة يبدأ الجسد في مُمارستها دون أن نشعر بها، أما الحماقة وانعدام اللباقة والذوق فكلها نَقائِص ترجع إلى عدم السيطرة على العقل الناجم عن عدم التمهل، أو بعبارةٍ أُخرى، العجز المُعتاد عن أخذ الوقت للتفكير أو التوجه إلى التصرف السليم.

فمثلًا، إذا كان هُنالك شخصٌ مذعورٌ على متن سفينة وبدا له أنها مُعرضة لخطرٍ مُفاجئٍ، سيهرع عبثًا على سطح السفينة ذهابًا وإيابًا، هذا التصرف الجسدي هو التطابق الدقيق لحالة عقله طوال حياته التي انطلقت فيها أفكاره لأقصى مَدى من شيءٍ لآخر وكأنها رغبةٌ مُلحةٌ بداخله، أما بالنّسبة لشخصٍ أكثر تمهلًا، ذهنه مُدربٌ على أن يأخذ وقته للتفكير وجمع أو تركيز فِكره، سيتسنى له أن يبقى ثابتًا وبالتالي

يُمهل نفسه وقتًا ليرى ما قد يكون مجالًا للهروب. هذان الشخصان سيلتقطان الإبرة بطريقةٍ وحركةٍ ذهنيةٍ تختلف تمامًا عن الأخرى.

إذًا، لكي تعتاد الشجاعة يجب أن تعتاد الحركة المُتمهلة في كل شيء؛ هذا ليس إلا تدربًا على جمع وادخار قوتك وعدم إظهار منها أكثر مما هو مطلوب في وقته؛ ليس هُنالك عادةٌ ذهنيةٌ ضروريةٌ لإتمام جميع المهام بنجاحٍ أكثر من الشجاعة، ولا أقصد بـ "الشجاعة" الشجاعة في الفعل فحسب، بل الشجاعة في الفكر أيضًا. هُنالك الآلاف ممن يقومون بأعمالٍ تجاريةٍ يوميةٍ لا يجرؤون على التفكير في اتخاذ خطوة تحتمل إنفاق أموال تفوق متوسط نفقاتهم، بل إنهم مُرتعبون من مجرد ذكر هذا الكم من المال ولن يرحبوا – بمحض الذعر- بهذه الفكرة لوقتٍ طويل بما يكفي لكي يألفوها. أما إذا بَدّلوا هذا السلوك الذهني وتصرفوا بتمهل بدلًا من إفساح المجال مُباشرةً لهذا الخوف للاستحواذ عليهم من باب العادة الحياتية، وسمحوا للفكر أن يبقى في أذهانهم بدلًا من لفظه، فستُقبل عليهم أفكار تتعلق بالطرق والوسائل اللازمة لتحمل النفقات الزائدة في الوقت المُناسب، وبذلك يكسبون مزيدًا من الأموال في نفس الوقت الذي يستغرقه كسب القليل من المال.

عند سؤالك إحدى السيدات اللاتي يعملن في غسيل الملابس باليوم ولا يُزاولن أي نشاطٍ آخر: "لمَ لا تفتتحين مغسلةً خاصةً بك يا سيدة (أ)؟ ستكسبين الكثير من المال عند القيام بذلك" فسيكون ردها: "أفتتح مغسلة! كيف يُمكن ذلك؟ من أين لي أن آتي بالمال اللازم لافتتاح مغسلة؟!"، هُنا أفسحت هذه المرأة المجال للخوف مُباشرةً للاستحواذ عليها فيما يتعلق بما يبدو لها أنها بحاجةٍ إلى مبلغٍ هائلٍ من المال بدلًا من الترحيب بفكرتك؛ مُتبعةً الأسلوب غير المُتعقل والمُتسرع والخائف ذاته من الفكر الذي أظهر اعتراضًا فوريًا على اقتراحك، وتجرؤ فقط على التفكير في العمل لكسب الأجر اليومي كلما استدعاها من يؤجرونها. وآلافٌ غيرها من الأشخاص لا يجرؤون لهذا السبب على التفكير أو يجدونه أمرًا مُزعجًا بالنسبة إليهم التفكير في اقتحام مجالاتٍ أوسع وأكثر ربحية وتتسم بقدرٍ أكبر من المسؤولية من العمل؛ ذلك لأنهم يحزمون كل الصعوبات المُحتملة في حزمة واحدة، ومن قبيل العادة لن يروا أمامهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سوى هذه الحزمة الوهمية المثيرة للذعر.

لكن السيدة (ك) الغاسلة الأكثر تمهلًا إذا سمعت اقتراحك سترحب به وتقول لنفسها في وقتٍ ما: "لمَ لا أفتتح مغسلةً خاصةً بي؟ لقد قام بذلك أناسٌ آخرون ونجحوا في ذلك"، ثم تُمعِن التفكير والاهتمام بالفكرة وتتحدث مع أكثر من شخص لمعرفة كيف بدءوا في تحقيقها، وكلما طال حِفاظها على هذا التيار من الفِكر أدركت بوضوحٍ أكثر الطرُق والوسائل التي "أسسها الآخرون لأنفسهم"، وفي النهاية تختمر الفكرة في ذهنها لدرجة أنها تتخذ بعض الخطوات نحو تلك الغاية وخطوة أخرى وأخرى، ومن ثَمَّ تنجرف في مجال العمل شيئًا فشيئًا.

يرجع سبب هدوء وثبات جأش الإنسان في مواجهة أي خطرٍ كبيرٍ إلى تركيز ذهنه على الشيء الذي يتعين فعله على الفور، أما صفة الخوف فلا تمنح قوةً كهذه؛ لا ترى في العقل مصدر الخطر فقط، بل عددًا من العواقب المُحتملة التي قد تحدث أو قد لا تحدث له.

قد يؤدي المُقاتل واجبه في المعركة بحالةٍ ذهنيةٍ غير سارةٍ على الإطلاق، بالطبع أثناء رؤيته للمُقاتلين الآخرين وهم يواجهون هجماتٍ عنيفة ويُمثّل بأجسادهم في كل الأرجاء من حوله، ولكن مقدار القوة أو الفكر الذي بإمكانه التركيز عليه أثناء أدائه للخدمة أكبر من ذلك الذي يحدث من إدراكه للمذبحة التي تدور حوله؛ فهي التي تقود جسده وتُبقيه ثابتًا في مكانه، أما الشخص الذي يهرب أو من تسنى له الهروب، لا يضع شيئًا نُصب عينيه سوى الاحتمالات السيئة في تلك اللحظة.

عند القيام بأي فعلٍ معروفٍ بأنه "فعلٌ بسيط" كالتقاط الإبرة أو إدخال طرف الخيط في ثُقبها أو فتح الباب، لا أزعم أن المرء يجب أن يُركز كل قوته وفِكره على الفِعل، ولكن ما يكفي فقط لأدائه بشكلٍ جيد، وما تبقى من القوة محفوظٌ لأشياءٍ أخرى، الأمر شبيهٌ - في الجوهر - برفع الأثقال؛ لن تُحاول استنفاد القوة التي قد تستنفدها في رفع خمسين رطلًا في رفع رطلٍ واحدٍ، وبالتالي، إنك تستنفد قدرًا أكبر من القوة عندما تلتقط الإبرة وذهنك مشغول بشيءٍ آخر، لأنك عندئذٍ تحاول فعل

أمرين أو حمل ثِقلين في وقتٍ واحد، ستتذكر أن أي شيءٍ يدور في الذهن يستنفد القدر ذاته من القوة التي يستنفدها إذا أنجزه الجسد؛ لهذا السبب الأشخاص الذين يطيلون البقاء في الفراش في الصباح ويفكرون بقلقٍ في حجم القوة التي سيبذلونها لإعداد الإفطار أو تنظيف الغرف، سيقومون بذلك كله في الحال وهم مُستلقون على ظهورهم.

عند استهلاكك للطاقة الكافية تمامًا لأداء أي عمل (وهي قُدرةٌ ستتمكن من اكتسابها تدريجيًا كُلما استأنست بتلك الفكرة وهيأت غايتك واحتياجك تبعًا لها)، ستُشفي وتزيد من هذه الحالة الذهنية المنشودة دون انقطاع، والتي نُعبّر عنها في لُغتنا اليومية بـ "حضور البديهة"، هذا يعني - بعبارةٍ أُخرى- أن تفتح عيون ذهنك باستمرار – في أيٍّ مما تقوم به- لتراقب كل اتجاه، بينما ظاهريًا يبدو إصرارك وانشغالك كله مُنصبًا في فعلٍ واحد، وأن يكون ذهنك أو روحك كالعين الساهرة، أي في حالة ترقبٍ دائم لكي تُخطرك في جزءٍ ضئيلٍ من اللحظة بكل ما يدور حولك ولكي تُرشدك أيضًا إلى السبيل لمواجهة الحدث أيًا ما قد يكون. هذه ليست سمات الشجاعة فقط بل من سمات اللباقة والذوق أيضًا، إنه هذا الانتباه المُذهل ويقظة الذهن اللذان منحا التمهل لِضابط أمريكي أثناء الثورة حينما وجد نفسه فجأة في مواجهة فوج مُشاةٍ بريطاني ليسأل: "أي جيشٍ هذا؟"، فكانت الإجابة: "الفوج الملكي"، وحدث ذات مرة أن السيدة "نيللي فارين" المُمثلة الإنجليزية الشهيرة، عندما علمت بالوقت الذي تطلب منها دورها في مسرحيةٍ ما أن تكفكف منديلًا كان قد نسي مُنسق المناظر تجهيزه وتجهيز الإبرة والخيط وما إلى ذلك ووضعهم في مكانهم، جلست ودون لحظة ترددٍ أخذت تُقلد بتلقائيةٍ شديدة حركة وطريقة ربة المنزل حينما تُخيط الملابس لدرجة أن الجمهور لم يلحظ هذا التقصير، هذا التصرف تضمن ثباتًا وهدوءًا وتمهلًا وشجاعةً وحضورًا للذهن. ألا تُشير كل هذه العِبارات إلى حالة ذهنية مُشابهة؟ لن تستطيع امرأةٌ اعتادت أن تكون مُضطربة ومُتسرعة فعل ذلك، ولكن أعتقد أن السيدة "فارين" عندما رأت أنه من الصواب التقاط الإبرة فعلت ذلك بطريقةٍ أكثر تمهلًا من الطريقة التي قد يلتقط بها شخصٌ من عادته الاضطراب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والتسرع.

ازرع الفعل المُتمهل في كل شيء لتحصد أساسًا راسخًا لكلٍّ من الشجاعة المعنوية والجسدية.

بيد أن الفعل المُتمهل لا يستلزم دائمًا بُطء الحركة؛ فمثلما يتحرك الفكر بسرعةٍ فائقة يتحرك الجسد بالسرعة ذاتها عندما تستوجب الظروف، ولكن الفكر يجب أن يُنظَّم ويُصاغ بوضوحٍ داخل العقل قبل السماح له بالتأثير في الجسد؛ وفور تنظيمه أو صياغته بالفعل سيبدأ مفعوله على استخدام العضلات، كحركة المُبارز الماهر السريعة في الطعن وتفاديه وكذلك راقصة الباليه المُحترفة؛ في الواقع حركة كل من يمتلك مهاراتٍ رفيعة ويُمارسها ببراعةٍ وخِفة، سواء أكان رسامًا أم موسيقارًا أو من يحترف أي فنٍّ من الفنون الأُخرى، ولكن في أغلب الأحيان هذه ليست سوى سيطرة جزئية من العقل؛ فالفنان - بصرف النظر عن فنه - قد يمتلك سيطرة ذهنية غير مُحكَمة أو تمهلٍ ضعيف، ونتيجةً لذلك يُصبح شخصًا عصبيًا ومترددًا وسهل الاضطراب أو شخصًا خجلًا وغريب الأطوار.

العقل هو حاميتنا العسكرية حيث نتسلح بالكامل ونتدرب على مواجهة أي حالةٍ أو حدثٍ طارئ، ونتولى فيها صُنع رَجُلٍ وامرأةٍ من الأصِحّاء (أو صُنع الذات) ذهنهما لا يُركزُ انتباهه في وجهةٍ واحدةٍ من دون الوجهات الأُخرى.

أن ننشأ في النهاية وتركيزنا مُتساوٍ وأن نُصبح بقدر ما تقدمنا في السن "مُتعددي البراعات" أفضل بكثيرٍ من تركيز كل ما نملك من قوةٍ في موهبةٍ أو مقدرةٍ واحدة وأن نُصبح ما يسميه الناس "عباقرة"، في أغلب الأحيان تكون دخائل الأمور وراء "العبقرية" مُحزِنة وتدل على أنها قد جلبت الشقاء لمن اتصف بها. عشراتٌ بل ومئاتٌ من الأفعال البسيطة في الحياة اليومية كالتقاط الأغراض المُلقاة من الأرض وفتح وغلق الأدراج ووضع أو تناول الأغراض من منضدة الزينة والاهتمام بالتفاصيل الضئيلة في تنظيم المظهر، تتم من دون وعي ونحن في هذه الحالة الذهنية المُتسرعة وخصوصًا عندما يشغل انتباهنا غرض أكثر أهمية، فنختطف

CamScanner المسوحة ضوئيا بـ

الأشياء بدلًا من تناولها ونقبض على الأشياء بدلًا من الإمساك بها، نندفع بتهورٍ في فعل هذه الأشياء وبالتالي نُضعف أجسادنا ونُصبح في حالةٍ مُضنية، وفي النهاية نُصبح أشخاصًا "مخلوعي القلب" ومن السهل إخافتنا من جراء هذه العادة الذهنية، فالخوف يتسلل ويندس في ثنايا العقل بسهولة أكثر عندما يكون الجسد ضعيفًا.

لا يُمكن تغيير هذه العادة في يوم أو عام بعد أن تفشت في أعماق النفس على مدى الحياة، وكذلك لا يُمكن الشفاء الفوري من العلل النفسية والجسدية الناتجة عن هذه العادة، ولكن التخلص التدريجي منها هو ما يُمكن فقط.

إذا شعرت عند قراءتك لهذه السطور باقتناعٍ أنها "تحاول إفادتك بشيء" وإذا كنت مُتيقنًا أيضًا أن هُنالك مقطعًا يتطابق مع موضوع بعينه في حياتك، عندئذٍ تبدأ بالتعافي؛ القناعة الحقيقية – القناعة المُنبعثة من أعماق النفس - لا تُغادر المرء أبدًا ولا تتوقف عن إخراجنا وحملنا من الطريق الخاطئ إلى الطريق الصائب.

قد تبدو القناعة مخفية ومنسية لفترةٍ غير مُحددةٍ من الوقت، وقد تبدو عاداتنا المغلوطة أنها تزداد تأصلًا أكثر مما كانت عليه، الأمر ليس كذلك، ولكن عندما تضرب القناعات بجذورها في نفوسنا، نرى أخطاءنا رؤيةً أكثر وضوحًا؛ فنحن ننسى أننا كُنا في وقتٍ من الأوقات كالمصابين بالعمى؛ لا نعي ما نحن بصدده على الإطلاق.

إذا جعلك هذا الكتاب مُتيقنًا بوجود خطأٍ مُترسخٍ منذ أمدٍ لديك، فلست أنا بمفردي من جعلك مُتيقنًا أو أظهره لك، إنني لم أظهر أكثر أو أقل من حقيقة تستأثر عليك وتدركها عاطفة الصدق بداخلك؛ فإذا استعنت بمشعالٍ لإضاءة شُعلة غاز، هذا لا يعني أنني اختلقت هذا الاشتعال، إنني مجرد وسيلةٍ ووسيطٍ لإشعال هذا الغاز؛ لا يُمكن لإنسان أن يختلق أو يبتدع الحقيقة؛ الحقيقة شيءٌ عميم، يشمل الجميع على نطاقٍ واسعٍ وهي مِلكٌ لكل فرد كالهواء الذي نستنشقه، وثَمّةَ مُتعة في أن نصبح منار الهداية إليها دون أن نجرؤ على ادعاء امتلاكنا لقوة خالقها.

الأهم من ذلك كله هو أن تسأل القوة العُليا المزيد والمزيد من الشجاعة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الخامس

انظر أمامك

تدفع النزعة لدى كثيرٍ من الناس بعد أن يصبحوا "مُتقدمين في السن" بعض الشيء إلى النظر إلى الماضي والشعور بالحسرة والندم، "النظر" يجب أن يكون في اتجاه آخر: "إلى الأمام".

إذا أردت الرجوع إلى الوراء بكل ما تعنيه الكلمة – ذهنيًا وجسديًا - فعليك بالاستمرار في خلق الحالة المزاجية التي تستغرق فيها بأسفٍ في حياتك السابقة.

من أهم السمات التي يتصف بها العقل المادي هي التمسك العنيد بالماضي؛ يروق له استحضار الماضي ليحزن عليه، ويجد سلسلةً لا تنتهي من مُتعة يُحتفى بها في استرجاع مباهج الماضي ثم يشعر بالأسى لأنها لن تعود مرةً أُخرى.

أما النفس الحقيقية - أي الروح - لا تكترث كثيرًا بالمقارنة مع العقل المادي بماضيها، بل تدعو إلى التغيير، وتطمح إلى أن تجعلك شخصًا فكره يختلف عما سيكون بعد عام من الآن، راغبةً ولو بعد ألف عامٍ من الآن في نسيان ما هي عليه اليوم؛ لأنها تعلم أن النزعة الجارفة إلى تذكر ما كانت عليه تؤخر سيرها قُدمًا نحو قوةٍ أكبر ومتعةٍ أعظم. لمَ تهتم لما كنت عليه قبل ألف عامٍ أو حتى قبل خمسة آلاف عام؟ لقد كنت شخصًا ولكنه شخص أسوأ بكثير مما أنت عليه اليوم، ربما يدفعك الفضول للإجابة على هذا السؤال لتعرف ما كنت عليه، هذا صحيح، ولكن هل يستحق الفضول إرضاءه إذا كان في هذا الإرضاء عليك أن تدفع ثمن نبش قبور "ذواتك" البائدة؟ هذه "الذوات"- وكان لكل ذاتٍ وجود مستقل - قد أدت دورها في حياتك، وربما جلبت لك المتاعب أكثر من المباهج. تُريد أن تحمل على عاتقك دائمًا ذكرى عبء هذه المتاعب، خاصةً عندما يجلب لك هذا العبء مزيدًا من المعاناة ويُفقدك الشعور بالبهجة؟

إنك تتصرف كالطائر الذي يُصر على أن يحمل معه قشر البيضة التي فقس منها

أينما حلّ؛ لديك ذكرى أليمة؟ أسرع بالخلاص منها، وإن لم تستطع فابحث عن المُساعدة من قواك العُليا وستأتيك بها على الفور. إذا أردت أن يُشيبك الكِبَرُ ويضعف جسدك ويذبل رونقك، عُد على الفور إلى ماضيك وعِش فيه وتأسّف على شبابك، عُد إلى الأماكن والمنازل حيث أقمت منذ عشرين أو ثلاثين أو أربعين عامًا، استحضر من فارقوا الحياة لكي تحزن على رحيلهم، عِش على ذكرى المباهج التي أمتعتك في وقتها ثم قُل إنها قد انتهت وتلاشت ولن تعود مرةً أخرى. إنك عند القيام بذلك تُرسخ تجسيد "ذواتٍ" بائدةٍ على جسدك كله؛ فإذا كان وجودنا في حياةٍ ماديةٍ أُخرى تصحبه ذكرى الحياة المُنصرمة، لا بُد من أننا سنواجه العالم بقلب رجلٍ أو امرأةٍ عجوزٍ مستضعفين وعاجزين جسديًا.

الشباب الجسدي شيءٌ نضر ومُزدهر؛ لا تثقله أي ذكرى مادية غابرة، فتزداد الفتاة جمالًا لأنها قد تمكنت من الخلاص من الماضي والذكرى الموجعة في حياتها السابقة، فتسنت الفرصة لروحها -نتيجةً لذلك- أن تُثبت وجودها وما بها من جمال داخلي، وتبدأ علامات "التقدم في السن" في الظهور على المرأة عندما يتغمدها الأسف على ماضٍ منذ عشرين عامًا. تستقدم روحك للجسد الذي تسكنه الرشاقة وخفة الحركة والجمال الفردي، لأنها صفاتٌ مخلوقة على "صورة الله" والروح اللامتناهية؛ والحيوية والجمال والرشاقة وخفة الحركة هي سمات هذه الروح.

في تلك المرحلة الحياتية التي أطلقنا عليها الطفولة والشباب تحظى الروح بالفرصة لكي تُثبت حاجتها إلى الجمال وخفة الحركة لأن الحسرات والاعتقادات الخاطئة لم تُرهقها بعد؛ فالمرح والحيوية والحركة التي لا تعرف الكلل التي يتمتع بها فَتى أو فتاة في العاشرة أو الثانية عشرة من عمرهما يرجع سببها إلى بهجة الروح التي لا تحمل عبئًا من حياةٍ ماضية، ذلك العبء هو إحدى الأفكار غير المُجدية التي قد يحملها المرء.

تستطيع أن تتمتع جسديًا بخفة ورشاقة الحركة التي تمتعت بها في عمر الخامسة عشرة، في حال أن استطعت التخلص من عبء الذكرى السيئة والمُعتقدات غير الصائبة التي داومت على تخزينها وحفظها طَوال العشرين أو الثلاثين سنة الماضية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبإمكانك أن تبدأ الآن في عملية تفريغ هذا العبء بالإصرار – وبمساعدة القوة العُليا - على أن تُسرع بالخروج من تذكر كل ما مضى وكان سببًا في إزعاجك وكل ما سحق قلبك ندمًا أو حُزنًا عليه؛ الله لا يحزن ولا يندم أبدًا، وأنتم – كأرواحٍ بشرية - مخلوقون على صورته، الله هو الخلود ومَبعث السرور والسكينة، كلما أبديت هذه الصفات ازداد اقتراب وتَشَبُّه روحك بروح الخير اللامتناهية. رأيت أعزاءك في هذه الحياة والتراب يواريهم؟ لن يُفيدهم حزنك عليهم، بل إنك تضع عائقًا بين أرواحهم وروحك باعتقادك أنهم "هالِكون". قد لا يؤدي ذلك إلى بعث حالة نفسية من الحزن في أرواحهم فقط بل إلى اجتلاب تلك الحالة المزاجية الكئيبة إلى نفسك أيضًا، مثلما يحدث للعديد من الناس عند الحزن. أفضل ما يُمكننا تقديمه إليهم هو الإيمان بأنهم على قيد الحياة مثلنا، وأن نصرف فظاعة مشهد قبورهم وشواهدها وتوابيتهم وأكفانهم من أذهاننا، إذا لم نتمكن من فعل ذلك فلنسأل القوة العُليا العون على ذلك.

كثيرًا ما نجعل أولئك الذين فقدوا أجسادهم يظنون أنهم أموات بالتفكير فيهم بهذه الطريقة، عندما تُفكر كذلك تنعكس ظنونهم عن فقدان الحياة علينا.لذلك، ابتعدوا عن ساحات القبور. قد أبدو لبعضٍ ممن يقرءون هذه السطور أنني قاسي القلب وفاتر المشاعر لقول ذلك، ولكن الحقيقة – كما تبدو لي - تقول إن ساحة القبور حيث لا يرقد أعزاؤك هي من الناحية المعنوية أكثر الأماكن ضررًا للزيارة؛ فهي مكانٌ محفوف بالتفكير في الأسى والهلاك والفناء، وعند زيارته تأتيك تلك الأفكار السوداوية وتُدخِلها في ذهنك، هذه الأفكار مُعاديةٌ بل قاتلةٌ لعنفوان الشباب ومرونة الجسد وبهجة الحياة.

ساحات قبورنا مليئةٌ بالأكاذيب؛ نحن نضع حجرًا فوق جسد أصدقائنا البالي وننقش على هذا الحَجَر كلمة "توفي"؛ هذا غير حقيقي؛ لم يتوفوا بل إنه جسدهم الذي قد استخدموه فقط هو ما يرقد هناك، ولكن هذا القبر الذي يحوي جسد صديقك الفقيد محفورٌ في ذاكرتك وذهنك.

يُمكننا فعل أي شيء، يُمكننا تصديق ما يمكن تصديقه عن الإطالة الأبدية للحياة

واستحالة حدوث أي شيء كالموت للجنس البشري، ولكن لا يسعنا سوى أن نصوّر في أذهاننا صورةً لجسد هذا الصديق وهو يتحلل في تابوته أو تابوتها عند التفكير في ذلك القبر أو زيارته مرة أخرى.

هذه الصورة نُرسخها في أذهاننا وهكذا نُرسخ في نفوسنا فكرة الحزن والموت والهلاك، إن فكرة الهلاك والموت شيءٌ له وجود حقيقي ونفوذ قوي، عندما نُطيل إبقاءه في الذهن نُضيف شيئًا من هذا الهلاك إلى الجسد. لذلك، ينبغي لنا أن نُجمع ونركز تفكيرنا قدر ما نستطيع في الحياة والارتقاء بالحياة؛ الحياة بها الكثير للاستمتاع به أكثر من أي شيءٍ قد أدركناه من قبل، لن تحظى به ونظرك مُلتفتٌ إلى الخلف. لهذا، انظر أمامك!

كل ندمٍ وكل فكرةٍ كئيبة تقتطع الكثير من حياتك، هي قوة تزيد الأمور مأساويةً وترسخ عادة التحسر والندم وتجعل العقل يُضفي صبغة من الحزن على كل شيء، وكلما طال اتباعك لهذه القوة ازدادت قتامة تلك الصبغة.

كذلك، في عودتنا بالذاكرة إلى الماضي لكي نعيشه من جديد هربًا من الحاضر، نُعيد استرجاع تلك الحالات المزاجية والنفسية البائدة التي تتعلق بذلك الماضي، هذا الشعور الذي دائمًا ما نُطلق فيه العنان لعاطفتنا سيسبب شكلًا من أشكال الاعتلال الجسدي، والاعتلال يرجع إلى حالة ذهنية يجب أن نطوي صفحتها إلى الأبد؛ عندما ننظر نظرةً إلى الأمام يُصبح من السهل علينا التخلص منها لنصبح بصحةٍ أفضل بكثيرٍ من أي وقتٍ آخر، وَعوَاقِب بالغةٌ - نقيضًا لذلك - ستحل على الجسد في النهاية إذا كان المزاج السائد في أذهاننا هو النظر خلفًا.

في الحياة العملية، يقضي الشخص النشيط والمُتطلع إلى النجاح أوقاتًا قليلةً في الاستغراق في الذكريات المُحزِنة، وإلا ستتأثر أعماله بسوء؛ لأن تفكيره مُتجهٌ بنظره نحو المستقبل وهو القوة الحقيقية التي تعطي أعماله دفعة إلى الأمام، إذا أنهكه في استرجاع "الذكريات السيئة" من الماضي ستخفق أعماله وتتراجع، يُحقق نجاحه (بقدر ما نجح بالفعل) مُتبعًا هذا القانون الروحي رغم احتمالية عدم الدراية به. ربما

تقول في عقلك: "لقد فشلت في حياتي وسأظل فاشلًا إلى الأبد"، هذا لأنك دائم النظر والتفكير فيما مضى؛ تعيش في إخفاقاتك لتجلب المزيد من الإخفاق، فلتُبدل هذا السلوك في عقلك لكي تنعم بنجاحٍ فيما هو تالٍ في حياتك.

لماذا تقول إنك "مُتعبٌ دائمًا"؟ لأنك تلتفت بأفكارك إلى الماضي وتُسهب في العيش في أوجاعك السابقة وبذلك تجلب المزيد منها إليك.

تناهى إلى سمعي التعبير المُستخدم الذي يقول: "عندما كانت الأرض شابة" وكأن هذا الكوكب في شيخوخته هذه الأيام وسيهلك ويتحلل عن قريب! ولكن من حيث النضارة وطول الأجل ونقاء وصفاء كل شكلٍ من أشكال الحياة، سواء أكانت حياة البشر أم الحيوان أو النبات أو ما هو أبعد من ذلك، لم يكن هذا الكوكب أكثر شبابًا كما هو اليوم؛ فالشباب هو الحياة بعينها، وهو النمو وازدياد الشيء جمالًا وقوة، وليس مرحلة الحياة الأولية الأقل تهذيبًا كما نظن؛ فما نزعم أنها "صخرةٌ يابسةٌ" تحوي في جوفها المقومات والعناصر التي تُساعد في تكوين شجرةٍ وزهرةٍ في المُستقبل، هل تُطيل هذه المقومات -التي تتغلغل في الشجرة أو الزهرة- أو تختزل من عُمرها؟إنها تُغيِّر فقط من مظهر الحياة ليصبح أكثر تطورًا وجمالًا، وكذلك نحن؛ يتغير شكل حياتنا ليصبح أكثر نُضجًا من مرحلةٍ عُمريةٍ لأُخرى.

ثم تتفتت الصخرة لتصبح بذلك الشكل المُتطور من الوجود، وكذلك العقل المُتحجر المُحتفظ بالماضي؛ يجب أن يتفتت ويندثر ليُخلي المجال للعقل المُتجدد، ليجعل منا الكائن الروحي الأكثر ازدهارًا، وفي الوقت الذي يتفتت فيه العقل المُتحجر يتفتت معه الجسد البالي، فالتغير الروحي يجب أن يقترن بالتغير الجسدي، ولكنك إذا حرصت على فهم هذا القانون والمغزى الحقيقي وراءه، فلست بحاجةٍ إلى فقدان الجسد المادي؛ بل استبداله بجسدٍ دائم التغير نحو الأفضل، فإن عشت مُعتقدًا بهذا القانون الروحي، فستفنى الحياة القديمة لتحل حياةٌ جديدةٌ محلها.

لا شيء في الطبيعة أو في الكون ثابتًا على وضعيته أو في حالة جمود، ولا شيء يعود إلى الوراء؛ ثمة قوة هائلة وحكمة غامضة تُحرك الأشياء كلها إلى الأمام نحو

مدارك وقدراتٍ أعظم، هذه القوة تشملك وأنت جزءٌ منها؛ ثمة قوةٌ خاصةٌ بك منذ أن كنت جنينًا في طور التكوين تمنع الجسد المادي الذي تسكنه روحك من أن يهلك، وثمة كذلك القدرة على استخدامه بطرقٍ قد تستبعدها الحكايات في الوقت الحاضر لجموح الخيال أكثر من اللازم فيها. إذًا، فشباب روحك أو الشباب الذي لا ينضب هو إرثٌ أبدي، أي أن تقدم عُمر جسدك لا يعني تقدم عمر روحك.

الروح لا تشيخ بالمفهوم المادي؛ فالأمر أشبه بأن نقول إن ضوء الشمس من المُمكن أن يتقدم في السن، أما إذا هَرِم جسدك فذلك لأن هذا الجسد قد أصبح صورةً وتجسيدًا لنفسٍ زائفة، أو "القشرة" التي كُسيت بها روحك، هذه النفس الزائفة تتشكل من أفكارٍ ومُعتقداتٍ تُسيطر على العقل منذ عُمرٍ جسدي مُبكر، وهي أفكارٌ مغلوطةٌ عاريةٌ من الصحة، وللتحسر والندم النصيب الأكبر منها، الندم هو قوة دفعٍ عكسية؛ انقلاب لِلعَقلِ يُجبره على النظر إلى الوراء في حين أن وضعه الطبيعي السليم هو النظر قُدمًا، إلى المُستقبل. عندما نتعلم في الحياة الجديدة التي سيبدؤها جنسنا البشري كيف ننظر دائمًا إلى المُستقبل نحو مزيدٍ من المباهج المُقبلة وأن نكفَّ عن البحث والتفكير في الماضي البائد وسحبه وراءنا أينما خطت أقدامنا، ستزداد أجسادنا - رجالًا ونساءً - جمالًا وخفةً أكثر بكثير مما هي عليه اليوم؛ لأنها تصف أو تعكس أفكارنا ومفاهيمنا التي ستظل ثابتة التصحيح على كل ما هو سويٌ ومُعتدل، وسنعلم أن ما هو قادمٌ وما تُخبئه لنا سعة الروح اللامتناهية لا بُد أن يفوق كل ما أدركناه سابقًا.

أما الحال اليوم لدى السواد الأعظم من البشر هو أن سلوك تفكيرهم مُخالفٌ لذلك تمامًا، لقلة اعتمادهم ووثوقهم بتلك القوة التي يُسميها علماء اللاهوت بـ "الرب"؛ فيُرددون في أذهانهم: "لن ننعم بسعادةٍ كالتي نَعِمنا بها من قبل، لقد ضاع الشباب ومُستقبلنا في هذا العالم غائم مفتقر إلى الحياة، كالغبار والرماد".

تترسخ حقيقة أن الحياة التي لا تنتهي بموت الجسد ببطءٍ في عقولنا، ذلك النوع من الحياة التي قد يبلغ فيها الإنسان السبعين من عمره لا تنتهي في القبور، بل تمضي وتستمر بِخُطى ثابتة مُستقيمة.

في الجانب الآخر من الحياة، يستيقظ الرجل "المُسن" - كما نُسميه - بعد أن يندثر جسده ليجد نفسه لا يزال مُسنًا، إذا كان هذا المسن ممن عاشوا "أكثر من أبناء جيلهم"، أو ممن يتعلقون بماضيهم المادي ويُفكرون فيه بأسف، أو ممن أصبحوا "مُسنين على تعلم أي شيء" ويظنون أنهم قد اجتازوا حياتهم كلها، فسيظل مجرد رجل مُسنٍ يعيش في عالم الأرواح. ليس هُنالك تحولٌ مُفاجئ من الشيخوخة إلى الشباب عند موت الجسد المُهترئ الفاني، فعند سقوط الأشجار تظل مُرتمية لفترة من الوقت حتى وإن كان ذلك في الحياة بعد الموت، ولكن في هذه الحالة لن يظل في الحالة ذاتها إلى الأبد، لا بُد أن يزداد شبابًا لا غمرًا، ولكي يحدث ذلك من الضروري ألّا يُغادر الجسد القديم فقط بل وكذلك العقل المادي القديم الذي صنع هذا الجسد، وعلى ذلك، تتخلص روحه من ذلك العقل عندما يكتسب جسدًا جديدًا (أو عندما تتناسخ روحه في جسدٍ آخر)، لأنه قد فارق الندم واستعادة الذكريات المُحزنة.

يجب على الإنسان أن يكون عقله فَتيًا، يجب عليك أيها الرجل ويا أيتها المرأة أن تُصبحا شابًا أو فتاةً يافعين في روحيكما ولكن من دون خَرق أو انعدام للوقار، بإمكانكما أن تتمتعا بمرح الشباب كله مع التحلي بحكمة الرُشد؛ الأمر لا يتطلب المُغالاة في التعقل والحكمة لكي تتمتعا بذهنٍ صافٍ وعقلٍ قوي.

ربما هُنالك أهميةٌ بعينها لاستعادتنا لحياتنا السابقة في الآونة الأخيرة وللوقت الذي نستغرقه في التفكير فيها؛ فأحيانًا ما نسترجع اضطراريًا - لبعض الوقت - حالةً ذهنية أو تجربةً سابقةً لتجعلنا أكثر وعيًا ببقايا الأخطاء في مُعتقداتنا التي ما زالت عالقة في أذهاننا مما سبق، وقد يحدث ذلك عندما نُعيد زيارة الأماكن أو التفكير في أشخاص كُنا قد فارقناهم منذ زمن؛ في تلك الزيارة أو ذلك التفكير تعود رَوابط ماضيةٌ والحالات المزاجية المُتعلقة بها، وربما أيضًا عادات قديمة كنا نعتقد أننا قد تخلصنا منها لتتردد إلى أذهاننا مرة أخرى، قد يستغرقنا التفكير في الحياة الماضية لبعض الوقت وقد نستعيد لوقتٍ عابرٍ عقلًا أو حالةً ذهنيةً قديمة كانا في السابق هما الراسخان لدينا في ذلك المكان أو ذلك الترابط، ولكن بعد قليلٍ يعود العقل الجديد والنفس الجديدة التي نشأنا عليها طَوال فترة التخلي الطويلة عَنْ تلك السابقة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لكي تتصدى لها، إنها تنظر نظرة بُغضٍ واشمئزازٍ على الحياة ذات التفكير الرجعي، والحياة الرتيبة العشوائية بما فيها من مُعتقداتٍ خاطئةٍ، وترفض (الروح) أن يكون لها أي صلةٍ بما تسبقها، فينشأ صراع في العقل بين الماضي والحاضر قد يؤدي إلى اضطرابٍ جسديٍ وقتي، تستيقظ فيه الحياة أو النفس القديمة (زُفات النفس القديمة) من رُقادها - كما كانت من قبل - وتحاول أن تُحكم قبضتها بل وتسيطر سيطرة تامةً على النفس الجديدة، فتَنبذها النفس الجديدة بفزع وهول، ولكنها ترى أيضًا - عند رؤية الزُفات بهذه الحالة - بقايا النفس القديمة التي ظلت لصيقةً بها طوال هذا الوقت دون الانتباه لذلك. إننا لا نتخلص من الخطأ في معتقداتنا دفعةً واحدة؛ كثيرًا ما نحتفظ دون وعيٍ بآثارٍ منه في الوقت الذي كنا نعتقد فيه أننا قد تخلصنا منه تمامًا، هذه الآثار هي ما خلفته أفكار الماضي والحالات المزاجية المرتبطة بها، ولكن عقلك الراشد المتجدد ينهض ليُفرغ ما تبقى عليه مما سبق.

هذا الإفراغ يتبعه اضطرابٌ جسديٌ لأن الروح تضع كل ما لديها من قوة في محو هذه الآثار من سابق العهد، قوة كالقوة الجسدية التي قد تستخدمها لتفادي هجمة من هجمات الأفعى، كذلك مُعتقداتنا القديمة الخاطئة؛ لا بُد من إزالتها قبل أن تتمكن الأفكار الجديدة الصالحة التي تتواتر مع زوال القديمة شيئًا فشيئًا من الاستئثار التام بعقولنا، أما إذا استمرت روحك في الاحتفاظ - باقتناعٍ ومن دون تُبصرٍ منها - بسموم أي معتقدٍ، فسيؤدي ذلك الاحتفاظ إلى التعثر والسقوط نحو الهاوية مثلما يتعثر العديد من الأشخاص في معتقداتهم الآن.

عندما تقطن عدة سنواتٍ في منزلٍ أو بلدةٍ أو موطنٍ مُعين تصنع نفسًا أو "قرينًا" روحيًا ينتمي إلى ذلك المكان؛ كل منزلٍ أو شجرةٍ أو طريقٍ أو أي شيءٍ آخر جرت العادة على رؤيته في هذا المكان يشكل جزءًا من تلك النفس في الفكر مُرتبطًا به، ولدى كل شخصٍ يعرفك في ذلك المكان صورة في أذهانهم لتلك النفس التي صنعتها تتجسد عند اللقاء بك أو الحديث معك، فمثلًا: إذا كنت معروفًا منذ سنواتٍ في ذلك المكان بالضعف أو التردد أو أنك شخصٌ غير عملي أو عاجزٌ عن التحكم في ذاته، وعدت للقاء الأشخاص الذين عُرفت بينهم بهذه الصفات، فإنك مُعرضٌ بشدة

لاستعادة تلك الصفات التي يذكرونك بها، رغم أنك ربما قد تغيرت إلى الأفضل، وعلى إثر ذلك قد يراودك شعورٌ جارفٌ بعودة نفسك السابقة مرة أُخرى واستحواذها عليك؛ عودة إلى هذا المكان وهذه الحالة بعد غيابٍ طويل تغيرت فيه مُعتقداتك تغييرًا جذريًا، وكأنك في حقيقة الأمر شخصٌ آخر أحضر معه عقلًا جديدًا مُغايرًا لما سبقه، ولكن "شخصك" القديم أو النفس البائدة التي قد عاشت في سنوات حياتك الماضية ستنهض من جديد عند الالتقاء بكل ما هو مألوف لك؛ ستظهر من المنازل التي سكنها أصدقاؤك سابقًا وإن كان يسكنها غُرَبَاء الآن، ستجدها في كنيسة القرية، في المبنى المدرسي القديم، في قضبان القطار نفسها وأعمدة السياج التي أَلِفت رؤيتها منذ سنواتٍ طويلةٍ، والأكثر من ذلك كله، ستظهر وتتجسد من جديد من ذاكرة الأشخاص الذين يعرفونك جيدًا لما كنت عليه منذ زمنٍ - لنقُل منذ عشرين عامًا – كل شخص من هؤلاء الأشخاص يُقوي لديك هذه الصورة عن نفسك السابقة، فتُجاذبهم أطراف الحديث على مستوى تلك الحياة أو النفس الماضية، أي أنك وقت الحديث معهم تُنحي نفسك الجديدة جانبًا وتتجاهل ما تُفكر فيه وما تعتقد به الآن، لأنك لا ترغب في إقحامها في آراء أصدقائك؛ فربما لا يستحسنونها أو قد تبدو لهم غريبةً وغير مألوفة، وإلى ذلك، ربما تلتقي بخمسةٍ وعشرين أو ثلاثين شخصًا لا يعرفونك سوى بشخصك القديم، فتتصرف بتلك النفس القديمة عند لُقياهم وتُكبح النفس الجديدة.

هذا الأمر يجعل النفس القديمة الهالكة لبعض الوقت شديدة النفوذ، ولكن لا يُمكنك المداومة على ذلك الحال؛ لا يمكنك بعث الحياة في رُفات ذاتك القديمة، فإنك إذا سعيت في العودة لما كنت عليه سابقًا سيبتئس ذهنك وفي أغلب الظن سيمرض جسدك؛ ربما تجد نفسك خاضعًا لحالاتٍ ذهنية تصف حياتك الماضية ظننت أن أمرها قد انتهى إلى الأبد، وقد تجد نفسك مُصابًا بالعديد من العلل الجسدية التي تتعلق أيضًا بتلك الفترة من حياتك لم تُعانِ منها منذ سنوات. هذه العلل ليست حقيقية، إنما هي الأفكار والمُعتقدات الخاطئة التي يحاول "شخصك" القديم ترسيخها في عقلك.

غُدت منذ فترةٍ ليست ببعيدة لزيارة مكانٍ لم أزره منذ خمسةٍ وعشرين عامًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قضيت فيه جزءًا من شبابي، وعشت في ذلك المكان بفكرٍ مُعيَّنٍ أو بمعتقدٍ اعتدت تصديقه، وشتان بينه وبين ذلك الذي أتبعه الآن، غدت لأجد أن المكان قد هلك بأكثر من معنى؛ توفي أغلب أصدقائي القُدامى ودُفنت رُفاتهم في القبور، ولكنني أدركت أن هذا الهلاك لا يزال شائعًا أكثر بين مُعاصِري الذين يُقال إنهم على قيد الحياة؛ لقد فقدوا الهِمة والمهماز(10) الدافع لتحقيق طموحاتهم الجامحة، واستسلموا لـ "كبر السن"، وأسهبوا في التفكير في الماضي والحديث عنه في أغلب الأوقات وعن "أطيب الأوقات الماضية"، وانتقدوا الحاضر والمُستقبل بالمُقارنة مع الماضي. ما كان يدور بخلدهم هو الظروف التي تركتهم عليها قبل خمسةٍ وعشرين عامًا وكيف كان إدراكي ورؤيتي للأشياء عندما تركتهم بالفعل؛ تحادثت معهم بعدما استُدرجت إلى تيار فكرهم لبعض الوقت "حفاظًا على الصلة القديمة" عن الماضي، فظل عالقًا في ذهني لعدة أيامٍ نتيجةً لذلك؛ أينما اتجهت وفي كل مُناسبة أجد ما يُعيد حياتي الماضية إلى ذاكرتي من الأحياء أو الجماد، وإذا بي أتوجه إلى ساحة المقابر وفي أعماق خاطري أُعيد تعارفي من جديد بأولئك الراقدين في ذلك المكان، لذلك، عشت أيامًا من فقدان الشعور والإدراك، وخلقت لنفسي مجالًا للهلاك والوَحشة في تلك الحالة المزاجية من الاستغراق في الذكريات السيئة؛ في البداية أُصبت باكتئابٍ شديد ثم ألَمَّ بي مرضٌ شديد الوطأة ووَهن جسدي وهنًا لا يُمكنني تحمله، وانتاب الارتجاف جسدي وامتلأ صدري بمخاوف غامضة.

لِمَ حلَّ كل ذلك بي؟ لأنني بالعودة إلى حياتي الماضية جلبت لنفسي حالاتٍ مزاجية قديمة مهجورة (عقلي القديم)؛ ذات نفسي التي تنتمي إلى هذا الزمان، ولكنني أنشأت منذ ذلك الحين عقلًا جديدًا ونفسًا جديدةً لا يتشابه فكرهما وقناعاتهما مع السابقين، ولن تستجيب النفس الجديدة التي نشأت عليها منذ أن غادرت هذا المكان وهذه البيئة المُحيطة لما قبلها؛ لقد تحررت منها وكان ذلك التحرر هو الشيء الذي تسبب في اضطراب جسدي؛ كان هُنالك ما يُشبه الصراع بين هاتين القوتين: إحداهما تحاول الاقتحام والبقاء والأخرى تحاول إبعادها والإطاحة بها، وكان جسدي هو أرض المعركة التي يدور فيها ذلك الصراع، وبطبيعة الحال،

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

لا هدوء في العيش على أرض المعركة والقتال على أشده. لقد كان من الضروري في هذه الحالة أن أنظر إلى الوراء وأن أعيش في الماضي لفترةٍ من الوقت لكي أتبين مضرة هذا السلوك؛ لن يُمكنك تعلم أي درسٍ كما ينبغي تعلمه إلا بالخوض في تجربةٍ تُرسخه في أعماق نفسك، ولم تكن مضرة العيش في الماضي في تلك الظروف وذلك المكان بعينه هي ما تبدت لي بوضوحٍ فحسب، بل أيضًا رأيتني للمرة الأولى في الماضي الذي ظللت مُستغرقًا في العيش فيه دون وعيٍ والعيش برجعيةٍ بطرقٍ لا حصر لها أستنزف نتيجةً لذلك -وأيضًا دون وعيٍ- الطاقة والقوة التي كانت لتدفعني إلى الأمام بكل ما تعنيه الكلمة، وأدركتُ كذلك بعد خوض هذه التجربة سبب شعوري بالاكتئاب قبل أسابيع من زيارتي لذلك المكان وشهادة عودة حالاتٍ مزاجيةٍ لم تنتبني منذ سنوات؛ السبب في ذلك هو أن روحي كانت قد سكنت ذلك المكان بالفعل، فأخذت تُحدث هذا التغيير وهذا الاستعداد الجسدي والعقلي للشعور بالاقتراب شيئًا فشيئًا إلى أن بلغ ذروته عندما وطأت قدماي (الجسديتان) أرض هذا المكان.

غالبًا ما تحدث كل التغيرات في الروح حتى قبل أن تُدركها حواسنا الجسدية ولو بقدرٍ قليل، لن يتصور أحدٌ ذلك لأنني أكتب عن هذه القوانين الروحية التي يُمكنني العيش وفقًا لها بشكلٍ كامل، إنني لست معصومًا من الخطأ أو السقطات؛ كثيرًا ما أرتكب الهفوات بين الحين والآخر وأنحرف عن جادة الصواب ثم أعود إليها مرةً أخرى.

إن القوة تأتي من النظر إلى الأمام والتطلع إلى المُستقبل بأملٍ من توقع وترجي حدوث أفضل الأشياء، ذلك هو قانون الذكاء اللامتناهي، وباتباعه تتصبغ عقولنا به وتستمد قوته لممارسة الحياة اليومية. الطبيعة تطوي مخلوقاتها البائدة سريعًا – بأسرع ما يُمكن- وتواريها عن الأنظار، ولكن من الأصوب أن نقول إن الطبيعة تُحيل ما لن تنتفع به أكثر من ذلك إلى أطوارٍ أخرى من الحياة، فتُنبت الشجرة الحية الورقة الجديدة مع كل عودةٍ للربيع، حيث صارت أوراقها اليابسة المتساقطة لا تنتمي إليها بعد الآن، ولن تحتفظ بأوراق أزهارها الذابلة لكي تسترجع الذكرى

الحزينة (وقت ازدهارها)، والشجرة ذاتها عندما تتوقف عن إنبات أوراقها وبراعمها، تتبدل هيئتها وتُحال إلى شكلٍ آخر من الحياة النباتية. غير أنني - وبعد كل ما قيل - لا ألمحُ إلى أنه ينبغي لنا أن نحاول محو ذكريات الماضي كافة، بل محو المؤسف منها فقط.

عِش قدر ما يُرضيك في الحقبة التي قد أدخلت على قلبك السرور ومنحتك لذة الحياة غير المُفسدة من ماضيك؛ فهُنالك مشاهدُ للذكرى كمنظر الغابات والأمطار المُنهمرة على الحقول والسماء الزرقاء وأمواج البحر العارمة ذات الزبد الأبيض ومناظر أخرى عديدة من مظاهر الطبيعة التي تتصل بحياتك التي تنفرد بها والتي يجوز لك تذكرها، فتعود عليك بالبهجة والنفع، هذه المشاهد ليست من الماضي المُهلك، بل هي مشاهد اليوم التي تزخر بالحيوية والنضرة والجمال.

ولكن إذا تسلل أي طيف من الحزن إلى هذه المشاهد، فانبذه وارفُض إقحام نفسه على الفور؛ إنه عنصر لا ينتمي إلى ذلك المشهد المُبهج الواهب للحياة؛ إنه الغمامة التي يتغير بها وجه السماء وتلقي بظِلها على كل جُزءٍ من المشهد فتُعتمه بأكمله إذا سمحت لها بذلك ولو لمرةٍ.

تكمن مهارة أن تصبح سعيدًا في التحكم في أفكارنا واستقاء الأفكار من مصادر الحياة السليمة المُزدهرة؛ عندما ينصرف ذهنك عن عادته، ربما القديمة، من التفكير في الجانب المُظلم من الأشياء والخلود فيه والخضوع للأفكار السوداوية ستُذهل من أن المكان الذي سبب لك الألم والوحشة هو بذاته المكان الذي سيبعث السعادة في نفسك، لأنك أخرجت حالةً مزاجيةً مُؤذية سمحت لنفسك بالانجراف داخلها من قبل، فتستطيع بعد ذلك أن تعود لزيارة الأماكن المُرتبطة بماضيك ولن تسترجع وتستعيد سوى الجزء المُشرق والمُفعم بالحياة من ذلك الماضي، وستمتنع عن التفكير في "التغيرات المؤسفة" و"من فارقوا الحياة دون رجعة" وما إلى ذلك.

لقد أثبتُّ ذلك لنفسي. هل من فائدة أو مغزى من السماح للأشياء بأن تجد سبيلًا إليك لإيذائك وإلحاق الضرر بك؟ هل أوصانا الله بأي فعلٍ مُزهقٍ للروح أو مُدمرٍ

للنفس؟ لا يفعل الحزن شيئًا سوى تدمير الجسد.

---

(10) قطعة حديدية مُثبتة في عقب حذاء الراكب، ينخس بها بطن الدابة حتى تسرع في المشي، كتلك التي يرتديها رعاة البقر في الغرب الأمريكي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل السادس

العقل اللامُتناهي في الطبيعة

أنت محظوظ إن كنت تُحب الأشجار، وخاصةً الأشجار البرية التي تنمو حيث غرستها قوة الخالق العظيمة بمعزلٍ عن انتباه الإنسان؛ لأن كل ما نُسميه "بريًا" أو "طبيعيًا" أقرب إلى الروح اللامتناهية من تلك الأشياء التي أخضعها الإنسان وأعاقها وشوه طبيعتها.

ولأنها أشياء أقرب إلى الروح اللامتناهية فبداخلها القوة والفكر اللامتناهيين الأكثر إبداعًا ومثالية؛ ذلك هو السبب الذي يجعلك تشعر عند وجودك في غُمرة البرية أو الطبيعة - في الغابة أو بين الجبال حيث لا أثر لكل ما هو من صُنع الإنسان بابتهاجٍ لا يوصف وتحررٍ لن تُدركه في أي مكانٍ آخر؛ إنك تستنشق عُنصرًا أساسيًا دائمًا ما تُصدره الأشجار والصخور والطيور والحيوانات، وكل تجسيدٍ من الروح اللامتناهية يُحيط بك، إنه عنصرٌ باعثٌ للنشوة ولكن بشكلٍ صحي، إنه أكثر من مجرد هواءٍ تستنشقه، إنه القوة والذكاء اللامتناهيان اللذان جسدتهما كل هذه الأشياء الطبيعية التي تؤثر فيك.

لن تحظى بهذه القوة وسط زحام المدينة ولا حتى في الحديقة المزروعة بعناية؛ لأن النباتات والأشجار فيها تُشبه كثيرًا عقل الإنسان الضئيل؛ العقل الذي يعتقد واهمًا أن بإمكانه تنقيح وجه الكون. يميل الإنسان إلى أن يضع في حُسبانه أن الرب قد وضع هذا العالم في صورته البدائية ثم تركه له برمته ليطوره ويُحسّن من حالته. هل هذا ما نعتقده حقًا عندما نُزيل الغابات الطبيعية التي وجدت على وجه الخليقة منذ بدايتها ومعها الطيور والحيوانات التي توطنتها ذات يوم؟

هل حقًا تُعد أنهارنا، المُحمل أغلبها بقاذورات البالوعات والمصانع، ومُدننا وبلداتنا دائمة الاتساع التي تُغطي مساحاتٍ تُقدر بالأميال بأكوامٍ من مواد البناء والتي يتكدس سكانها في أكثر الأحياء فقرًا، يمتلئ أسفلها بالبالوعات ويدوي أعلاها بالضوضاء والخطر – من "التحسينات" التي أضافها الإنسان على النظام الإلهي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والطبيعي للأشياء؟

إنك محظوظٌ إذا تعلقت بحُب الأشجار والحيوانات والطيور البرية تعلقًا جامحًا وعذبًا وصادقًا، فتُدرك بعد ذلك أن جميعها قد نشأ وتكوَّن من عقل وروح تمامًا كعقلك وروحك، ولديها القدرة أيضًا على منحك شيئًا ثمينًا في مقابل الحب الذي منحته إياها؛ الشجرة البرية لا تتجاهل ولا تُهمل حبًا كهذا، إنه ليس وهمًا وليس مجرد عاطفة بل إنه عُنصر مؤثرٌ وقوةٌ فعلية وواقعية تنبعث من خَلَدك إلى روح الشجرة فتلمسه.

إنك تُمثل ارتباطًا روحيًا وجزءًا من الروح اللامتناهية، والشجرة تُمثل ارتباطًا وجزءًا آخر منه، لها نصيبٌ من الحياة والفكر والذكاء ولك منهم نصيبٌ أكبر بكثيرٍ وسيصبح أكبر وأكبر من ذلك.

الحُب عنصرٌ حقيقي كالهواء والماء رَغم عدم رؤيته بالعين، إنه قوةٌ نافذةٌ فعالةٌ ذات حركةٍ جياشة، وفي هذا العالم الكبير - الذي يُحيط بنا والذي يعجز فيه الحس الجسدي عن الإدراك - تتحرك في شكل موجات وتيارات كتلك التي تتلاطم في المُحيط.

هُنالك حاسةٌ في الشجرة تلمس وتدرك عاطفتك فتستجيب لها، ولكنها لا تستجيب ولا تُبدي سعادتها بطريقتنا أو بأي طريقةٍ يُمكننا استيعابها في الوقت ذاته؛ طريقتها في الاستجابة هي طريقة الروح اللامتناهية (الله) التي هي جزءٌ منه، وهي طُرُق بعيدة المنال، تفوق مُلاحظتنا وليس لنا أن نتبين حقيقتها وسرها، بل لنا فقط أن نستكشف هذه الطرق وأن نعيش بها لما تبقى من حياتنا بقدر ما تجعلنا أكثر سرورًا وارتياحًا، سيشعر الجميع بالطمأنينة و"سلام الله الذي يفوق كل عقل" (فيلبي 4: 7) في الحين المُناسب، ولكن هذه الطمأنينة لا يُمكن إخضاعها للتحليل الكيميائي أو عملية تشريحٍ في غرفة الفحص.

بما أن الروح العظيمة قد خلقت الأشياء كلها، ألا يكمن ذلك العقل الواسع الحكيم في كل شيء؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إذا كُنا شغوفين بالأشجار والصخور وكل المخلوقات التي خلقها اللامتناهي، ألا يجدر بها- ردًا على شغفنا بها - أن تعطينا نفحةً من فكرها وحكمتها الفريدة من نوعها؟ ألا ينبغي لنا التقرب إلى الله بالتعلق بذلك التجسيد الرباني في الصخور والأشجار والطيور والحيوانات؟ هل نتوقع أن الإدراك والشعور بوجود الله أكثر كل يوم، وأن تبجيل العقل العظيم الذي يسع كل شيء ولا حد له، وأن استقاء المزيد من قوته يأتي فقط من خلال الاتصال الوثيق بأربعة أحرف: ا – ل – ر – ب؟

لعلك تضحك من فكرة أن الشجرة لديها عقلٌ تُفكر به، ولكن الشجرة في داخلها نظامٌ وأجهزةٌ حيوية كالتي بداخلك في أوجهٍ كثيرة؛ يجري في أنسجتها وخلاياها النّسَق (العُصارة) بدلًا من الدماء، ويكسوها اللحاء بدلًا من الجلد، وتستنشق الهواء اللازم للحياة من أوراقها بدلًا من الرئتين، من الضروري أن تحصل على غذائها فتستمده من التُربة والهواء والشمس، وتتكيف مع الظروف البيئية، فعندما تنمو شجرة البلوط في ظروفٍ تُصبح فيها مُعرضةً للخطر تثبت جذورها في الأرض بقوةٍ أكثر لكي تتحمل قوة عصف أي إعصار، وتنمو أشجار الصنوبر معًا وبكثافةٍ وتضرب جذورًا ضئيلةً في التربة لأنها تعتمد على الأعداد في تحمل شدة الرياح.

على هذا المنوال، ينفر النبات الحساس من اقتراب يد الإنسان؛ كثيرٌ من النباتات البرية كالسكان الأصليين؛ لا ينمون ولا يزدهرون في البيئات الاصطناعية.

مع كل هذه التشابهات الجسدية مع جسمك، أما زلت تُنكر نصيب الشجرة أو النبات من الفكر والروح الذي مَنحَتهُ إياها الروح اللامتناهية؟ كلا، ليس الأمر كذلك.

الشجرة جزءٌ من الروح اللامتناهية مثلك تمامًا، إنها واحدة من الأفكار التي لا حصر لها في العقل الواسع العظيم، ونحن نرى هذا الجزء أو شكلًا من هذا الفكر يتجسد في الجذع والجذور والفرع والورقة مثلما نرى من أنفسنا أجسادنا الملموسة فقط، لا نرى الجانب الروحي في أنفسنا ولا نراه في الشجرة أيضًا، إذًا، فهي بِمَعنى حرفي إحدى أفكار الله التي تستحق أن ندرسها لما تحويه من معرفةٍ عظيمةٍ وحكمةٍ إلهية لم نتوصل إلى فهم مضمونها حتى الآن.

نحن بحاجةٍ إلى هذه الحكمة، بحاجةٍ لأن نجعلها جزءًا من نفوسنا، بحاجةٍ إليها لأن الحقيقة أو الحكمة الحقة تمنحنا القوة، ونحن بحاجةٍ إلى القوة لكي ننعم بأجسادٍ أفضل وأكثر صحةً وحيوية، نُريد خلاصًا تامًا من المرض وقلبًا أكثر انشراحًا وبالًا أكثر ارتياحًا وخلوًا من الأعباء والهموم، نريد حياة جديدة ومتعة جديدة في العيش كل يوم، نُريد أن ننشأ بأرواحٍ وأجسادٍ خفيفة لا يُثقلها ولا يُرهقها تقدم السنوات، نُريد دينًا يكشف لنا الحقيقة ويمنحنا اليقين لا الآمال أو النظريات، ببساطةٍ نُريد إلهًا لا يرقى إليه الشك، نُريد أن نستشعر وجود الروح اللامتناهية في كل ذرّةٍ من كياناتنا، نريد مع كل يوم أن ينتابنا شعور مُتجدد بالبهجة في العيش، وأن نبدأ من حيث توقفنا بالأمس وأن نجد شيئًا جديدًا فيما كنا نظن أنه "قديم" ومُتهالك في الماضي.

عند دخولنا حيز الروح اللامتناهية واجتذاب المزيد من تلك الروح باستمرارٍ وجعلها جزءًا من أنفسنا، لا يُمكن لشيءٍ أن يبدو "مبتذلًا وعديم الجدوى".

نُريد قُوَى يرفض البشر الهالكون تصديقها الآن، نُريد أن نعلو ونرتفع عن شقاء وآلام وموت الجسد الفاني. هل تستطيع الأشجار أن تمنحنا كل هذا؟ قد تساعد كثيرًا في ذلك عندما نتآلف مع روحها، عندما نتبين ونُدرك المزيد والمزيد عن حقيقة ذلك الجزء الرباني الذي تجسده، وعندما نتوقف عن النظر إليها على أنها مخلوقاتٌ جامدةٌ بلا روح، إذا كانت نظرتك إلى الأشجار أنها قد خُلقت فقط من أجل استخراج ألواح الخشب والأحطاب، فلن تحصل منها على الكثير من ألوان الحياة، وما ستشعر به تجاهك بهذه الحالة هو ما قد تشعر به تجاه شخصٍ يَعُدك شيئًا بلا عقلٍ أو شعور، مخلوق للقطع واستخراج الألواح الخشبية أو الأحطاب فقط.

إننا نتعلق بحب كل شيءٍ من الله أو الروح اللامتناهية حينما نتجه بكل جوارحنا إلى حبه، والشجرة هي إحدى مخلوقاته، عندما نُرسل محبتنا إليها تُرجعنا بالمحبة ذاتها، وتلك المحبة - تلك النزعة والعنصر الفعلي - التي تبعثها الشجرة تتسلل وتنفُذ في كياننا وتُلحِق نفسها به فتمنحنا الحكمة والقوة، وستُعلِمنا أن للعقل والقوة التي

تُجسدها من اللامتناهي استخداماتٍ للإنسان أفضل بكثيرٍ من أن تتحول إلى وقودٍ أو ألواحٍ خشبية، وستكشف لنا أن الغابات التي تخترق السماء بفروعها وأغصانها وأوراقها الكثيفة هي مُوصلاتٌ فعلية لعنصرٍ حقيقي تحمله إلى الأرض، وهو عُنصرٌ واهبٌ للإنسان روح الحياة بما يتناسب مع قدرته على تلقيه واستيعابه.

إذًا، كلما ازداد اطلاعنا على الروح اللامتناهية، تبدى لنا بوضوحٍ أكثر أن هذه الروح تسع وتشمل كل شيء، وكلما اشتد وثاق العلاقة بيننا وبين الشجرة أو الطائر أو الحيوان كنظيرٍ لنا من المخلوقات، ازدادت قدرتنا على استيعاب العنصر المُحفز الذي تُصدره كل هذه المُجسدات. أما الشخص الذي يعتبر الأشجار مخلوقةً لكي نحصل منها على الوقود والأخشاب فقط، فليس من الممكن أن يحظى بشيءٍ من هذا العنصر الذي هو بالنسبة إلى عقلٍ أكثر نُضجًا إكسير الحياة؛ العقل الذي لا يرى في الأشجار أو الطيور أو الحيوانات أو الأسماك أو الحشرات سوى أنها أشيَاء بلا إدراكٍ أو حواس ولم تُخلق سوى للهلاك أو التسخير أو اللهو، يُقاوم من كل هذه الأشياء العنصر الذي تصدره والذي إذا اعترف به يسهُل عليه استيعابه والتسليم به، وباستيعابه تأتي قوةٌ وحياةٌ جديدة للعقل والجسد.

إننا نستقبل عنصر الحب والشغف بالأشياء بقدر ما نحمل منه في أنفسنا، ولن يمكننا استحضار هذا العنصر سوى من القوة العُليا، نستحضره بقدر تعظيمنا لكل تجسيدٍ من الروح اللامتناهية، ليكن هذا التجسيد شجرةً أو شجيرةً أو حشرة أو طائرًا أو أي شكلٍ آخر من الطبيعة؛ فلا يُمكننا إهلاك أو تشويه ما نُحبه بحق، وكلما أحببنا المزيد من المخلوقات حقًّا ازداد انصباب عنصر محبتها علينا، ذلك العنصر هو الحياة بالنسبة إلينا وهو شيءٌ حقيقي كالشجرة نفسها، وكلما استقبلنا تلك الحياة واتسع صدرنا لها، ازداد شعورنا بالقوة في الحياة التي لا يُمكن التعبير عنها سوى أنها: قوة خارقة.

أزل الغابات إذا أردت أن تُنقص لبعض الوقت مقدار هذا الغُنصر الذي تنشره الأشجار، أبدل الشجرة البرية بأشجارٍ دخيلةٍ غير مألوفةٍ أو مزروعاتٍ متنوعة إذا أردت تشويهه وإفساده وتثبيط القوة التي قد يمنحها، وغَطِّ سطح الأرض كله

بالمدن والبلدات والقرى إذا أردت إعاقة مدد عنصرٍ واهبٍ للحياة لا يجود به سوى الغابات في حالتها الطبيعية، عندما نظل ممتنعين عن الاعتراف بأن الشجرة جزءٌ من الروح اللامتناهية، نظل أيضًا ممتنعين وغير قادرين على استيعاب ما تثيره الروح اللامتناهية في الشجرة ومن خلالها. الأشجار دائمة العطاء لعنصرٍ يبعث الحياة في الإنسان، ضروري كالهواء الذي يتنفسه، أما صنع الإنسان فيبعث الغُبار والخراب بمجرد الانتهاء منه. وفي مُدننا العظيمة نستنشق الغبار مع كل نَفَس نأخذه.

لا شيء في هذا الكون في حالة ثباتٍ أو سكونٍ تام، كذلك مساحاتنا التي تُقدر بالأميال المُغطاة بالحجارة ومواد البناء من الطوب والملاط في تُغيرٍ مُستمر؛ تنسحق وتتحول تدريجيًا دون أن نلحظ إلى غُبارٍ دقيق، الأقمشة والجلود والحديد وكل المواد التي يرتديها أو يستخدمها الإنسان دائمًا ما تتآكل إلى أن تصبح غبارًا. انظر كيف يتراكم الغبار في غُرفتك في اليوم الواحد على الأرفف والمنضدة أو على الملابس الأنيقة حتى إذا لم تُفتح نوافذها.

هُنالك قوة هائلة تعمل باستمرارٍ على تحطيم وتفتيت كل ما يُقابلها، دع فقط شعاع الشمس يتسرب عبر صدع مصراع النافذة ولاحظ تسلل وتناثر عددٍ لا حصر له من ذرات الغبار، فكّر في كَمّها الهائل، وكم هي أدق من أن نعتبرها ذراتٍ لا يُمكنك رؤيتها، كل هذا الغبار عُنصرٌ مُكدرٌ يُبعث في كُلٍّ من الجسد والروح، بعكس الأشجار وكل المخلوقات الطبيعية تبعث عُنصرًا نابضًا بالحياة، وكذلك أجسادنا دائمًا ما تتخلص من مَوَاد لم تعد بحاجةٍ إليها من خلال الجلد، في المدينة الضخمة آلاف مؤلفة من الأجساد تطرح عُنصرًا مُهملًا أدق من أن نعتبره غُبارًا؛ هذا ما يدخل رئتينا ويخرج منها، إننا نستنشق أشياء من بعضنا بعضًا مرارًا وتكرارًا، هذه الغيمة غير المرئية من المواد المختلفة التي تُغطي المدن المُزدحمة والتي لا تُساعد على إدامة الحياة، بها نوع مُعين من الحياة مثلها كمثل كل شيء به حياة، ولكنه لا يُلائم حياة الإنسان التي يتكاثر ويتطور فيها.

عندما نحظى بحياةٍ وصحةٍ أبديتين وسعادةٍ خالصة ستتغير عقليتنا ومفهومنا عن الشجرة والطائر والحيوان وكل مخلوقٍ في الطبيعة تغييرًا جذريًا، ونتيقن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أن في الوقت الذي نتعلق فيه بحب كل تلك التجسيدات من الروح اللامتناهية - الشجرة والنبات والطيور والحيوان - وعندما نرفع أيادينا بالكامل عنها (لا نُفسدها أو نعبث بها)، سترسل لنا مع حبها بعضًا من نصيبها وصفاتها المستمدة من تلك الروح، وتتدفق إلينا حياةٌ جديدةٌ ومصدرٌ لحياةٍ تتمتع فيها بقوةٍ وسعادةٍ أعظم بكثير من تلك التي في الوقت الحاضر.

يسألني أحدكم: "ولكن كيف لنا أن نحصل على الوقود وألواح الخشب من دون قطع الأشجار وكيف لنا أن نحصل على الغذاء من دون ذبحٍ للطيور والحيوانات؟" هل تظن أن ليس هُنالك حياة أو نمط حياة آخر غير ذلك الذي نعيشه الآن؟ هل تظن أن في حالة العقل الرفيعة المُتعالية التي نُسميها "النعيم" سيكون هُنالك قتل للحيوانات وقطع للأشجار وتشويه أي تجسيدٍ للحكمة العُليا؟ هل تعتقد أنه بإمكاننا الانتقال إلى تلك الحالة الذهنية الأسمى والأكثر سعادة دون معرفة القوانين التي من خلالها فقط يمكن تحقيق هذه الحالة؟ الأمر أشبه بأن تتوقع نجاح القيام برحلةٍ بحريةٍ حول العالم دون أي دراية بفن الملاحة، إننا لن ننجرف إلى النعيم كما يندفع البرميل ويدور مُنحدرًا نحو أسفل التل، لا يُمكننا الامتناع مُباشرة عن تسخير وذبح الأشجار والطيور والحيوانات أو تناول الأغذية الحيوانية؛ يجب أن يحصل الجسد على هذا النوع من الغذاء ما دام يستسيغه ويشتهيه، ولكن عندما تُنقّي أرواحنا وعقولنا الجسد وترتقي به إلى العناصر الأسمى ترفض المعدة وحاسة التذوق استهناء اللحوم من كل صنف؛ لن تحتمل مذاق أو رائحة المخلوقات المذبوحة، فعندما تُرسخ الروح هذه المواد تُرسخها بثباتٍ وإلى الأبد.

كثيرًا ما كان خطأ الإنسان في الماضي هو سعيه إلى روحنة نفسه أو دفعها للدخول بملء إرادته في حالة أسمى وأرفع، ولتحقيق هذه الغاية فرض على نفسه وغيره تكفير الخطايا والذنوب والزهد والصيام عن كل الملذات التي تشتهيها فطرته، لم ينج من الأمراض والتحلل وهلاك جسده ولم يُجدد ويعيد نشاط جسده بهذه السلوكيات قط، بل أضاع جسده في النهاية تمامًا مثلما أضاع الشخص الشره والسّكّير أجسادهما؛ فكانت خطيئة الشخص المُتقشف هو عدم الوثوق بأن القوة

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

العُليا سترفع من قدره في الحياة، والاعتماد فقط على نفسه ومساعيه الشديدة، هذه إحدى أعظم الخطايا لأنها تقطع الصلة لبعض الوقت بين ذلك الشخص وبين القوة العُليا والنشاط والعفوية التي تمنحهما عند الوثوق بها؛ لا سبيل للخلاص من أي خطيئة أو أي عادةٍ خبيثة أو إفراطٍ بسوى الاعتماد الكلي على القوة العُليا بداخلك في الإقلاع عن التوق الشديد والرغبة المُلحة التي تختص بها تلك العادة، ودون ذلك سيبدو الإنسان مقومًا تقويمًا ظاهريًا؛ لن يَقوم داخليًا أو روحيًا أبدًا؛ فالكبت لا يُفضي إلى إصلاح النفس.

كان المُتعصب في كل عصرٍ وكل عقيدةٍ هو الشخص الذي يظن أن باستطاعته أن يضع نفسه موضع الملائكة، هذا المُعتقد يجعل الإنسان يقف عاجزًا عن السير في مسارات حياته، في حين أن القوة العُليا دائمًا ما تدعو: "هَلُمَّ إلي، اسألني، اعثر علي في كل الأشياء المخلوقة، وسأجعل لك أفكارًا وأشياء ومفاهيم جديدة، وعُنصرًا جديدًا من شأنه أن يُغير أذواقك وشهواتك، ومن شأنه أن يُذهب فظاظة الفِكر وأن يتخلص تدريجيًا من الشهوة العارمة والرغبة الجامحة التي لا تُشبع، ويأتيك بملذاتٍ ستنالها لاحقًا"، سيتضح لنا بمرور الوقت أنه عندما نحظى بحياة أعلى وأسمى وأكثر دوامًا (والتي يجب أن ينشأ الجميع على السعي إليها) يصبح لدينا أكبر دافعٍ يُمكنه أن يدفعنا إلى منح الأشجار والنباتات والطيور والحيوانات وكل تجسيدات اللامتناهي الأُخرى، الحياة التي تستحقها وحريتها الكاملة.سنصبح مُلزمين -إلزامًا وديًا- بحب هذه التجسديات؛ فما نُحبه بحق لا نقدرُ على الإساءة إليه أو قتله أو إخضاعه من أجل رغباتنا؛ إننا نُقفص عصفورًا لإمتاع أنفسنا وليس لإمتاع العصفور، ذلك ليس أسمى مظهر من مظاهر المحبة للطائر.

الحب في أسمى صوره والشغف بالأشياء بالنسبة إلينا هو المصدر الفعلي للحياة؛ فكلما أحببنا مخلوقاتٍ أكثر في الطبيعة وهبتنا بدورها مزيدًا من حبها الطبيعي وحيويتها.

إذًا، بينما نحن نُنمي ونُحسن ونزيد من هذه القدرة على استكشاف الطيور والحيوانات والحشرات، أو بعبارةٍ أُخرى الروح اللامتناهية في كل الأشياء والشغف

بها، سنجني خبًا وحياةً مُتجددة وقوةً ونشاطًا وسلامًا واستلهامًا، ليس من هذه المخلوقات فقط، وبل من نُدف الثلج المُتساقطة والمطر الغزير والغيمة والبحر والجبل، وهذه لن تكون مجرد عاطفة تنتابُنا بل سُبُلًا عظيمة لتعافي الجسد وتقويته؛ هذه الأشياء تمنح الروح القوة التي تأتي لكي تستمر، وما يزيد من قوة الروح يزيد من قوة الجسد حتمًا.

هذه القدرة على حب الأشياء واجتذاب القوة منها هي شيءٌ ينتسب إلينا، ولكننا لا نستطيع اجتلابه لأنفسنا من دون مطالبة القوة العُليا به.

من الطبيعي أن تسأل: "ولكن، لمَ لم تغرس القوة العُليا هذا الحُب الأسمى في نفوسنا من البداية؟ لمَ سمحت تلك القوة للإنسان بالاستمرار لوقتٍ طويل في إفساد الطبيعة وقتل كائناتها؟ لمَ شمح للعواصف والزلازل والحروب والعديد من أشكال قوة الطبيعة وكذلك بطش الإنسان أن تجلب هذا القدر الكبير من الكوارث والمُعاناة؟".إننا لا نُقدِم على إيجاد تفسيرٍ للحكمة اللامُتناهية، يكفي لنا أن نعلم بوجود طريقٍ يُبعدنا عن كل ما نعُده مكروهًا، ويكفي لنا أننا كَبَشَر جدد بأذهانٍ مُعدلة نعلم أن الوقت الذي ننسى فيه هذا المكروه إلى الأبد سيحين، وفي قوى الطبيعة سنرى ما الجيد وما يجلب لنا الغبطة والسرور، ليكن ذلك النيران أو العاصفة أو أي شيء آخر، إننا لسنا دائمًا من الأشياء الجسدية الملموسة التي تتضرر من النار أو العاصفة؛ فعلى غِرار ٱلشُبّان ٱليهود ٱلثلاثة، لم يتأثروا بنيران الأتون المُتقدة وساروا وعبروا من خلالها، ولم يجد يسوع المسيح أي مَشَقةٍ عند هبوب العاصفة أثناء سيره على المياه. ما أظهره التاريخ أنه من المُمكن حدوثه لبعض الناس من المُمكن أن يحدث للجميع.

الوصال مع الطبيعة أمرٌ أرقى بكثيرٍ من مجرد عاطفة؛ إنه اندماجٌ بكل ما تحمله الكلمة من مَعنى مع الذات اللامتناهية، والعُنصر المُنهمر علينا من هذا الاندماج والذي يؤثر في الذهن والجسد حقيقي كأي شيء نراه أو نشعر به، ولكن القدرة على الاندماج مع الله من خلال تجسيداته في السحاب والشجرة والجبل والبحر والطيور والحيوانات لا يمتلكها جميع الناس بدرجةٍ مُتساوية؛ بعضٌ منهم يشعر بالبؤس

والوحشة إذا صاروا بمفردهم في الغابة أو السهل أو الجبل؛ بعيدين بالمعنى الحرفي عن تيار فِكر وعُنصر تلك الأشياء، يرتاحون في العيش فقط في صخب المدينة أو ثرثرة أهل المنزل، ويجدون الحياة في الأوساط المُصطنعة فقط، أرواحهم يكسوها اصطناعية موغلة ومتزايدة تفصلهم عن أي إحساس بتجسيدات الله في عُزلتهم مع الطبيعة؛ وبانفصالهم هذا تتملكهم الوحشة والوحدة إذا وجِدوا في الغابات؛ الطبيعة تبدو ضارية بالنسبة إليهم وتبعث على الانقباض.

لا يشعر الشخص القادر على اللجوء إلى عُزلة الطبيعة والاستمتاع بها لفتراتٍ بأي عُزلة أو وحشةٍ على الإطلاق، بل يشعر بابتهاج وشعورٍ جامحٍ بالنشاط والخفة، وسيعود إلى مُحيطه البشري بمزيدٍ من القوة، قوة فريدة من نوعها؛ لأنه قد "سار مع الله" (تك 5: 24) أو روح الخير اللامتناهية بمَعنًى حرفي.

هكذا اكتسب العراف والنبي وصانعو المُعجزات قدراتهم في قصص الكتاب المُقدس، فلقد التجأ يسوع بالجبال لكي يستمد القوة من ذكاء العقل اللامُتناهي، وشغُف أبناء الشرق والسُكّان الأصليون الذين أظهروا قُدراتٍ هائلةٍ بخلوة الطبيعة والعيش بسرورٍ في خضمها، وهم قادرون على تأمل الصخور أو جداول المياه أو المُحيطات لساعات، كفاقدي الوعي بما يحدث حولهم في تلك اللحظة؛ فلقد شردت أرواحهم بعيدًا عن أجسادهم لتستمد وهي في حالةٍ حالمة أفكارًا من عقل الذكاء اللامُتناهي.

قلّما تجد شخصًا حاكمًا أو مُحاربًا أو مُخترعًا أو مُستكشفًا أو شاعرًا أو كاتبًا ترك بصمته، وكان له تأثيرٌ في الجنس البشري، لم يكن شغوفًا بالوصال مع الرب أينما وجد بسهولة؛ فأينما يكون الرب يُولد الإلهام؛ الشاعر لن يتغنى بالمُدن وزواياها القائمة التي بُنيت على نَسَقها أو بمصارف المياه المُتكدسة أسفلها ومعابر الطرق المُرتفعة التي تعلوها مثلما يتغنى بالجبل الوعر المُلتفع التفاع "جورا بالضباب"(11).

إننا لا نستطيع تدريب أنفسنا على اكتساب هذه القُدرة من أجل الاستمتاع بكل ما

في الطبيعة على الأرض أو استمداد القوة منها؛ فادعاء فضيلةٍ لا نتحلى بها أمرٌ قهريٌ ومصطنعٌ، ويجعل المرء أخْرق بعاطفية مُفرطة. ولكن عندما نسأل الله اللامتناهي العقل الجديد القادر على العثور على الله وإدراكه من الغابات أو البحار أو في عين العاصفة والإعصار والشعور بالطمأنينة، وكذلك استجماع القوة والصلابة من قوى الطبيعة عندما تبدو في أشد صور غضبها وهياجها بإلحاحٍ ومثابرةٍ، سيحل ذلك العقل بتلك القدرات محل العقل القديم شيئًا فشيئًا، وباكتساب "العقل الجديد" سيصبح كل شيء جديدًا.

---

(11) عبارة مأخوذة من قصيدة سردية طويلة بعنوان "حج تشايلد هارولد" للشاعر الإنجليزي لورد بايرون، نُشرت بين عامي 1812 و 1818 تصف رحلات وانعكاسات شاب مرهق من العالم، ويشعر بخيبة أمل من حياة اللذة والصخب ويبحث عن الإلهاء في الأراضي الأجنبية، فيصف أسفاره من خلال البرتغال وإسبانيا و جزر البحر الأيوني وألبانيا وبلچيكا ووادي الراين وجبال الألب والجورا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل السابع

قوانين للصحة والجمال

أفكارك هي ما تُشكل ملامح وجهك وتُظهِر فيه التعبيرات الخاصة به، أفكارك هي ما تُحدد سلوك وشكل ووضعية جسدك بالكامل.

قانون الجمال - أي مقياس الجمال - هو نفسه قانون الصحة الجيدة؛ يعتمد كلاهما بالكامل على حالتك الذهنية، أو بتعبير آخر، نوع الأفكار التي كثيرًا ما تطرحها وتستوعبها، لذلك يأتي قُبح الوجه من انتهاكاتٍ لاشعوريَّة للقانون، سواء أكان لدى صِغار السن أم الكِبار؛ كل شكلٍ من أشكال الفساد والضعف في جسم الإنسان أو أي شيءٍ يثير اشمئزازك في مظهره الشخصي مصدره الحالة الذهنية التي تُسيطر عليه. الطبيعة تغرس شيئًا في أنفسنا يُدعى "الفطرة"، أو ما نُطلق عليه نحن الإدراك الأعلى؛ لأن مصدره هو استخدام سلسلة من حواس أدق من حواسنا الخارجية أو الجسدية تُنفرنا من كل ما هو مُشوَّهٌ أو مُثيرٌ للاشمئزاز أو تبدو عليه مظاهر الاعتلال، تلك هي النزعة الفطرية في طبيعة الإنسان التي تَنبِذ الشيء المَعيب وتُفضِّل وتسعى للوصول إلى الشيء المثالي نسبيًا. ولقد أصاب إدراكك الأعلى في نفوره من عيوب الجسد أو تهالكه أو أي تَلَفٍ فيه، للسبب ذاته الذي يجعلك مُحِقًا في النفور من الملابس المُتسخة أو الممزقة؛ فالجسد هو الرداء الفعلي والأداة التي يستخدمها عقلك وروحك، إنها الفطرة ذاتها أو الإدراك الأعلى الذي يجعلك مُفتتنًا بالجسد المتناسق والممشوق، ويجعلك مُنبهرًا بطقمٍ جديد حَسَن الذوق من الثياب.

قيل لك وللأجيال التي تسبقك - جيلًا تلو الآخر- إن من الضرورة الحتمية وأنه قانونٌ في نظام الطبيعة في كل وقتٍ وكل عصر أن يذبل جسدك ويفقد رونقه بعد وقتٍ مُحددٍ في حياتك، وحتى عقلك لا بُد أن تضعف قدراته مع تقدم السنوات، وقيل لك إن عقلك لا يملك القوة الكافية لتجديد جسدك واستعادة صحته وجعله أكثر نشاطًا باستمرار.

لم يعد في نظام الطبيعة الحتمي أن الأجساد البشرية لا بُد وأن تذبل أو تضعف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مثلما كانت في الماضي، لم يعد ذلك الأمر حتميًا مثلما كان من الضروري أن يستقل الإنسان عربة الجياد إذا أراد أن يسافر مسافاتٍ بعيدةً منذ ستين عامًا، أو أن الرسائل يجب أن تُبعث في نموذج خِطاب مثلما كان الأمر منذ خمسين عامًا قبل استخدام التلغراف الكهربائي، أو أن صورك لا يُمكن تصويرها بسوى ريشة الرسام مثلما كانت منذ نصف قرن، قبل اكتشاف أن الشمس من المُمكن أن تطبع صورةً لك؛ نُسخة فعلية من هيئتك على سطحٍ حساسٍ للضوء مُمهدٌ لها.

إنها وقاحة الجهل الشديد التي تجعلنا نزعم أننا نعلم ما في نظام الطبيعة أو ما سيصير فيه؛ فمن السفاهة والخطأ الفادح أن نُشير إلى معرفتنا الضئيلة بما كان يحدث في الماضي ونزعم أن هذه هي الحقيقة المعصومة من الخطأ التي تتكهن لنا بما سيحدث في المُستقبل.

إذا كان هذا الكوكب -مثلما يقول علم الچيولوچيا- فيما مضى أكثر امتلاءً بقوى ويحفل بنُظُم وأشكال حياة نباتية وحيوانية وحتى بشرية أشد ضراوةً من الآن، ثم صارت أكثر تطورًا وتحرزًا من المخاطر في الوقت الحالي، أليس ذلك هو الإيحاء والإشارة والدليل على ظهور تطورٍ وتثقيفٍ في المُستقبل أو في الوقت الحالي؟ ألا يلمح هذا التحرر إلى قوة فائقة كالقوة التي تُخلص الحديد في صورته الأولية وتُنقيه من الشوائب ليخرج منه الفولاذ؟ ألا تتولد هذه القوى الفائقة التي لم تُكتشف حتى الآن من النظام الأسمى والأكثر تعقيدًا من بين كل الأنظمة المعروفة، ألا وهو: الإنسان؟ وهل اكتُشفت كل القوى التي يمتلكها الإنسان حتى هذه اللحظة؟

في الوقت الحاضر يُطرح هذا السؤال وغيره الكثير سِرًا، وفيما بين الآلاف من المُفكرين على هذه الأرض وغيرها في كل بقاع الأرض: "لمَ يتحتم علينا ذبول الحيوية والهلاك بهذه الطريقة وفقدان ما هو الأفضل الذي يستحق العيش لأجله فور اكتسابنا تلك الخبرة والحكمة التي تُناسبنا وتؤهلنا للعيش؟"

صيحة الجنس البشري دائمًا ما تبدأ بصَوتٍ هامِسٍ؛ دائمًا ما يكون دُعاء وسؤال ومطلب السواد من الناس في البداية دعاءً ومطلبًا سريًا أو أمنية غير مجهورٍ بها،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالكاد يجرؤ شخص ما على البوح بها لشخص آخر خوفًا من الاستهزاء به، ولكنه قانون الطبيعة الذي ينص على أن كل دعوةٍ، المنطوق منها والمكتوم، تأتي بمددها من الشيء المنشود على قدر شدة الإلحاح في التمني وكثرة عدد الراغبين الذين أطلقوا العنان - بفعل تأثير عقولهم في أمرٍ بعينه - لقوة الفكر الخفية تلك التي تأتي بإمدادها، والتي لم تلق المدارس الفكرية الفلسفية في العالم لها بالًا بعد. من ذلك، تمنى العديد – ملايين - من البشر بصمتٍ توافر وسائل أسرع للسفر والاتصال والمُراسلات، فأتت تلك الأمنية باكتشاف البخار واختراع التلغراف الكهربائي.

ستلبى عن قريبٍ أسئلة ومطالب أخرى دائمًا ما ينشدها جموع البشر في صمت، وعند تلبيتها وفي المحاولات الأولى لنيل المطالب والسُبُل المفضية إلى إنجاز وتحقيق أمورٍ عديدةٍ اعتُقِد أنها أشياء مُستحيلة من وحي الخيال، سترتكب الأخطاء والحماقات الفادحة والسفاهات، وستواجه إخفاقات وانهيارات تثير الازدراء والسخرية، مثلما تحطمت عشرة قطاراتٍ على السكك الحديدية وانفجرت عشرة مراجل في الحقبة الأولى من استخدام البخار، أما اليوم فمن النادر حدوث ذلك، ولكن دائمًا ما تتصدر الحقيقة رغمًا عن الأخطاء والسقطات لتثبت نفسها في النهاية.

هُنالك نوعان من العُمر: عُمرٌ لجسدك وعُمرٌ لعقلك، جسدك – بمَعْنَى ما - ما هو إلا نتاج وبناء البارحة إلى اليوم ومن أجل اليوم، أما عقلك فهو نتاجٌ أو بناءٌ من نوعٍ آخر يرجع عمره إلى مَلايين من الأعوام، اعتمد في نموه على أجسادٍ عديدة تنتمي إليك -بأُسُسٍ بسيطةٍ – إلى أن بلغ ما هو عليه الآن من قوةٍ وقدرةٍ على استخدام تلك الأجساد. لقد كُنت - وقت استخدامك تلك الأجساد - أكثر فظاظةً وغِلظة مما أنت عليه الآن؛ عِشت بطريقةٍ لا يُمكنك العيش بها الآن بأي حال؛ بشكل ونمط حياةٍ يختلف تمامًا عن النمط الذي تتبعه الآن. كل جسدٍ جديدٍ تلبسته كان ثوبًا جديدًا لعقلك، وما تُسميه "موت" كان ولا يزال مجرد اهتراء لهذا الثوب نتيجةً للجهل بالوسائل التي ليست بالضبط من الوسائل التي تُداوم على الاعتناء به، بل هي أكثر من الوسائل التي تداوم على تجديده باستمرار وجعله أكثر حيويةً ونشاطًا.

إذًا، أنت لست شابًا بالمقارنة مع جسدك؛ فصغر سنك في الوقت الحاضر لا يعني

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أن جسدك في طور الشباب، كلما تقدم العُمر بروحك ازدادت قدرتك على الحفاظ على شباب وحيوية ومرونة جسدك؛ لأن قوة عقلك التي كان قد استجمعها من أطوار وجوده المُتعددة تزداد قوة مع تقدمه في العُمر، بإمكانك استخدام تلك القوة للحفاظ على جمالك وحيويتك وكل ما يجعلك جذابًا في أعيُن الآخرين، وبإمكانك أيضًا استخدام القوة ذاتها بحُمقٍ ومن دون وعيٍ فتضعفك وتجعلك تبدو قبيحًا مفتقرًا للصحة والجاذبية، ومع شدة استخدام تلك القوة في كِلا النقيضين ستزداد قُبحًا أو جمالًا، صحةً أو عِلةً، جاذبيةً أو نفورًا، ولكنه نفورٌ يخص هذا الطور من الحياة، في النهاية لا بُد وأن تتوازن تلك الصفات في طورٍ ما - إن لم يكن هذه الحياة ففي حياةٍ أخرى – فتطور العقل، الذي لا يُمثل له تطور الجسد من الفظاظة إلى اللياقة شيئًا سوى أنه طرفٌ مُقابلٌ ونُسخة فجة غير ناضجة منه، دائم الاتجاه نحو الأعلى والأسمى والأفضل والأكثر إبهاجًا.

تلك القوة هي أفكارك، كل ما تُفكر فيه هو شيء حقيقي كالشجرة أو الزهرة أو الثمار، رغم عدم قدرتك على رؤيته بالعين الجسدية المُجردة، تعمل أفكارك على قولبة وتشكيل بِنية عضلاتك باستمرارٍ إلى بِنية وطريقةٍ في الحركة تتوافق مع طابعها، إذا كانت أفكارك ثابتة وحازمة فستصبح مِشيتك ذات خُطى ثابتة، وإذا كانت أفكارك دائمة الثبات والحزم فستُظهر وضعيتك وهيئتك بالكامل وأداءك في الحديث أنك تعني كل ما تقوله، وإذا كانت أفكارك مُتذبذبة بشكلٍ دائم فستصدُر منك إيماءةً وأداءً في الحديث ووضعية أو طريقة في استخدام عضلات جسدك، تعطي إيحاءً بالتردد الدائم، وإذا استمر ذلك طويلًا حتمًا سيصبح الجسد مُشوهًا بطريقةٍ ما، كما هو الحال بالضبط عند الكتابة وأنت في حالةٍ من الاستعجال؛ سيشوه تفكيرك المُتسرع شكل الأحرف وفي بعض الأحيان سيجعل الأفكار والعِبارات ركيكة، أما إذا كانت حالتك المزاجية أو تفكيرك أكثر هدوءًا وتمهلًا فسيحسن ذلك من شكل الأحرف ورسمها ويُلهمك صياغة عبارة سليمةٍ وأفكارٍ مُنمقة.

إنك تُغير حالتك بالتفكير بشكلٍ يومي فقط في شكلٍ أو تعبيرٍ وجهيٍ ما، الجيد منه أو السيئ؛ إذا كانت أفكارك تبعث على السرور دومًا سيبدو وجهك مُتهللًا، وإذا

كان المزاج المُتذمر الضَجِر الذي يميل إلى النزاع هو ما يغلب عليك طوال الوقت، فسيكثر هذا النوع من الأفكار من ظهور الخطوط والتجاعيد في وجهك، ويسمم دمك ويصيبك بعسر الهضم ويُفسد ملامحك، لأنك - في ذلك الحين - تُنتج في المُختبر الخاص بك الكائن والكامن في عقلك عنصرًا سامًا لا يُمكنك رؤيته، ألا وهو: أفكارك. عندما تطرحها أو تُفكر فيها ستجذب إليها بفعل قانون الطبيعة الحتمي النوع نفسه من عنصر التفكير من الآخرين؛ إنك تُفكر أو تفتح المجال في عقلك لدخول حالة الوجوم وسُرعة الاضطراب والانفعال، وقد يزيد أو ينقص اجتذابك لعُنصر الفكر ذاته من كل شخصٍ يائسٍ ورديء الطباع في بلدتك أو مدينتك. بالتالي يمتلئ مغناطيسك - أي عقلك - بشُحناتٍ من تيار فكره الكهربائي ذي النزعة الهدامة، وقانون الفكر وقوته الفعالة توصل تيارت فكر الكآبة واليأس وحِدة الطباع الأخرى كلها ببطاريتك النفسية، ألا وهي: عقلك.

عندما نُفكر في القتل أو السرقة، نرتبط بفعل هذا القانون ارتباطًا روحيًا ونتآلف مع كل لصٍ وقاتلٍ في الوجود. إن عقلك بإمكانه أن يُمرض جسدك أو يُشفيه ويُضعفه أو يُقويه، حسب ما يطرح من أفكار، وكذلك أثر فِكر الآخرين فيه. جرّب أن تصيح بكلمة: "حريق!" في قاعة مسرحٍ مُزدحمة، وانظر كيف ستضطرب أعدادٌ من الأشخاص وكيف سيُضعفهم الخوف ويشل حركتهم. قد يكون إنذارًا زائفًا ولكن مجرد التفكير في خطر الحريق والذعر الذي انتاب جسدك منه هو ما أضعفه. في بعض الحالات تؤثر فكرة الخوف أو حالته في الجسد بهذه الطريقة، فتُصيب شعر الرأس بالشيب خلال ساعاتٍ قليلة، وتُفسد الأفكار الساخطة والضَجِرة والانفعالية أو القَلِقة الهضم؛ فقد تؤدي صدمة عقلية مُفاجئة إلى أن يفقد المرء شهيته بالكامل أو أن تلفظ معدته الطعام عند تناوله. هكذا سيُصيب المرض الذي هاجم الجسد لدى عددٍ ضئيلٍ نسبيًا من الحالات بسبب الخوف أو غيره من الحالات الذهنية المؤذية ملايين من الأجساد في جميع أرجاء هذا الكوكب تدريجيًا.

لا يُصيبنا عُسر الهضم بسبب نوع الطعام الذي نتناوله بشدةٍ بقدر ما يُصيبنا بسبب الأفكار التي تدور في أذهاننا أثناء تناول الطعام، فقد نتناول أصح أنواع الخُبز في

العالم وأكثرها إفادة لصحة الجسد، ولكن إذا كُنا نتناوله ونحن في حالةٍ مريرة، فستلحق هذه المرارة بدمائنا وأمعائنا وملامح وجوهنا، أو إذا كُنا نتناول الطعام والقلق ينتابنا لاهتمامنا طوال الوقت بكمية الطعام التي من المُفترض أو ليس من المُفترض تناولها، وهل تضُر صحتنا أم لا، فإننا بذلك نستهلك عُنصرًا فكريًا باعثًا للقلق وتعكر المزاج سيُفسد عقولنا.

إذا كان تناول الطعام -على النقيض- يملؤه جوّ من البهجة والسرور والمرح والحديث الطريف العذب، فإننا نُدخل تلك البهجة والسرور على نفوسنا وتنطبع بتلك الصفات أكثر فأكثر. لو أن أفراد العائلة يتناولون الطعام في صمت أو يحضرون للجلوس على المائدة بحالةٍ أشبه بالإكراه والخضوع وكأن كل شخص منهم يقول في قرارة نفسه: "حسنًا، إننا مُلزمون بتكرار هذا الأمر كله مرةً أخرى"، ثم يُغرِق رب الأسرة نفسه في التفكير في مسؤولياته في العمل، أو يدفن رأسه في جريدته ليطالع كل جرائم القتل والانتحار والسرقة والفضائح خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية، وربة المنزل في حالةٍ من الاستكانة الساخطة أو تستغرق في التفكير في رعاية شئون المنزل، ما يحدث في ذلك الحين هو أنهم يُلتهمون بمعنى حرفي مثلما يُلتهم الطعام على تلك المائدة، وينبسط عُنصر فكر القلِق والقتل والانتحار - العُنصر الكريه الذي يروق له التركيز على كل ما هو مُروعٍ ورهيب - على طول المائدة من رأسها حتى طرفها المُقابل، فيصاب جميع الجالسين نتيجةً لذلك بشكلٍ من أشكال سوء الهضم العديدة.

إذا اعتاد الوجه العُبوس، فذلك لأن الأفكار التي تستتر وراء هذا الوجه في الغالب تدعو إلى العبوس، إذا نتأت زاويتا الفم إلى أسفل فذلك لأن الأفكار التي تُسيطر وتتحكم في شكل هذا الفم غالبًا ما تكون مبعثًا لليأس والتشاؤم، إذا كان الوجه تبدو عليه علاماتٍ لا تُشجع من حوله على التعرف بمن يرتديه، أو يجعلهم لا يرغبون في ذلك؛ فذلك لأن هذا الوجه لافتةً تُروج لأفكارٍ تختبئ خلفه لا يجرؤ صاحبه على التصريح بها للآخرين، بل ربما لا يجرؤ على مُناجاة نفسه بها أيضًا.

يتسبب التسرع الدائم، أي وجود الذهن أو الروح في مكانٍ ما قبل وجود الجسد

فيه بوقتٍ طويل، في انحناء الكتفين إلى الأمام؛ ففي تلك الحالة المِزاجية تبعث تفكيرك وروحك وذاتك الحقيقة - وإن كانت غير مرئية بالفعل - إلى المكان الذي تجذب قوتك وأفكارك رأسك إليه أولًا، لينشأ الجسد من خلال تلك العادة الحياتية على القالب الذي يضعه فيه الفكر.

الرجُل المُحافظ على "ثبات جأشه" لا يتعجل مُطلقًا؛ فثابت الجأش يحافظ على هدوئه ويكبح أفكاره وقواه العقلية وقدراته الحسّيّة في الأفعال والأهداف التي يقصدها في الوقت الحاضر باستخدام الأداة التي تستخدمها روحه، وهي: جسده. والمرأة ذات الطبيعة الرزينة الهادئة تتأنق في كل تحركاتها وإيماءاتها؛ لأن روحها تسيطر سيطرةً تامة على أداتها: الجسد. ولا تسبق بالفكر هذا الجسد ولو بميلٍ واحدٍ، وما من شيء يثير اضطرابها وعجلتها ويجعل فكرها مُنشغلًا بشيء من تلك المسافة من جسدها.

عندما نضع خطةً للقيام بأي مُهمةٍ أو اختراعٍ أو الشروع في أي شيء نخلق شيئًا من ذلك العُنصر الخفي، وهو: أفكارنا. الأفكار حقيقية وإن كانت لا تُرى كأي آلة مصنوعة من الحديد أو الخشب، ثم تبدأ تلك الفكرة أو الخُطة - بمجرد أن وُضِعت - في اجتذاب قوةٍ لتنفيذ نفسها - داخل المزيد من العناصر الخفية – وقوة لتجسيد نفسها لتصبح شيئًا ماديًا ومرئيًا.

عندما نتخوف من سوء الطالع أو نعيش في ذعرٍ من أي مكروهٍ أو نتوقع الإخفاق في كل شيء، إننا نُكوِّن بذلك أيضًا العُنصر الخفي (الفكر) الذي – وفقًا لما ينص عليه قانون الجذب ذاته - يجتذب له قوىً تهدمه ويجتذب لك عُنصرًا يُفسد سعادتك. إذًا، القانون الذي يضمن لك سعة العيش والقوة يضمن لك سوء الطالع أيضًا حسبما تستخدمه، تمامًا مثلما تستطيع قوة ذراع شخصٍ إنقاذ شخصٍ آخر من الغرق، تستطيع أيضًا طعنه بالخنجر في القلب.

أيًا ما يُمكننا التفكير فيه، عند التفكير فيه نُنشئ – داخل الشيء الخفي- بِنية تجذب لنا قوى أو عناصر تُساندنا أو تُسيء إلينا طِبقًا لنوع الفكرة التي نُفكر فيها

ونلفظها؛ إذا تطلعت إلى التقدم في السن، وداومت على إبقاء صورةٍ مُسِنة وبنيةٍ مُتهالكة لنفسك في ذهنك، فستصبح كذلك بلا شك، لأنك في هذه الحالة تُنسب نفسك إلى العَجْزِ وَالخَرَق، وإن كنت في مرحلةٍ عُمريةٍ تسبق الشيخوخة، وإذا توجهت بأفكارك – العنصر الخفي - إلى أنك شخصٌ عاجزٌ وواهنٌ، فسيجذب لك اتجاه التفكير هذا عُنصرًا فكريًا لا يُمكنك رؤيته، يُضعفك ويُفقدك حيوية صِغر السن كلها.

على خِلاف ذلك، إذا كان مقصد أفكارك هو أن تجعل نفسك في صحةٍ ونشاطٍ وحيويةٍ دائمين، وعند تمسكك بهذه الغاية، والامتناع عن تصديق جحافل الأشخاص الذين يزعمون أنك ستشيخ لا محالة، فلن تشيخ؛ وذلك لأنك تُؤمنُ بتلك الغاية بالطريقة التي يؤمِنُ بها الناس بأن كِبر السن لا مناص منه.

إذا كُنت دائمًا ما تُشيدُ في ذهنك نموذجًا مثاليًا لنفسك يتمتع بالقوة والصحة والحيوية، فإنك تُشيّدُ عُنصرًا غير مرئي يجذب لك باستمرارٍ مزيدًا من الصحة والقوة والحيوية. تستطيع أن تحوّل عقلك إلى مغناطيس يجذب الصحة أو الضعف؛ إذا كنت تحب التفكير في الأشياء التي تبعث شعورًا بالقوة في الطبيعة، كجبال الجرانيت وأمواج البحر المُتلاطمة والأعاصير العاتية، فستجذب لنفسك عناصر قوتهم. وإذا كنت تُصوِّر في ذهنك أنك شخصٌ يتمتع بالصحة والقوة اليوم، ثم بردت عزيمتك وتخليت عن هذا التفكير أو التصوير في الغد، فلن تُهدم الروح وما شيدته فيها؛ فذلك القدر من العناصر التي أُضيف إلى روحك لا يُمكن خسارته، ولكن وقتما فترت عزيمتك في التفكير - أي انتابك اليأس - أوقفت بناء بُنيانك وصورتك المُزدهرة التي تتمتع بالصحة، ورغم أن روحك هي الأقوى في اجتذاب وجمع العناصر، ربما لا تمتلك القوة الكافية لتعويض ما خسره الجسد سريعًا بسبب هذا التفكير اليائس؛ المُثابرة على التفكير في الصحة وتصوير النفس بصورةٍ مثاليةٍ تنعم بالصحة والحيوية والاتزان هي أساس الصحة والجمال، فأكثر ما تُفكر فيه هو ما ستصبح عليه وأكثر ما ستحظى به.

قد ترفض ذلك؛ ولكن المرضى طريحي الفراش ممن تعرفهم لا يفكرون ولا يقولون

المسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في أذهانهم: "إنني قوي"، بل يقولون: "أشعر بضعف شديد"، الشخص المُصاب بعُسر الهضم لا يُفكر في أن "معدته ستتعافى"، كل ما يقوله هو: "أشعر بعدم اهتضام أي شيء" ويحدث ذلك للسبب ذاته. إننا نميل إلى مُداواة عِلاتنا وأمراضنا بدلًا من مُداواة نفوسنا، نُريدها أن تُدلل ويُنظر لها بعين العطف، أكثر من الاعتناء بأنفسنا، عندما يُصاب أحدُنا بالزكامِ الشديد، أحيانًا ما يقول هذا المُصاب لمن حوله من دون أن يعي: "إنني اليوم موضع إشفاقكم، وأتألم بشدة".

إذًا، إنه الزكام هو ما يستدعي الإشفاق، إذا عاملت الجسد حق المُعاملة، سيصرف ذهنك وأذهان كل من حولك ذلك العُنصر المُستضعف قائلين له: "اخرج من هذا الجسد!"، وستطرد هذه الأذهان القليلة بقوتها المُستترة هذا الضعف، مثلما طرد يسوع الشيطان من الناصرة وأكرهه على المُغادرة، الزكام أو المرض بكل أشكاله ما هو سوى أشكال أخرى من الشيطان، تتفاقم بالاهتمام بها، وكذلك أيضًا الصحة والحيوية؛ مُعديتين كالحصبة.

ما الشيء الذي قد يدفع العديد من الأشخاص البالغين من أجله طرفًا أو اثنين من أطرافهم، ثمنًا للتمتع بنشاط ومرونة صبيٍّ في الثانية عشرة من عمره، وطرفين ليصبح لديهم القدرة على تسلق الأشجار أو السير على السياج ذي القضبان أو الركض، لأنهم أحبوا الركض والانطلاق في صِباهم ولا يمكنهم الامتناع عنه؟ لو أن هذه الأطراف التي تتقد بالنشاط والحيوية تُصنع وتُباع، ألن تكون مطلبًا يسعى هؤلاء السيدات والسادة ضخام البِنية الذين يركبون وينزلون من عرباتهم بحركةٍ ثقيلةٍ وكأن أجسادهم تزن طنًا، إلى شرائه واقتنائه؟ لماذا يستسلم البشر إلى - أو يتمرد بعضٌ منهم على – ثِقَل الحركة والخمول والجمود الذي يصاحب حتى من هم في سن الكهولة؟

مع كل هذه التساؤلات، أعتقد أننا نتأقلم مع هذا الخمول ونسمّيه رزانة وحلمًا؛ بطبيعة الحال لا ينبغي للرجل الفاضل، والأب والمواطن الذي له حق الانتخاب والركيزة المهمة التي يُعتمد عليها (في الخمول)، أن يركض ويتصرف بحماقةٍ كالأطفال؛ لأن ذلك لا يليق به ولا يصح حدوثه، ولا ينبغي للسيدة ذات الشأن العظيم

التي تربت ونشأت على التمايل في مشيتها، أن تركض مثلما كانت تركض في الثانية عشرة من عُمرها؛ لأن ذلك لا يليق بها ولا يصح حدوثه أيضًا.

في الواقع، إننا نتظاهر بعيوبنا ونتلبسها مثلما يتلبس الوجه القناع، ثم نقول: "هذا ما ينبغي فعله لأنه لا يُمكننا فعل غيره"، وفي بعض الأحيان نتعجل حتى في التظاهر والتقيد بها، كالشخص الذي يلصق عدسةً زُجاجية على عينه، ليبدو أرستقراطيًا أو شخصاً فصيحًا مولعًا بالكُتب والمُطالعة من دون أن يدري أنه يستبق إتلاف بصره السليم.

هُنالك العديد والعديد من الإمكانات في الطبيعة وفي العناصر ولدى الإنسان ومن الإنسان، تُختلق بالسرعة التي يُدركها ويعرف كيفية استخدام تلك القوى في الطبيعة وفي نفسه؛ فالإمكانات والخوارق يعنيان الشيء نفسه. كاختراع الهاتف الذي انبثق فجأةً على "أُناسنا" قبل مائتي عام؛ كان من الممكن الاعتقاد بأنه أعجوبة وخارقة تؤدي إلى إيداع مُستخدمها السجن أو إعدامه بالخزق؛ كل مظاهر قوى الطبيعة الغريبة التي تفوق العادة كانت تُنسب إلى الشيطان، لأن الناس في ذلك العصر كان لديهم الكثير من صفات الشيطان أو العُنصر القبيح في نفوسهم، فيما يتعلق بالإصرار على أن الكون لا ينبغي أن يُظهر باستمرار ويُثبت مظاهر أعلى وأعلى للعقل الأسمى، من أجل راحة الإنسان وسعادته.

الفصل الثامن

مُتحف الوحوش والأهوال

متحف الحيوانات البرية والطيور هو حديقةٌ تضم مجموعةً من المخلوقات القصيدة، الطائرِ منها والسائر، أخذت من أشكال حياتها الطبيعية وحُرمت منها إلى الأبد؛ فكانت النتيجة المنطقية لذلك هو المُعاناة بشكلٍ أو بآخر، الطائر الذي اعتاد التحرك بحُريَّةٍ في الغابة والتحليق في السماء، محبوسٌ في أضيق الأوساط، حيث لا يبدو ريشه نظيفًا ولامعًا كما يبدو في حالته الطبيعية.

هذه الحيوانات لا تعيش طويلًا؛ حياة الأسر لدى العديد من الفصائل التي جُلبت من المناطق الاستوائية قصيرة الأجل، لا سيما الضئيل منها والضعيف.

الدببة والأسود والنمور والغزلان والذئاب، وكل الحيوانات الأخرى، تميل إلى حرية التصرف والتنقل تمامًا كالإنسان، ولكنها مُجردةٌ من تلك الحرية في متحف الحيوانات، الهواء الذي تتنفسه هواءٌ ملوثٌ وكريهُ الرائحة في أغلب الأوقات، الجحور بالنسبة للحيوانات المنقِّبة ضرورة ومكان استرخاء وسكون، كالسرير المُريح الدافئ بالنسبة إلينا، ولكنها غالبًا ما تتقيد بالتجول على أرضية من الألواح الصلبة فتخدش - من شدة مُعاناتها وسعيها المُتواصل لاستعادة ديارها وجحورها الطبيعية - وتثقب فيها تَجاويف بسيطة بعمق بوصات.

تموت الآلاف من القِردة في عمرٍ مُبكرٍ لأنها أُجبرت على العيش في مُناخٍ شديد الرطوبة والبرودة لا يصلح لها، ولا يمكن لأي قدر من الحرارة الاصطناعية أن يمد المقدار الذي اعتادوا التكيف معه في أيكاتهم وغاباتهم الطبيعية حيث الأجواء الاستوائية، أما الفُقمات فتُحفظ في أحواضٍ من المياه العذبة، في حين أن المياه المالحة هي عالمها وبيئتها الطبيعية، لهذا السبب حياة الأسر قصيرة لها؛ ليس هُنالك شكلٌ لحياةٍ مُنتظمة، بل إنها جزءٌ وانتماء إلى المنطقة والحيز الذي ولدت فيه في حالتها البرية.

الدب القطبي ينتمي بطبيعته إلى المناطق القطبية الشمالية، والقرد ينمو وينتمي في ظروف مناخية استوائية، عندما يُنقل أيٌ منهم من موطنه حيث المناخ المناسب له إلى غير ذلك حيث لا يمكنهم التجول من دون قيود، يُلحق بهم الألم والأذى.

قم بزيارةٍ للمتحف "الرخيص" الذي يوجد منه الكثير الآن، وتأمل الريش المُتسخ الرث والحالة المتوعكة التي أصابت العديد من الطيور، مخلوقاتٌ مسجونة في هذا المكان بعيدة عن مناخ ديارها ومواطنها الأصلية لا تراها لمدةٍ أكثر من ساعة، وعُد لزيارته بعد عدة أشهر ولن تجد أيًا منها. ماذا حلَّ بها؟

لقد هَلكت وشَغر مكانها لمخلوقاتٍ أُخرى من نفس الفصيلة لتهلك ببطءٍ أيضًا؛ فسلسلة الأسرى المعانين والهالكين في عمرٍ مُبكر لا تتوقف البتة عن الانتقال إلى هذه الأماكن؛ سُفنٌ لا تتوقف عن الإبحار تُحضرهم إلى هُناك، وجيشٌ من الصيادين مُنتشرين في جميع أنحاء العالم يتجولون في الغابات من كل مُناخٍ منهمكين في اصطيادهم والإيقاع بهم.

ما هي الأسباب التي أوجدت هذا الحشد من المخلوقات المسكينة في كل بلدةٍ كبيرة ومدينة في بلادنا الآن؟

السبب بكل بساطةٍ هو إرضاء فضول الإنسان.

ببساطةٍ، لكي نقف أمامها لعدة دقائق مُحدقين لها من خلف القُضبان. وما الذي نفعله بعد ذلك؟ التعرف على طبيعتها الحقيقية وعاداتها في تلك السجون؟ ما الذي يُمكن التعرف عليه من أذواقك وميولك الطبيعية وعاداتك إذا كُنت محبوسًا في قفص؟ هل إرضاء هذا الفضول يستحق المُعاناة التي يتسبب فيها؟

إذا تودد رِفقك إلى طائرٍ فسيأتي ليبني عُشه على شجرةٍ بالقرب من نافذتك، وفيه سيرعى فرخه، ألا يُقدِّر هذا المشهد الذي يؤديه من يومٍ لآخر بمائة مشهدٍ للطائر ذاته وهو يُحرم من قرينه ليُحبس في قفص؟ ألن تشعر - عندما تُلاحظ عاداته الطبيعية وترى حياته الحقيقية والطبيعية دون انتهاكٍ لحريته - بتعاطفٍ مُشتركٍ يجذبك إليه

المسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أكثر وأكثر، لأنك رأيت ما يُثبت أن تلك الحياة تتشابه كثيرًا مع حياتك؟ إنه مثلك؛ يبني منزلًا ويُظهر عاطفته واعتناءه بقرينه ويُقيت عائلته ويشعر بالخوف عند اقتراب الخطر ويستريح ويأوي إلى فكرة الأمان.

ولكنها هي غريزة جنسنا البشري الفظة الوحشية التي تجعل إبادة منازل الطيور البرية أو ذبحها أو أسرها هي الرغبة المُسيطرة لدى بعض الفِتية المشاغبين وهم يتجولون في الغابات، و"الآباء المُتحضرون" يرون أبناءهم يُغادرون المنزل وهم مُجهزون بالأدوات التي تُسبب هذا التخريب من دون أدنى اعتراض منهم على ذلك.

الفصل التاسع

الإله في نفسك

لأنك روح؛ أنت جزءٌ من الله أو القوة اللامتناهية أو روح الخير، ولأنك جزءٌ من الله؛ أنت قوةٌ متناميةٌ لا تنضب، ويجب أن تزداد ازديادًا أبديًا، مثلما كانت في الماضي طوال مراحل عُمرك العديدة، وساهمت في تكوين إدراكك وبنيتك الذهنية الحالية.

ظلت قوة عقلك تنمو إلى شكلها ووضوحها الحالي خلال أكثر من حياةٍ جسدية قبل تلك التي تعيشها الآن، وفي كل حياةٍ سابقةٍ أضفت قوة على تلك القوة من دون أن تعي ذلك؛ كل صراعٍ يجول في ذهنك، ليكن صراعًا مع الألم والمرض أو مقاومة الشهية والرغبات، أو نضالًا من أجل اكتساب مزيدٍ من المهارة في فعل أي شيء، أو تحقيق تقدمٍ أكبر في أي فنٍّ أو رسالة، أو صراعًا مع النفس عند الاستياء من إخفاقاتك وزلاتك، كلها دفعات حقيقية وفعلية للروح لتزداد قوة، ولنفسك لتزداد اكتمالًا نسبيًا، ومع هذا الاكتمال النسبي للنفس، تأتي سعادةٌ كاملة؛ لأن الهدف من العيش هو السعادة.

أنت اليوم أفضل نُسخة من نفسك، وتتسم بكل سمةٍ ذهنية تُثير الإعجاب اتسمت بها أكثر من ذي قبل، وهذا الاستياء الذي قد تشعر به من إخفاقاتك هو خير دليل على ذلك؛ لو لم يكن ذهنك بالحِدة التي عليها الآن لما استطاع تبين وإدراك تلك الإخفاقات، رُبما كان حالك الآن ليس كما كان من حيث الرضا عن النفس عندما حسبت نفسك مُحقًا في كل شيء.

ذلك لأنك بالغت في اتجاهٍ مُعاكسٍ لتلك الحالة فقط (الرضا عن الذات) عندما أعدت النظر إلى نفسك، ولأنك قد أبصرت أخطاءً بعينها على حين غفلة، قد تظن أن هذه الأخطاء ستزداد باستمرار، ولكنها لن تزداد؛ فلقد جعل لك الإله الكامن – القوة المتنامية الكامنة في نفسك - القدرة على رؤية نقصٍ في شخصِك، ولكن رغم ذلك، لم يكن هذا النقص قريبًا من الكمال النسبي إلى هذا الحد الذي أنت عليه الآن

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

مُطلقًا، الدليل القاطع على ذلك هو أنك تستطيع الآن رؤية ما لم تره أو تشعر به في نفسك، قد تجد أسفل منزلك تجويفًا مليئًا بالحشرات الضارة والهواء الخانق، وكنت في حالٍ أسوأ قبل عثورك على هذا التجويف، ولكن رَغْم بشاعة الأمر بالنسبة إليك، أصبح الآن من الممكن تنظيفه وسده بالتراب، كذلك عقلك؛ قد نجد في بِنائنا الذهني تَجاوِيف مليئةً بالعناصر المُفسدة، ولكن لا حاجة لليأس لأن الله في نفوسنا يُظهرها لنا، لا داعي لقول: "إنني مخلوقٌ معيب، أوقن أنني لن أستطيع إزالة كل أخطائي" نعم! تستطيع ذلك؛ إنك في الواقع تُزيلها الآن؛ كل احتجاجٍ من عقلك على أخطائك هو بمثابة دفعة للروح إلى الأمام، فقط يجب ألّا تتوقع إزالتها بالكامل خلال ساعةٍ واحدة أو يومٍ أو أسبوعٍ أو عام، ليس في وقتٍ مُستقبليٍ في حياتك، ولكنك ستتمكن من رؤية المواضع التي يُمكنك إصلاح نفسك فيها، إذا كان هنالك إمكانية للإصلاح فبالطبع يجب أن تدرك الخلل المطلوب إصلاحه، أو بتعبير آخر، ستلاحظ بنفسك مزيدًا من الاكتمال، مزيدًا من النشاط، وفارقًا أدق في شخصِك، وانبعاثًا في نفسك أكثر تعقيدًا للقوة التي تأتيك من الرب مرارًا، وعند ذلك ستتوقف عن القلق من أن تكون مخلوقًا معيبًا عندما تجد أنك - وستصبح - مركزًا "لعبادة الله" تُشيده بنفسك دومًا ليصبح بِناءً ذا رونقٍ مُتزايد.

لا تتوقف أي موهبة لديك عن الازدهار مثلما لا تتوقف الشجرة عن النمو في الشتاء؛ فإذا كنت تتعلم التصوير أو الرسم أو التمثيل أو الخطابة أو أي فن من الفنون، وانقطعت عن مُمارسة تلك الموهبة بالكامل لشهرٍ أو عامٍ أو عامين ثم استأنفت المُمارسة، ستشعر بعد ذلك بقليلٍ بتطورٍ في تلك الموهبة؛ فقد اكتسبت أفكارًا جديدة عنها وقدراتٍ تُمكّنك من أدائها بشكلٍ أفضل.

قد يطرأ في ذهنك سؤال: "ما الهدف من الحياة؟"، مما يبدو أنك غير قادرٍ على تحديد تطلعاتك أو الغرض من العيش في هذه الحياة، هُنالك أقدارٌ تمنحها هدفًا نقصده، قانونٌ يحكم كل شيء ويُرشدنا، إلى ماذا؟ إلى طاقةٍ متزايدةٍ لا حدود لها على العيش بسعادةٍ مع ازدياد قوتك، وستزداد لا شك من ذلك؛ لن يمنع نموك بقوةٍ وصحةٍ وسعادةٍ شيء، وإن بدا لك غير ذلك.

لقد كان الألم الذي قاسيته أثناء عملية تهذيب ونماء الروح - تلك المُشار إليها في السطور السابقة - يدفعك بقوةٍ ويحيطك أكثر وأكثر بما يسبب لك المعاناة، لهذا السبب ينبغي لك أن تعُد هذا الألم دليلًا على أنك قد سلكت مسلكًا خاطئًا في التفكير يجب البُعد عنه بأسرع ما يُمكن، وعندما تتوسل بشدةٍ وتُصر إصرارًا جادًا على معرفة الطريق الصحيح، سيأتي دائمًا شيء ليُرشدك إليه؛ إنه قانون الطبيعة الذي ينص على أن أي توسلٍ صادرٍ من القلب يجب أن يُستجاب، والطلب الجاد أو الصلاة من أجل أي شيء يجلب دائمًا الرغبة المنشودة.

إذًا، ما الهدف من الحياة؟

أن نحظى بأكبر قدر من السعادة منها، وأن نتعلم من خلال ذلك أن نحيا على يقينٍ من أن كل يومٍ جديد سيصبح حافلًا بالمباهج كاليوم الذي نعيشه الآن وأكثر، وأن نصرف من أذهاننا مجرد تَذَكُّر أن الوقت قد يمضي ببطءٍ شديدٍ لانعدام ما يُثير حماسنا، أن نشعر بالامتنان لأننا على قيد الحياة، وأن نتغافل عن المرض أو الألم، وأن نُسيطر على الجسد من خلال قوة الروح فلا يتألم ولا يُعاني، وأن نسيطر ونتحكم في أفكارنا فتزداد قوةً تُمكنها من العمل مُنفردةً، وبمعزلٍ عن جسدنا دون التأثير فيه لكي تُمكننا من توفير كل احتياجاتنا من منزلٍ أو أرضٍ أو مأكلٍ أو ملبسٍ من دون سلب أي شخصٍ حقه أو ظُلمه، وأن نكتسب قوةً تُمكّن الروح من رد الصحة والحيوية إلى الجسد وتجديد نشاطه دومًا كلما أردنا استخدامه، فلا يضعف ولا يهلك أي جزءٍ أو عضوٍ منه، وأن نتعلم مصادر مُتجددة للترفيه عن النفس وعن الآخرين، أن نملأ أنفسنا بالسعادة والنفع للآخرين للدرجة التي تجعل وجودنا مُرحبًا به في كل وقت، ألّا نُصبح أعداءً لأي شخص، وأن نُصبح أصدقاءً لكل شخص. ذلك هو مصير الحياة في أحياز الوجود التي تعلّم فيها أُناس حقيقيون مثلنا - يستمتعون بالحياة أكثر بكثير مما نستمتع بها - كيف يعيشون وكأن جنة الفردوس قد حلّت على الأرض، ولا يزالون يتعلمون.

هذا هو المصير الحتمي لكل روح مُنفردة، لا مفر من السعادة الأبدية المُطلقة مع تقدم السنين بك في هذا الطور من الوجود وفي الأطوار الأُخرى، وكل المتاعب التي

تواجهها أو سبق لك مواجهتها هي كالمهماز الذي يوخزك ليُبعدك عن الطرّق الخاطئة، ويجعلك تمتثل لقانون الطبيعة، وكلما ازداد وعيك وتأثرك بما يحيط بك ازدادت رؤيتك وضوحًا للقانون الذي يسير بك بعيدًا عن المتاعب كلها، ودائمًا نحو مزيدٍ من السعادة وإلى حالةٍ مزاجيةٍ تشعر من خلالها بالنشوة بالحياة، وانعدام الإحساس بالوقت؛ إننا نفقد الإحساس بالوقت عندما ينشغل ذهننا بشيء أو عند الاستمتاع بشيء أو عند مشاهدة عرض مسرحي مُشوّق، فيصبح يومك كما ذكر الكتاب: "كألف سنة وألف سنة كيوم واحد" (بط32:8).

يُشير مفهوم "النيرفانا " الهندوسي إلى أن كل إمكانات الحياة من المُحقق تجسيدها في واقعنا، ويحمل معنى كلمة "nirvana" في اللغة الإنجليزية في طياته أن هدوء وسكينة وصفاء الذهن يأتي نتيجة اليقين التام من حتمية نجاح كل جهدٍ مبذول وكل مَسعًى مُضطلع به، وأن السعادة التي نُدركها في الوقت الحالي ما هي إلا بادرةٌ ونقطة انطلاقٍ لتحقيق قدرٍ أكبر من السعادة في المستقبل، فإذا كنت مُتيقنًا من تحقيق رغبةٍ لديك في القيام برحلةٍ للسفر إلى خارج البلاد كتَيقنك من أن الشمس قد أشرقت صباح هذا اليوم، وإذا كُنت تعلم أنك ستحقق إنجازًا خاصًا بك أو ستظهر براعةً لا مثيل لها في الرسم أو الخطابة أو التمثيل أو النحت أو أي فنٍّ من الفنون، قدر عِلمك بقدرتك على صعود السلم والهبوط منه، فلن تشعر بالطبع بأي انزعاج أو اضطراب. هذا ما سوف نعرفه طَوال حياتنا المُتطورة نسبيًا؛ لأننا سنتيقن من حقيقة أنه عندما نُركز قوتنا وقدراتنا الذهنية أو أفكارنا على هدفٍ أو مَسعًى أو الشروع في أي شيء فإننا نُشغّل قوة جذب الأفكار لنجذب إلينا السُبُل أو الوسائل أو القوى أو العناصر، التي تُمكننا من تحقيق ذلك الهدف، بشكلٍ طبيعي، كقوة العضلات التي تتوجه إلى الحبل ليجذب الزورق ويُرسيه عند الرصيف البحري.

لا يشغلك كثيرًا أمر وصول برقيتك إلى وجهتها لأنك لا تعلم كيف تعمل الكهرباء، ولكنك تعلم أنها تعمل بطريقةٍ ما لكي توصل رسالتك، وسيصبح لديك الثقة ذاتها التي تُحقق لك ما ترغب به عندما تُنظّمُ أفكارك وتُوجهُها بمنهاجٍ مُحدد، فقبل أن يكتشف الإنسان الكهرباء كانت موجودةً في الطبيعة بوفرةٍ وبالقوة ذاتها كما هو

الحال اليوم، ولكنه وجود غير فعال في حياتنا بالمرة - كفاعلية حامل الرسالة على جواب المُتلقي - بسبب الجهل بطريقة استخدامها، كذلك قوة الفكر البشري الهائلة؛ موجودةٌ بوفرةٍ في أذهاننا اليوم، ولكنها أفكارٌ مُهدرةٌ لأننا لا نعرف كيف نُركزها ونُوجهها بطريقةٍ سليمة، بل هي أسوأ من كونها مُهدرة؛ إننا نستخدم بطاريتنا العقلية في الاتجاه الخاطئ نتيجةً للجهل والعادة الراسخة الخاطئة، ونُرسل تيارًا صاعقًا تلو الآخر من العداء المُضمر تجاه الآخرين أو الحِقد أو القول العدائي المُستهزئ أو أي سلوكٍ ينفر منه الذوق السليم، كُلها عَناصِر حقيقية تُستخدم بطريقةٍ خاطئة وبجهلٍ، قد تؤذي وتُسيء إلى الآخرين وبالتأكيد ستؤذينا وتُسيءُ إلينا.

ها هو الرُّكن الأساسي الذي ترتكز عليه كل الجهود المُثمرة في هذه الحياة أو الحَيَوات الأخرى، إياك والاعتراف في تفكيرك بأن هُنالك شيئًا مستحيلًا، إياك وأن تجعل عقلك ينبذ الفكرة التي قد تبدو الأكثر خيالية باستخفاف؛ لا تعلم ما الذي قد تغلق المجال أمامه بفعل ذلك، إن تقل إن شيئًا ما مُستحيل لأنه يبدو مُستحيلًا لك، ليس سوى تمرين للعقل على اتباع عادة الصياح بكلمة "مستحيل!" لأي فكرةٍ جديدةٍ وغير مألوفة، في هذه الحالة، يُصبح عقلك سجنًا مليئًا بالأبواب المُقضّبة التي تمنع دخول كل شيءٍ خارجه، وتُصبح أنت السجين الوحيد بداخله.

"كل الأشياء" عند الله مُمكنة؛ له القدرة التي تتجلى في داخلك فتؤثر في كل جزءٍ من وجدانك، بالتالي، يُصبح قول "مُستحيل!" على ما يُمكنك القيام به أو الحال الذي قد تتبدل إليه خطيئة؛ إنه إنكارٌ لقدرة الله على تشكيل قواك الباطنية، وإنكارٌ لقُدرة الروح اللامُتناهية على تحقيق أكثر مما يُمكنك تصوره في ذهنك بكثيرٍ في نفسك الآن، قول "مُستحيل!" هو أن تجعل حدود إدراكك الضئيلة مُقارنة بالقُدرة اللامتناهية حدودًا ومقياسًا ثابتًا لمجريات الكون، هذه حماقةٌ كأن تحاول قياس مساحةٍ مترامية الأطراف بعصا يبلغ طولها ياردة واحدة. بقولك "مُستحيل!" أو "لا يُمكنني" تخلق بنفسك ولنفسك استعصاءً وعجزًا للوقت الحالي، هذه الفكرة التي يصنعها عقلك هي الحجر العثرة التي تعترض طريقك نحو الشيء المُمكن، فتُعطلك عن تحقيقه أو الوصول إليه، ولكنها لن تمنعك منعًا قاطعًا عن مواصلة سعيك نحوه؛

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

ستستمر في المضي قُدمًا والتراجع عما كُنت عليه من إقدام قدر ما تستمر، لن ينجح أي شيءٍ قد يتصدى للإصلاح الأبدي والمُستمر لكل الأشياء (من ضمنها نفسك)، من الأفضل لك أن تقول: "بإمكاني أن أصبح ما يُعجبني، بإمكاني أن أُصبح كاتبًا أو خطيبًا مفوهًا أو مُمثلًا مسرحيًا أو فنانًا مُبدعًا" وعندئذٍ تنفتح بداخلك أبواب الإبداع والمهارة على مصراعيها، لن تُقفل إلا بقولك "مُستحيل!" أي أن عبارة "لا يُمكنني" هي المِزلاج الحديدي الذي يغلق هذه الأبواب في وجهك، وعبارة "بإمكاني" هي اليد التي تدفع هذا المِزلاج بقوةٍ فتحُله.

كان لدى روح يسوع المسيح أو فِكره قوة تُسيطر على عناصر العقل وتهدئة العاصفة، وكذلك روحك بما أنها جزءٌ من الكيان الأكبر؛ لديها القوة ذاتها في البذور - منذ أن كانت في طور النشأة - وترقب ما سيثمر عنها، وكان لدى المسيح من القدرة ما يجعل ذلك العنصر مرئيًا ليجسد لجموع الناس الطعام: الخُبز والسمك، من خلال قوة تركيز عنصر فكره الخفي.

هذه قوةٌ مُتأصلةٌ ومُلازِمةٌ لكل روح، وكل روحٍ تنشأ عليها طوال العُمر، فالطفل الذي تراه اليوم الذي وِلد بصحةٍ جيدة، لا يستطيع حمل رطل واحد، ولكنك تعلم أن في جسد هذا الطفل الضعيف تكمن القوى والقدرات التي قد تجعله قادرًا على حمل مائتي رطل بعد عشرين عامًا من الآن، الشيء ذاته مع القوة العظمى، القوة الروحية التي تتزايد بداخلنا، يُمكننا نحن – الصِغار مقارنةً بعُمرِنا الروحي اليوم - التنبؤ بمجيئها.

السبب وراء شقاء العيش في هذه الحياة - في هذا الحيز من الوجود - هو أننا نُخالف القانون الطبيعي، لأننا غير مُلمين به، فنلقى منه المساوئ لا الفضائل نتيجةً لذلك؛ قانونٍ كهذا القانون لا يُمكننا إدراكه حق الإدراك من سلوكياتٍ ماضيةٍ لشخصٍ آخر أو من خبراته السابقة، أيًا ما كان حد القوة الذي كان قد بلغه، قد تُفيدنا هذه السلوكيات أو أساليب الحياة كاقتراحاتٍ أو آراءٍ مُساعدة، ولكن على الرغم من أن هنالك قَوَاعِد عامة تنطبق على كل شيء، هُنالك أيضًا قَوانِين فردية تنطبق على كل شخصٍ على حدة؛ لا يُمكنك اتباع أسلوبي الخاص في إسعاد وتهذيب نفسك،

والعكس بالعكس، يتشكل كُل شخصٍ من مزيجٍ مُختلف من أفكار وآراء سارت وتفشت في أرواحنا (نفوسنا الحقيقية) على مر سنوات نشأتنا ونمونا.

نفسك لك كالكتاب؛ يجب عليك قراءتها بتمعنٍ ودقةٍ واستكشاف ما تتطلبه طبيعتك، لكي تجلب لها السعادة الدائمة، وتصفحها صفحةً تلو الأخرى وفصلًا تلو الآخر لتقرأ ثم تتعلم من تجارب كل يومٍ وكل عامٍ، لن يقرأها لك أحد بالطريقة التي تقرؤها لنفسك، ولن يُفكر أحد بالأسلوب والنهج الذي تُفكر به، أو يشعر بما تشعر به، ولن يكون وقع الشيء أو الأثر الذي تركه شخصٌ ما في نفسك كوقع الشيء أو الأثر الذي تركه الشخص تمامًا في نفس شخصٍ آخر؛ لهذا السبب لا يُمكن لأي شخصٍ آخر أن يُحسن استنباط ما تحتاجه حقًا، لكي تجعل حياتك أكثر كمالًا واكتمالًا وسعادةً، مثلما تُحسن استنباطه بنفسك، يجب عليك أن تجد لنفسك أفضل رفقة للانضمام إليها، وأن تُحدد لنفسك الطعام الأشهى لذوقك، والأسلوب الأمثل لاتباعه في أي عملٍ أو فنٍّ أو مهنةٍ للإتيان بالنتائج التي ترجوها. قد يُساعدك كثيرًا النقاش مع من يهتمون بالأمر بشكلٍ مُماثل، وقد يُساعدك كثيرًا من هم ربما أكثر معرفةً منك بالقواعد العامة، وما قد يُساعدك حقًا لكي تكتسب قوة أو إقدامًا أو أفكارًا جديدةً لأداء مهامك، هو الاجتماع على فتراتٍ مُنتظمةٍ بأشخاصٍ جادين وعلى درجةٍ عالية من الإخلاص والصدق لديهم أيضًا أهداف محددة يسعون لتحقيقها والاستفاضة معهم في الحديث.

ولكنك إذا اتخذت أي شخصٍ دليلًا أو أساسًا لا يُخطئ ثم اتبعت ما يملونه عليك بالضبط، فإنك تنحرف بذلك عن المسار الأساسي؛ لأنك تعتمد عندئذٍ على تجارب شخصٍ آخر تشكل من مزيجٍ مُعينٍ من عوامل أو مَوَاد كيميائية، فستطغى تجارب ذلك الشخص نتيجةً ذلك على مزيج العوامل والمواد الذي تنفرد به؛ رُبما كان ذا طابعٍ مُغايرٍ عن الآخر، ويختلف تأثير العوامل الخارجية فيه. مثلما يحتوي جسدك المادي على عناصر الحديد والنحاس والمغنيسيوم والفوسفور وغيرها الكثير من المعادن والعناصر الكيميائية واندماجاتٍ وإعادة اندماجاتٍ بينها لم يتوصل إليها العلم البشري بعد، تحتوي روحك أو أفكارك على اندماجٍ روحي أو غير مرئي مُماثلٍ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لتلك المعادن، ولكنه اندماج أسمى وأرقى، تتحد كلها بنسبٍ تختلف من روحٍ أو جسدٍ مادي لآخر.

إذًا، كيف لأي شخصٍ أن يُدرك التأثير الفردي الذي يُظهره هذا المزيج الخاص بك ثم يُصحح لك نفسك؟ هُنالك بعض القواعد العامة التي تشمل كل شيء، ولكن يجب على كل شخصٍ أن يُكيّف أي قاعدة من تلك القواعد بما يتناسب معه؛ من القواعد العامة في الطبيعة أن تُسيّر الرياح الشفُن، ولكن لا تستخدم كل أنواع الشفُن الهواء بالطريقة ذاتها، ومن القواعد العامة أن الفِكرة قوةٌ لها نفوذ خاص يُمكنه أن يؤثر - بل يؤثر باستمرارٍ - في غيرنا، وتعتمد طبيعة أفكارنا وقوتها ذات النفوذ الخاص بدرجةٍ كبيرةٍ على علاقاتنا، ولكن لهذا السبب إذا كانت أفكارك أو قوتك هي الأفضل، وثبينت تقدمك إلى الأمام باستخدامها في شتى المجالات في هذه الحياة، فليس من الضروري أن أفضّلَ طبيعة علاقاتك أو نمط حياتك، إنني أتبع الأساليب ذاتها التي تتبعها على سبيل التجربة ولكن من دون إغفالٍ لحقيقة أن هذا الاتباع هو مجرد تجربة؛ لكي أتفادى هذه الحماقة التي يرتكبها الكثيرون: التقليد الأعمى وتأليه الشخص الآخر.

حدث ذات مرة أن يسوع المسيح قد أمر بعضًا من تلاميذه بعدم تقديسه، فقال: "لماذا تدعوني صالحًا، ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله" (مت 19: 17) ،وقال: "أنا هو الطريق والحياة" (يو 14:6)مما يعني – كما يتبدى لي من النص - أنه فيما يتعلق بالقواعد العامة التي كان هو عالمًا بها -والتي تقوده لأنه روح- كان عالماً بحقائق مُحددة وقادرًا على تقديمها، إلا أنه لم يُصر البتة على أن حياته التي لم يحياها أحدٌ سواه ينبغي مُحاكاتها نصًا وروحًا، بكل ضعفٍ أو نقيصةٍ بشرية كان قد "أخذ على عاتقه" افتدائها وتخليص البشرية منها، بل طلب من روح الخير اللامُتناهية أن تمنحه مزيدًا من القوة والخلاص من خطيئة الخوف، عندما ضَعُف قلبه ووهنت روحه وهو على مشارف صَلبه، فكان طلبه وصلاته هذه - كروحٍ ورغم كل ما تملكه من قوةٍ - اعترافًا منه أنه بحاجةٍ إلى العون بقدر ما تحتاج أي روحٍ أخرى، ورفض عند إدراك ذلك تنصيب نفسه إلهًا أو معبودًا لَامُتناهيًا على أنصاره، ولكنه أمرهم عندما رغبوا

في الانحناء أمام تلك القوة الهائلة التي لا يُمكن لعقلٍ بشري استيعابها، والتي منها يأتي كل الخير عند الصلاة أو الطلب، أن يعبدوا الله وحده، الله ذو القوة الأبدية الفائقة التي تُحرك هذا الكون اللامحدود، والتي لم ير الإنسان مثيلًا لها قط، ولن يرى أبدًا، فيما عدا أنه يرى تجسيداتها المُتنوعة في الشمس أو النجم أو الغيمة أو الرياح أو الطير أو الدابّة أو الزهرة أو البَشر عامة، أو من يرتقي منهم بِخُطَى ثابتة إلى درجاتٍ مُتعالية من العقل، ودرجاتٍ أعلى وأعلى من القوة، وكأنه سيصبح ملاكًا مُستقبليًا أو رئيسًا للملائكة، ولكنه في بحثٍ دائمٍ أبَدِي عن المصدر الذي تستمد الملائكة منه قوتها، ولا يؤله أيًا من تلك التجسيدات على الإطلاق، لأنه بذلك كمَن "عَبدوا المخلوق من دون الخالق" (رو 1: 25).

هذه القوة اليوم تتجلى في داخل كل رجلٍ وكل امرأةٍ وكل طفلٍ على وجه هذه البسيطة، فتؤثر في كل جزءٍ من وجدانهم، أو اقتباسًا من كلمات الكتاب: "الله هو العامل فينا والعامل خلالنا" (فيلبي 2: 13).

جميعنا أجزاءٌ من القوة اللامُتناهية، القوة التي تحملنا على الدوام إلى درجاتٍ أرقى وأسمى وأكثر سعادة في الحياة؛ أي رجلٍ أو امرأةٍ – بصرف النظر عن أسلوب حياتهم أو مدى إدراكهم - هو رجلٌ أو امرأةٌ أقوى وأفضل من ذي قبل، وإن بدا غير ذلك؛ فالرغبة في طبيعة البَشر وكل صور الطبيعة أو الروح، التي تتجسد من خلال المادة - والتي من المُتوقع أن تُصبح أكثر تهذيبًا فيما بعد - رغبة غير واعية، حتى يبلغ الإنسان درجة مُعينة من نمو العقل، أما الإرادة الإلهية فلها الفاعلية والتأثير حتى في من بلغ أقصى درجات الحضيض، تريد روحه الارتقاء والارتفاع عن ذلك الحضيض، لها الفاعلية والتأثير في أكثر الأشخاص كذبًا؛ فتُذكره - وإن كانت تَذكِرَة خافتة - أن قول الحقيقة هو الأفضل، إنها ذات فاعلية وتأثير في الأشخاص الذين قد تصفهم بأنهم سيئو الخُلُق أو جديرون بالازدراء.

عندما سُئل يسوع المسيح عن المرات التي يجب على الإنسان أن يُكرر فيها تغاضيه عن أي إساءة، فكان رده يدل على أن قدر الصفح والتغاضي عن نقائص وفجاجة الآخرين لدى أي رجلٍ أو امرأةٍ، يجب أن يكون بلا حدود، يجب ألا يكون

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هُنالك حدٌ للفِكرة الدمثة الرحيمة التي نُفكرها، أو نُصدرها لشخصٍ آخر كثيرًا ما تتدهور أحواله أو يصارع نزعة ليست من طبيعته، والخطأ - كل الخطأ، وغالبًا ما يُرتكب دون أن ندري - هو أن نذكر أو نتحدث عن شخصٍ ذي سلوكٍ مُتطرفٍ قائلين: "يا حسرة على ما حل به من الخراب وسوء الأحوال!، لا فائدة من فعل المزيد له"؛ لأننا بقول ذلك نُطلق في الهواء أفكارًا يائسة تُثبط العزيمة، سيلتقي بها ذلك الشخص من دون شك، وسيشعر بانتشارها في ذهنه، وستصبح بالنسبة إليه عُنصرًا يُحبط تطوره وانتشاله من المستنقع السلوكي الذي كان قد تعثّر وسقط فيه، تمامًا مثلما أحبطت فكرةٌ شبيهةٌ لتلك كانت قد صدرت من شخصٍ آخر جهودنا ومحاولاتنا للخروج من أي مُستنقعٍ كنا قد سقطنا فيه، أو نحن فيه في الوقت الحالي، ليكن مُستنقع التذبذب، أو مُستنقع اليأس أو مُستنقع جدة الطباع أو مُستنقع التفكير المُفعم بالحقد والبُغض.

ولكن رَغْم ذلك كله تزداد روح الإنسان قوةً مع كل مُقاومة؛ تزداد قوةً عندما تقاوم التفكير الانتقادي القاسي، إلى أن تصل بالإنسان في النهاية إلى أن يقول في ذهنه للآخرين: "كنت أحبذ نيل استحسانكم لا استهجانكم، ولكنني لست مُعتمدًا على استحسانكم أو غيره في تشكيل ذاتي، ففي ذهني يُصدر أشد القُضاة حزمًا العقوبة الأكيدة على كل خطأٍ أرتكبه: الإله الكامن في نفسي، الذي من أحكامه واستيائه لن أُفلت".

مع ذلك، في الوقت الذي تزداد فيه بصيرة الروح تزداد معها رأفة ذلك القاضي الكامن في أنفسنا وعفوه عن أخطائنا؛ فهو يعلم بالتأكيد أنه – في بعض المواضع - خلال رحلتنا في تهذيب أسلوبنا في التعبير عما يجول بداخلنا، من الأسلوب الفج إلى الأسلوب الأرقى، كان هُنالك فيض من المفاسد توجب علينا مكافحته، ومن ثم التغلب عليه في النهاية حتمًا؛ لقد قُدِّرَ لكل إنسان - رجالًا ونساءً- أن يُصبح ذا قدرٍ مُعينٍ من النقائص والأخطاء، إلى أن تتغلب عليها الروح، وستتغلب عليها من دون شك؛ لأنه من طبيعة الروح أن تتصدى وتقاوم تلك النقائص فتُزيدنا قوةً وسعادة، هذا هو الشيء الوحيد الذي يستحيل على الإنسان محوه من روحه: طبيعتها.

المسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولكنك إذا اتخذت من الفقرة السابقة ذريعةً تُبرر ارتكابك للخطايا أو التجاوزات في السلوك، أو الكذب أو السرقة أو القتل، مُعللًا: "لا يُمكنني التحكم في ذلك؛ إنه أمرٌ مُقدّرٌ لي" فستُعاقب على كل حال، قد لا يُعاقبك القانون الذي وضعه الإنسان، ولكن القانون الطبيعي أو الإلهي له من العِقاب ما يليق بكل خطيئة قد يرتكبها الإنسان من قتلٍ أو شهوةٍ مُحرمةٍ أو كذبٍ أو سرقةٍ أو تفكيرٍ حاقدٍ أو نهمٍ مُفرط في تناول الطعام، ويتجرع عدد غفير من المُخطئين العذاب جزاءً لهم على ما ارتكبوه من الخطايا، لجهلهم بقوانين الحياة، ثم ازدادت شدة هذا العقاب وأثقلت بقوةٍ على العديد منهم، للدرجة التي جعلت رغبتهم في معرفة مزيدٍ من تلك القوانين أقوى مما كانت عليه في أي وقتٍ مضى، لهذا السبب تحديدًا، ستُلبى تلك الرغبة وسيُجاب عن الأسئلة كلها؛ لأنه قانون حتمي في الطبيعة ينص على أن يحصل العقل البشري على كل ما يحتاجه في الوقت المُناسب، كلما كثُر عدد الأشخاص أصحاب العقول المُتطلبة، كانت تلبية الطلب - أو في تلك الحالة - إشباع رغبة المعرفة سريعًا.

قبل بضع سنواتٍ لبى البخار حاجة العقل البشري إلى السرعة الزائدة عند السفر بعض الشيء، واستجابت الكهرباء لمطلبه بالاتصال بشخصٍ آخر بالسرعة ذاتها، هذه المصادر من الطاقة ما هي إلا مؤشراتٌ لاكتشاف واستغلال قُوى أعظم، ليست فقط في العناصر التي تحيط بالإنسان بل وفي العناصر الخفية التي تُشكّله.

من الآن فصاعدًا، سيرتقي جنسنا - نحن البشر- ويرتفع عن السلوك الآثم أو الفظ، ليس بدافع الخوف من عقاب انتهاك القانون، وإنما سيهتدي إلى الطريق الصحيح والسلوك الأكثر حكمةً بدافع حب المُتعة التي نجدها عند اتباع القانون واكتشافه بأنفسنا ولأنفسنا؛ إنك تتناول الطعام من دون إفراط لأن التجربة قد علمتك أن المُتعة الأكبر تجدها بالاعتدال، وإنك لطيفٌ ومُحِبٌ لصديقك ومراعٍ لشعوره ليس بدافع الخوف الدائم من فقدان هذا الصديق إن لم تكن لطيفًا ومراعيًا له، بل لأن هذا يُرضيك، ولأنك تحب تقديم الالتفاتة الكريمة والطيبة.

لطالما كان القانون البشري وحتى القانون الإلهي، كما يُفسره فهم البشر، أحكامًا مُتبعة تقتضي: "ألا تفعل هذا أو ذاك، وإلا ستُعاني ضربة العصا!"، فصُوِّر الله تصويرًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خاطئًا، أنه معبودٌ شديد القسوة لا يرحم ولا يرؤف، ولقد كانت مُهمة الواعظ هي غناء وترديد: "الجزاء والعقاب! العقاب والجزاء!" من الأجدر للإنسان نسيان كل ما عرفه عن الجزاء والعقاب؛ لأن المُتعة المُتزايدة التي يجدها أثناء تهذيبه، هي ما تجذبه إلى التحلي بفضائل أعظم والسعي وراء صلاحٍ أشمل للنفس، كان وعيد الجزاء أمرًا ضروريًا وقتما كان الإنسان أكثر بدائيةً ويفتقر إلى السلوك المهذب؛ فما كان لشيءٍ أن يحسّن من سلوكه سوى ضربة العصا. لقد كانت البشرية ذات بصيرة عمياء، فكان من الضروري أن تظل على القُرب من المسار الصحيح ولن تظل إلّا بنَخزٍ مؤلمٍ تلو الآخر، بمنخاز الجزاء الحاد.ولكن عندما تبدأ أذهاننا في النظر إلى الأمور برؤيةٍ أوضح، مثلما بدأت بالفعل أذهان الأشخاص الأكثر وعيًا من جنسنا البشري الآن، لن نحتاج إلى نَخز العصا؛ لأن الأمر سيصبح أشبه بأن نحتاج إلى شخصٍ يدفعنا بهراوته ليجبرنا على الذهاب للاحتفال.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل العاشر

قوة الربيع الشِفائية المُجدِّدة

يتأثر نمو جسدك ويتغير بالقوانين ذاتها والعوامل التي تنفُذ وتتحكم في كل الأجساد المنظومة الأخرى، كالأشجار والنباتات والطيور والحيوانات؛ ففي باكورة الربيع من كل عام تأتي قوةٌ من الشمس، تؤثر في هذا العالم وفي كل أنماط الحياة المنظومة: الحياة النباتية والحيوانية وحياة الطيور، وفوق ذلك كله، حياة الإنسان.

الإنسان، بما أنه الكائن الحي الأرقى والأكثر تعقيدًا، والأقوى ذهنيًا، هو ما له النصيب الأكبر من تلك القوة، وسيحظى بالمزيد منها في المُستقبل، وبمنافع أكثر بكثير مما هو عليه في الوقت الحاضر، كلما تعلم أن يضع نفسه في أفضل الحالات التي تُمكنه من اكتسابها والاستفادة بها. وصف العلم المادي تلك القوة بـ "الحرارة"، ولكنها صفةٌ شكلية لظاهرها الجسدي؛ فالحرارة التي تأتي من الشمس لا تكتسب صفتها الجوهرية إلا عندما تصل إلى عالمنا وتؤثر في كائنات الأرض، لذلك، تنخفض الحرارة فوق سطح الأرض ببضعة أميال أو تنعدم في بعض الأحيان، فلو كانت هذه القوة تتخذ شكل الحرارة التي تصدر من الشمس مُباشرةً، أو خلال انتقالها للأرض، لأصبح الجو عند قمم الجبال دافئًا كالوديان؛ فكما نعلم أن الثلوج والجليد دائمًا ما يُغطيان أعلى قمم الجبال لأن قوة الشمس عند هذا الارتفاع لا تلامس كائنات الأرض بالشكل الكافي، الذي يجعلها تصل إلى تلك الدرجة من الحرارة، التي نشعر بها في الوديان والسهول.

هذه القوة هي ما تُحفز حركة النُسغ(12) في الأشجار ودورته التي تبدأ بتأثير الشمس مع كل عامٍ جديد؛ النسغ هو ما يمنح الشجرة حياةً جديدةً؛ منه تخرج البراعم والأزهار ثم الثمار فيما بعد، ويمنح تدفق هذه القوة الشمسية الخفية الشجرةَ قوةً تجمع بها إمداداتٍ جديدة من العناصر المُغذية، من خلال جذورها التي تضربها في الأرض، وكذلك القوة التي تتخلص من أي أوراقٍ ميتة تبقت من العام الماضي، وظلت مُعلقة طوال الشتاء، كالتي تراها في غابات البلوط والجوز، هذه القوة تؤثر

بالمثل في أواخر الشتاء وأوائل الربيع في الحيوانات والطيور، لا سيما وهي في حالتها وحياتها البرية الطبيعية دون تدخلٍ من الإنسان، فتجعلها تطرح غطاء العام الماضي من الفراء والريش، ولكن ذلك الإطراح للمادة المرئية البالية ما هو إلا جزءٌ بسيط مُقارنةً بما يحدث بداخلها من تغيير؛ فثمة إطراح من نوعٍ آخر للمادة غير المرئية القديمة التي تجوب جسد الطائر أو الحيوان بالكامل، تخرج من خلال المسامات أو من خلال مسالك أخرى بأشكالها المُختلفة، بعضها ظاهرٌ للعين وبعضها الآخر محجوبٌ، ثم تنمو في أعقابها مواد جديدة من الداخل إلى الخارج، كالفراء الجديد أو الشعر أو الريش.

يخضع جسدك للنظام ذاته؛ إنك "تنسلخ" خلال أشهر الشتاء الأخيرة وأشهر الربيع الأولى، أي أنك تتخلص من المادة القديمة البالية لتتبدل بأخرى جديدة، ما دُمت تتيح لتلك القوة الفرصة لكي تؤثر فيك على النحو الأفضل من خلال وقف نشاط ذهنك أو جسدك على حدٍّ سواء وقت احتياجهما إلى الراحة، مثلما تفعل الطيور والحيوانات خلال فترة انسلاخها أو عملية إطراح الأجزاء القديمة واستقبال الأجزاء الجديدة.

هذه الأجزاء أو القوة التي تستقبلها، وتستقبلها الطيور والحيوانات في ذلك الوقت لا تراها عين الجسد، لأن كل القوى لا تراها العين، الفراء الجديد والريش والبشرة وأنسجة جسدك الداخلية والخارجية - عند تكونها - والبراعم والأوراق والأغصان، كلُّها تجسيداتٌ لتلك القوة، إنها تبلورات جديدة تكونت في محلولٍ جديدٍ ومُتجانس من مواد كيميائية غير مرئية يغمر جسدك وجسد الطائر والحيوان والشجرة، أما المحلول أو العناصر التي تم امتصاصها في العام الماضي فقد نضب كله، كانسلال المعادن من المحلول المعدني لكي تتشكل ثم تترسب البلورات النقية على سطحه، هكذا تكون العلاقة بين الشجرة أو الأجساد المرئية الأخرى من الطيور أو الحيوانات أو جسدك، وبين هذا المحلول الذي يغمرها من جديد.

ليس هُنالك فاصلٌ كبير بين ما نُسميه المادة أو الجسد والروح؛ فالمادة ليست سوى صورة من الروح أو الفِكر يُمكن للعين رؤيتها، وهي قوةٌ تتجسد لبعض الوقت

المسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما يحدث لكُتلة الفحم التي تبعث القوة الكامنة فيها عند اشتعالها لكي تُدير المُحرك، بالتالي تتحول الكُتلة في الغالب إلى عنصرٍ غير مرئي، وكذلك في كل شيء حولنا، نجد قوىً تتحول من الظهور الجسدي الملموس إلى الخفاء والعكس صحيح، فثمة على سبيل المثال كمٌ هائل لا يُحصى من المادة غير المرئية، قد تكون مُعلقة فوق رؤوسنا في ساعة ما من يومٍ صحو، وفي الساعة الأُخرى تتساقط في شكلٍ مرئي: الأمطار أو الثلوج، والتي ترتقي صعودًا نحو السماء مرة أُخرى، ولكن هذه المرة في صورةٍ غير مرئية.

أطلق الساكن الأصلي على شهري فبراير ومارس "الأشهر الهشة"؛ لمُراقبته للطبيعة عن كثبٍ أكثر منا، ولمعرفته بنزعة التكاسل والخمول التي تتملك الإنسان والحيوان دومًا وقتما تُعيد تلك القوة الصحة والنشاط لأي جسم منظوم؛ فأنقى البلورات التي تتكون من العناصر المعدنية لا تترسب في المحلول الذي لا يخلو من الاضطرابات. تنطبق تلك القاعدة على جسدك فيما يتعلق بتجديد النشاط وإعادة التبلور الذي تخلقه عناصر الربيع، لكي تنتفع من عنصر الربيع المُجددِ والمُحفز للنشاط بأفضل وجه يجب عليك أن تهدأ وتسترخي وقتما تشاء، سواء أكان ذلك في منتصف النهار أو في منتصف الليل؛ إذا استخدمت جسدك أو ذهنك في العمل دون استعداد أو رغبة منهما، وإذا أجبرت عضلات جسدك على الاجتهاد والمثابرة بمحض قوة الإرادة، وإذا كنت تُمارس نشاطاتٍ بدنية أو ذهنية شديدة تؤدي إلى الإرهاق التام، وإلى الحد الذي يجعلك لا تعلم مدى إنهاكك إلا عند الانتهاء من أداء تلك النشاطات، كما يفعل كثيرٌ من الأشخاص وهم مُجبرون على ذلك بسبب نظام حياتنا المُصطنع ومتطلبات "العمل" التعسفية، فإنك تُعيق هذه القوة الشفائية والمُجددة عن التأثير بأقصى حدود تأثيرها في الجسد، وتُعيق العنصر الجديد الذي يُجدد حياة الشجرة ويُخرج براعمها عن التآلف مع جسدك، فتتمسك بعُنصرٍ بالٍ قديم ينبغي لك التخلص منه، مثلما تتخلص أشجار البلوط من أوراقها الجافة كلها قبل انتهاء فصل الشتاء، وينتهي بك الأمر إلى حمل هذا العُنصر الفاقد للحياة أو هذا "الحِمل الساكن" معك في كل مكان وليس العُنصر الجديد الباعث على الحيوية والنشاط.

هذا هو السبب – من بين الأسباب الأخرى - في انحناء الكتفين وابيضاض الشعر وانكماش أنسجة الوجه وظهور تجاعيده نتيجةً لذلك. يرجع ضعف الجسد المادي أو ما نُسميه "الشيخوخة" بالكامل، إلى عدم إيمان الإنسان أو إدراكه أنه لديه القُدرة على أن يضع نفسه في الظروف المُناسبة لتلقي إمدادًا لا ينقطع من القوة، الذي من شأنه أن يُعيد باستمرار إحياء الروح. إن القوة العضلية أو النشاط المُستمر وحدهما لا يدُلان دائمًا على أن الانسان في كامل صحته، فقد يحتاج الشخص المُصاب بهذيان الحُمى إلى شخصين آخرين أو ثلاثة ليساندوا جسده الواهن كي لا ينهار، وعندما يزول ذلك الهذيان يظل الشخص ضعيفًا فاقدًا للقوة كالطفل الرضيع، ولكن تُصبح حالته في الغالب خارج نطاق الخطر بمجرد انتهاء النوبة.

على غرارٍ مُشابهٍ بعض الشيء في مجالات العمل، وفي خضم المنافسات التجارية القوية التي تكاد توصف بالشرسة، يعيش الآلاف من الأشخاص حياةً مُشوشة يغلب عليها التوتر والاضطراب، وفي حالةٍ دائمة من الإجهاد العقلي، بل ويطالبون بالعيش في هذه الحالة، وكأنهم لا يستطيعون العمل إلا وهم "مُتوترو الأعصاب" لدرجةٍ ما، وإذا استرخت أعصابهم بين حينٍ وآخر تلبيةً لحاجة الطبيعة إلى الراحة، وفترت هِمتهم، يخطئون التعرف على هذا العَرَض الودي ويعالجونه اعتقادًا منهم بأنه شكلٌ من أشكال المرض، حتى في هذه الحالات التي يرقدون فيها لأسابيع أو أشهرٍ على فِراش المرض، لتلقي الرعاية والعلاج مما يُزعمُ أنه "مرضٌ خطير"، ينهضون بعد ذلك في النهاية بصحةٍ جيدة أقوى مما كانوا عليه منذ فترة طويلة سابقة، لماذا؟ لأن الطبيعة كانت تعمل بكل ما أوتيت من قوة خلال هذا التوقف الإجباري للنشاط الجسدي والذهني على إعادة بناء جسدٍ واهنٍ في ظروفٍ غير مؤاتية، وترتب على ذلك نهوض الشخص بعُنصرٍ جديد وبقوةٍ في عظامه وعضلاته وأعصابه، لأن الطبيعة قد ألزمت جسده الفراش لكي يتسنى لها إصلاحه.

إذا قَبلت هذه الفكرة التي تقول إن للربيع قوة مُجددة، وأخذتها بعين الاعتبار، وإن كُنت غير قادر على الإيمان بها حق الإيمان في البداية، فسيساعدك هذا الاهتمام كثيرًا؛ لأن الحقيقة الفعلية إن لم تُصرف من ذهنك منذ بداية ارتسامها، فستستحكم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتترسخ فيه، وستثبت نفعها لك.

المشقة الجسدية المُستمرة تُنهك الإنسان أسرع بكثيرٍ مما هو متوقعٌ غالبًا، لذلك السبب لا تدم "جلادة" البحار الجَلِد في أغلب الأحيان سوى لبضع سنواتٍ، وينتهي الأمر عادةً بالمُزارع الكهل الكادح الذي يبلغ عمره عادةً الخامسة والأربعين ويعمل طوال العام منذ بزوغ الشمس وحتى حلول الظلام، ظنًا منه أن العمل هو أعظم فضيلة، إلى أن يُصبح جسده عند بلوغه عُمر الخمسين كُتلةً من النتوءات العظمية والتهاب المفاصل، بعبارةٍ أخرى، يُمكننا القول إن متوسط حياة الأشخاص الذين يمارسون أعمالًا شاقة أقل بكثيرٍ من متوسط حياة أولئك الذين يعملون في مجالاتٍ من العمل تتطلب جهدًا وكدحًا بدنيًا أقل لساعاتٍ طويلةٍ، إلى أن يصل الجسد إلى حد الإرهاق التام.

في مناجم كاليفورنيا حيث ضَرَبْتُ بالفأس لسنواتٍ عديدة وعَمِلْتُ مع جموع العُمال في الرفع والجر والحفر والتجريف، لاحظت في الساعات الثلاث الأخيرة من يوم العمل الذي تبلغ عدد ساعاته عشر ساعات وفي بعض الأحيان تمتد إلى اثنتي عشرة ساعة، أن الرجال -رغم القوة التي قد تبدو عليهم – يعملون بهمةٍ ونشاطٍ أقل بكثيرٍ مما كانوا عليه في ساعات العمل الأولى من اليوم، ولكن في الواقع الأمر لم يكن ذلك في أغلب الأحيان سوى مجرد تظاهرٍ بالعمل، ما لم تراقبهم عين رئيسهم المُنتبهة، لِمَ الأمر كذلك؟ لأن أجسادهم لم تعد صالحةً العمل؛ لقد كانت العزيمة فقط هي ما دفعت العضلات إلى بذل الجهد، أما عن العُمال "الجِلاد" أصحاب البنية القوية، الذين تتراوح أعمارهم من خمسة وعشرين عامًا إلى ما يقرب ذلك، والعاملون بمثابرةٍ وإصرار في هذا الكدح منذ عام 1860، فقد توفي السواد الأعظم منهم، ومن ظل منهم على قيد الحياة إلى اليوم صار أغلبهم منهوكي القوى.

في عالم الطبيعة نجد أن فترات السبات تتناوب باستمرارٍ مع فترات النشاط؛ تأخذ الأشجار قسطًا من راحة طَوال الشتاء وتتباطأ حركة النسغ الذي يجري في أنسجتها، فلا تُنتج أوراقًا ولا أزهارًا ولا ثمارًا، وتؤمّن الطيور والحيوانات البرية بعضًا من غذائها بعد انقضاء موسم التزاوج الصيفي، ثم تقضي الفصل البارد في النوم،

وكذلك بعض الحيوانات الأخرى والبرمائيات، تلجأ إلى البيات الشتوي، وحتى التربة الزراعية يجب أن تستريح لكي تنتج محصولًا أفضل؛ إنهاكها المُستمر بالتسميد الاصطناعي يثمر عنه إنتاجًا أقل جودةً وقيمةً غذائية من ذلك الذي تنتجه "التربة البِكر".

عندما يُدرك الإنسان حقيقة أنه لن يتمكن من استخدام جسده والحفاظ على قوته عامًا تلو الآخر، منذ ريعان الشباب وحتى سن الأربعين أو الخمسين، تحت هذا الضغط العصبي المتواصل كله، مُعتمدًا فقط على قوة الإرادة من دون أن يصيبه ضرر بالغ، وعندما يُدرك حقيقة أنه عندما يخلق لنفسه بين الحين والآخر جوًا من الاسترخاء والانفتاح على كل ما هو جديد، مثلما تفعل الشجرة والطيور والحيوانات، وهي في حالتها الطبيعية، سيتمتع عندئذٍ – باستقبال المزيد من ذلك العُنصر - بصحةٍ أفضل بكثير لجسده وبمرونة أكثر لعضلاته، وبذهنٍ أكثر حضورًا واتقادًا وتتيقظ بداخله حواس وقوىً أخرى، لا يزال أغلب الأشخاص يُشككون في وجودها.

تمتلك بعض الأجناس العِرقية لدى السكان الأصليين وأبناء الشرق – بعض الشيء - القدرة على استخدام هذه الحواس والقوى، والسبب في ذلك على أقل تقديرٍ، يرجع إلى أسلوب حياتهم الأكثر هدوءًا، ومعيشتهم الشبيهة بحياة الشجرة والمخلوقات الأخرى التي تخضع لتأثير الفصول، بخلاف القوة التي نملكها نحن -أبناء الغرب- – القوة العدوانية الاستبدادية التي تستمر في الاجتياح والغزو إلى حين، مثلما استحوذت إنجلترا على الهند وأخضع شعبنا الأمريكي السكان الأصليين وكاد أن يبيدهم بالكامل.

ولكن انتبهوا: لن تنتصر هذه القوى في النهاية؛ الحقيقة أن قوة الفكر التي تشتد وقت خمول الجسد هي الأقوى والغلبة لها في نهاية المطاف؛ إنها قوةٌ خفية، صامتة، غير مرئية، تُحركها أنبل الدوافع، وتهذب وتحسن من سلوك الشعوب الهمجية المُهيمنة البذيئة المُحبة للحروب والخراب عندما تندمج مع حضارة الشعب المقهور، بهذه الطريقة انتقل الفن والحضارة المصرية إلى الآشوريين أثناء غزوهم لمصر، وبعد قرونٍ عديدةٍ نقل الآشوريون المقهورون تلك القوة إلى اليونان المُهيمنة، وبسطت

الحضارة الإغريقية نفوذها على روما، رغم أن سقوط اليونان القديمة كان قبل سقوط روما التي سقطت فعليًا على يد القوط والوندال - شعوب أوربا الشمالية التي كانت بربرية في ذلك الوقت – ولكن في مملكة العقل، كان نفوذ إيطاليا القديمة هو المُسيطر وهو العامل الأساسي في تطهير سلوك وفِكر القوطيين والوندال والهون منذ عصورٍ مضت، إلى أن أصبحوا الرجل الألماني والفرنسي والإسباني والإيطالي الذي نعرفه اليوم. كل اضطرابٍ وكل تغيير مُفاجئ، وكل غزوٍ قد ساهم في جعل هذه القوة تمد جذورها على نطاقٍ أوسع؛ ففي وقتنا الحالي يدرس جهابذة الفِكر الإنجليز بدأبٍ واجتهادٍ القوانين المعروفة أساسًا في الهند، وتلك القوة بإمكانها أن تُخضِع إنجلترا من بعض النواحي؛ لأنها تجلس بالفعل تحت أقدام الهند لكي تتلقى دروسها الأولى في مبادئ القوانين والقوى التي لم يتعرف عليها أبناؤها المُثقفون حتى الآن جيدًا.

لعلك تتساءل الآن: "ما هذه القوة؟" "كيف تُكتسب؟" "وكيف تتطور؟" إنها القوة التي تأتي من عقول تتحد في غاية واحدة، في تناغمٍ تام، ولا تُستنفد في النشاط البدني، إذا ركزت كل تفكيرك أو قوتك في إعمال أعضاء جسدك واستخدام يديك في أي عمل، يومًا بعد يوم وعامًا بعد عام، مُتجاهلًا دوافع وغرائز الشعور بمرور الأوقات والفصول، فإنك تُلزم بذلك تلك القوة على تشغيل الأداة (جسدك) فقط، ويتسبب ذلك في إتلافها فيما بعد، وتمنع استخدامها بعيدًا عن جسدك، وكذلك تمنع تدفق واستيعاب تلك القوة الشفائية التي يمنحها الربيع، وتنمّي عادة أن يصبح جسدك في حراكٍ دائمٍ، وعلى إثر ذلك تعيقه عن تلقي ذلك الأمر بالنوم الذي من شأنه أن يمنح جسدك أكبر قدر من الطاقة خلال ساعات اليقظة؛ إذا أنهك الجسد أو الذهن يومًا تلو الآخر سيُنهَك الفِكر بالطريقة ذاتها ليلًا؛ لأنك تولد اعتقادًا خاطئًا بأنك لا تُنجز شيئًا إذا لم تستخدم جسدك أو عقلك، ولن تستطيع الدخول في تلك الحالة من الهدوء والاسترخاء في حال إذا ظلت أفكارك في حالة نشاطٍ بمعزلٍ عن جسدك وإن كانت ستأتيك بنتائج مُجدية أكثر بمئات المرات مما يمكنك تحقيقها بجهدٍ بدني. تكمن جودة النبات وقوته في العُنصر الأساسي الذي تحتويه أوراقه أو جذوره أو ثماره،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والذي يُعالج أعضاء الجسم الداخلية عندما يؤخذ كدواء، وتتحرر تلك القوة من خلال عملية الهضم، وكذلك الطاقة التي تحصل عليها من الخبز أو اللحم، هي قوةٌ تتحرر من الطعام بالطريقة ذاتها، إذًا، الهضم هو عملية احتراقٍ للمواد التي يتناولها الجسد – كاحتراق الفحم في مراجل السفينة - والطاقة المُنبعثة من ذلك الاحتراق هي ما تستخدمها لتحريك جسدك، مثلما يستخدم المهندسون الحرارة في تشغيل المحرك.

كلما كان برعم النبات جديدًا ازدادت ليونة تكوينه الخارجي، إلا أن ذلك البرعم - عندما يتعلق الأمر باستخدامه طبيًا- يحتوي على العُنصر والقوة الأكثر فاعلية في النبات ككل، لذلك تُصنع أجود أنواع الشاي وأثقلها تركيزًا من أعلى البراعم وأكثرها ليونة في شجيرات الشاي، في كاليفورنيا - نقيضًا لذلك - تُصيب براعم البلوط السام بعض الناس بطفحٍ جلدي وإن كانوا فقط على مقربةٍ منه، لما ترسله من طاقةٍ مؤذيةٍ في الهواء، البراعم الأكثر ليونة تحوي في جوفها القوة والطاقة التي ستصنع فيما بعد أوراقًا وفروعًا أصلب، وفي نظامك الطبيعي الخاص بك في الربيع، تنمو تلك البراعم اللينة ذاتها.

إذًا، إذا ضَعُف جسدك في الربيع، فهذا يدل على أن البراعم الجديدة -إذا جاز التعبير- تنبُت في داخلك، زاخرة بالقوة، ولكن هذه القوة لم تتهيأ لها الفرصة لكي تؤثر في نِظامك الجسدي وتُكوّن العِظام والعضلات والأوتار التي ستتشكل في مرحلةٍ لاحقة إذا لم يُنهك أو ربما يُدمر الجهد البدني والنشاط الذِهني المُفرط هذه البراعم أو التبلورات الجديدة التي تنشأ بداخلك؛ فهو يُدمر جسدك مثلما يعصف الإعصار بالشجرة ذات البراعم الناشئة.

رُبما يخطر في ذِهنك سؤال يقول: "ولكن كيف لي أن أواصل عملي وأن أكسب قوت يومي إذا كان جسدي يخضع لإصلاحات الطبيعة؟" يُمكننا الرد على هذا السؤال بـ: "إن قوانين عمل الإنسان ليست قوانين الطبيعة؛ فإذا قالت الطبيعة: استرح! وقال الانسان: "اعمل!" واستمر في العمل أو تحتم عليه الاستمرار في العمل، فلن يجني سوى مساوئه دائمًا".

ما يغده المجتمع من العادات الضارة ليس هو السبيل الوحيد للمرض أو الألم أو الموت؛ فهُنالك العديد من الأشخاص ممن يفقدون حياتهم بآلامٍ مُزمنةٍ كل عامٍ وهم على فِراشٍ مُريحٍ ويعيشون وسط "أفضل مجتمع"، دائمًا ما تشتد حِدة داء السل والسرطان واللوثة العقلية والاستسقاء والتهاب المفاصل والغُدَب (13) والحُمى لدى أكثر الناس صحةً، فما السبب في ذلك؟

إذا كانت ظروف حياتك لا تسمح لك في الوقت الحالي بأن تمنح نفسك قسطًا من الراحة، أنت بحاجةٍ إليه وتشعر أنك في أمس الحاجة إليه، فبإمكانك الاعتماد على أن التشبث بهدفك وصلواتك والإلحاح على طلبك، بأن تُتاح لك الفُرصة لكي تتلقى قوى الطبيعة المُجددة وتنتفع بها، فهذا هو ما سيتيح لك تلك الفرصة بطريقةٍ ما.

عندما نشعر أننا في أمس الحاجة إلى أي شيء، يُصبح التفكير والرغبة الصادران من ذلك الشعور صلاةً في حد ذاتهما، أي قوة تُقدم لك العون وتنتشلك من البيئة المُحيطة وأنماط الحياة الضارة.

ونكرر هذا القول مِرارًا، لأنه قولٌ يتطلب التكرار! إنه الانطلاقة الأولى لكل ازدهارٍ وتقدمٍ نحو حياةٍ أكثر سعادة وصحة، ولقد أوجز يسوع المسيح هذا القانون العظيم في قوله: "اسألوا تُعطوا، اطلبوا تجدوا، اقرعوا يُفتح لكم" (مت 7 : 7) لحكمته لم يسعَ إلى تفسير المعنى الخفي لهذا القول الذي يجتذب به الفِكر والإرادة والطموح البشري الجاد دائمًا الأمر أو النتيجة المرغوبة في الوقت المُناسب؛ لأن هذا القول وغيره من الأقوال المُلغزة لا يُمكن تفسيره، وكلما تسرعنا في إيجاد أسباب ظاهرية لما يحدث نتيجةً لأداء الطبيعة، وجدنا لغزًا أعمق في السبب ذاته، نقول إن "الرياح هواءٌ مُتحركٌ" ولكن ما الذي يُحركه؟ وما الذي يُبقيه في حركةٍ مُستمرة؟

في وقتٍ ماضٍ "فسرنا" ظاهرة المد والجزر أنها تنجم عن التأثيرات المجتمعة لقوى جاذبية القمر، ولكن بِصَرفِ النظرِ عن المد والجزر، ما هي القوة التي تُسيِّر نِظام التيارات العابرة للمُحيطات الهائل والتي اكتُشفت بشكلٍ أوفى خلال الأربعين سنةً الماضية؟ ما القوة التي تُحافظ على أنفاس رئتينا وتدفق الدماء في كل أجزاء

المسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجسم؟ أليست كل هذه قوى الله أو الروح اللامتناهية، أو قوة الخير التي تعمل في داخلك كما تعمل في كل شيء حي وينمو؟

نحن – البشر - فقط من رُزق المعرفة والوعي الذي يُمكننا من استخدام هذه القوة بحكمةٍ وذكاء؛ لذلك يندثر ويتحلل جسد الشجرة والحيوان والطيور في النهاية لانعدام هذه الحكمة لدى هذه المخلوقات.

إذًا، ربما في الماضي كان الجزء المادي لدى الإنسان هو ما يهلك ويتحلل، ولكن هذا ليس ما يجب أن يحدث دائمًا، كما قال بولس الرسول: "آخر عدو يُبطَل هو الموت" (كو 15 1: 26)، مما يعني في مضمونه أن الإنسان كلما ازدادت حكمته وإيمانه بالقوى المدهشة التي تتحرك في داخله وتُحرك الكون من حوله، اكتشف أساليب أفضل وأفضل لكي يضع نفسه في نِطاق إبداع هذه القوى، فيجعل بذلك المادة الفانية خالدةً بفضل التجدد اللامنقطع للعناصر الأرقى والأسمى.

---

(12) النُسغ: سائل غِذائي تمتصه الجُذور من الأرض ويجري في الشاق والأوراق بواسطة الغروق، وهو يُؤمّن حاجة أعضاء النبات ونُسُجه.

(13) داء الخنازير أو التهاب العقد اللمفاوية العنقية السلي: وهو نوع من السُل يهاجم الغدد اللمفاوية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الحادي عشر
الخلود في الجسد

نحن نؤمن أن الخلود في الجسد أمرٌ جائز، أو بعبارةٍ أخرى، يمكن الاحتفاظ بالجسد المادي ما دامت الروح ترغب في استخدامه، وأن هذا الجسد يزداد ولا يقل قوةً ونشاطًا وأن شبابه يدوم بمرور السنين.

وإننا نعتقد أن لـ"الخالدون" أو المخلوقات التي تمتلك قوىً أعظم من "البشر" التي تذكرها القصص الخُرافية الشهيرة في الأساطير القديمة أساسًا في الواقع. هذه الفرضية يجب أن تُبنى بما يتناسب مع القانون الذي ينص على أن كل طلبٍ أو صلاةٍ من البشر يجب أن تأتي بما يطلبونه أو يصلون من أجله. وفي الوقت الحاضر تدعو أذهان العديد من الأشخاص بخشوعٍ وصدقٍ أن تحظى بحياةٍ جسديةٍ أطول وأقرب إلى الكمال، أكثر من أي وقتٍ مضى؛ وذلك لرؤيتها الإمكانات العظيمة التي تُظهرها الحياة؛ إنهم يُقدرون الآن قيمة العيش في الحياة الجسدية أكثر من ذي قبل، وغالبًا ما يأخذ ذلك الطلب صيغةً للتعبير: "تعلمت للتو كيف أعيش، ولقد حان الوقت لكي يوافيني الأجل".

يرتقي الجسد إلى هذه النهاية مروزًا بسلسلةٍ تدريجيةٍ من عمليات روحانية تُعدل على المادة وتُغيرها باستمرارٍ وتُهذبها وتُطبعها بطابعٍ روحي، هذه العمليات لا تحتفظ بالجسد الذي يملكه صاحبه الآن وإنما تُديم تغير "الجسد" نحو الأفضل؛ فكل علةٍ (فقدانٍ للراحة الجسدية) أو مرضٍ يأتي من عمليةٍ روحانية يرمي إلى تجديد الجسد المادي من خلال استقبال الأفكار الجديدة أولًا ونبذ الأفكار القديمة ثانيًا. بيد أن عملية تجديد الجسد المادي هذه يعقبها تجديدٌ أكثر أهميةً، وهو تجديد الروح التي يتطور منها الجسد ويرتقي بها.

تستمر هذه العمليات الروحانية في الحفاظ على الجسد طوال الوقت، بما في ذلك أوقات الإعياء والتوعك التي ذكرناها في السطور السابقة، فتعمل على الجلد والمعِدة وكل الأعضاء الأخرى، كل اعتلالٍ يصيب الجسد هو في الواقع جهدٌ تبذله

الروح، يتجدد بفيضٍ من القوى التي تتخلص من المادة القديمة المُتهالكة – مُقارنةً بتلك الجديدة القادمة – ولكن لأننا – نحن البشر- لم نُحسن فهم هذه الغاية التي ترمي إليها العملية الروحانية، خُيِّل إلينا وخشينا من أن يصبح العناء والألم اللذان يصحبانها إشارةً لأمرٍ مكروهٍ أو اقترابٍ للموت.

إذًا، من دون العلم بالقانون الروحي وبالحُكم على الأشياء من خلال المادة، يُعَد اعتلال الجسد الحتمي والعابر الذي يُصاحب العملية مرضًا شديدًا، ولقد ساعد هذا الاعتقاد الروح في الماضي على إرهاق نفسها إرهاقًا مُتزايدًا بتصديق الأكذوبة التي تقول إن ليس ثمة قوةً في هذا العالم تمنع الجسد المادي، بعد عدد مُحدد من السنوات، من "التقدم في السِن" والذبول والضعف وأخيرًا الموت، ومع ذلك، يُغيِّر الجسد عناصر فِكره باستمرارٍ تبعًا لحالته المِزاجية؛ حينًا يجتذب لنفسه عناصر ضعفٍ وهلاك جسدي، وحينًا يجتذب عناصر القوة والحيوية والحياة الأبدية، وما تتلقاه الروح في كِلتا الحالتين هو أفكارٌ أو مُعتقداتٌ تتجسد في الطبيعة البشرية.

أي أن الإيمان بالهلاك الحتمي والموت، يجعل الروح تُرسل آفاتٍ فِكريةٍ عن الهلاك والموت للجسد، والإيمان بإمكانية تدفق تيار الحيوية المُنصَب على الروح باستمرارٍ يُرسل حيويةً طويلة الأجل. عند انصباب ذلك التيار إلى جسدك، من المُحتم أن يصحبه تَخلُّص من مادة الجسد القديمة المُتهالكة نسبيًا، مثلما تُسقط الأشجار الأوراق الجافة التي ظلت مُعلقةً في فروعها في الشتاء عندما يغمرها تدفق الحياة الجديدة في الربيع، وبتدفقٍ مُماثل للحياة أو القوة الجديدة تنسلخ الحيوانات والطيور من الفراء والريش القديم كل عام، من أجل الاكتساء بغطاءٍ جديد، وتحدث تغيراتٌ مُشابهة لذلك الانسلاخ في كل كيان الإنسان والطائر والحيوان.

يُعالج هذا القانون الروحي صورة الروح الفظة التي نُسميها "المادة" في كل الكائنات المنظومة فيُنقيها، ولكن لدى الكائن البشري، ينصب هذا التدفق المشحون بالقوى بوفرةٍ أكثر من أي كائن أدنى منه، إلا أنه لا ينصب بالقدر نفسه على جميع البشر، فبعضهم يتلقاه بقدرٍ أكبر من غيرهم؛ من يأتي في قُبالة هذا الاندفاع – رجالًا ونساءً - هو من سيتلقى الكثير منه، ويتوجب عليه رؤية تلك الإمكانات الإضافية

التي تمنحها الحياة، وكذلك إدراكها كما ينبغي إدراكها.

عندما تستقبل عقولنا أو أنفسنا العُليا أفكارًا أو مُعتقدات جديدة، يشن العقل المادي الأدنى (عقل الجسد) حربًا ضدهما، ويتحول الجسد إلى ساحة قتال بين هاتين القوتين، فيُعاني على إثر هذه المعركة التخبط بينهما، ولكن في النهاية النصر يجب أن يكون للقوة العُليا، إذا وثقت الأذهان في قدرتها ولو إلى حدّ بسيط واستساغت فكرة أن المرض والموت الجسدي ليسا ضرورة حتمية، ستُنبذ بعض الأفكار الخاطئة وتحل محلها بعض الأفكار الجديدة ثُم تترسخ، وسيصبح الجسد أقوى وأقدر مع كل صراعٍ تالٍ، كذلك ستقِل حدة هذا الصِّراع بشكلٍ تدريجي إلى أن ينتهي بكامله.

فقد البشر أجسادهم المادية في الماضي إثر مرضٍ ما لأنهم استخدموا قدراتهم بطريقةٍ خاطئة للإبقاء على الفِكر المادي القديم، وذلك لجهلهم بحقيقة أن ذلك المرض هو عملية إلقاءٍ لذلك الفِكر القديم تقوم بها الروح لكي تُبدله بآخر جديد، إنهم يبقون على الأفكار لاعتقادهم فيها.

إذًا، معتقداتك هي ما قد تجعل لك المرض نفعًا أو ضررًا؛ إذا كان بوسعك تصديق أن ما يحدث هو تدبيرٌ من الروح للخلاص من العناصر القديمة البالية، فهذا يُساعد العقل كثيرًا على اتخاذ هذا التدبير، ولكن، إذا عددت العِلة أو المرض حالةً جسديةً تمامًا، والمكروه فقط هو ما يأتي به لا المنفعة، فإنك تستخدم قوةً فقط لكي تُثقِل الروح بمزيد من الاعتقادات الخاطئة المُضللة التي ستصبح سجيتك في وصفها تجسيدًا لتلك الأخطاء، إلى أن تترك روحك الجسد الذي تحاول حمله وتتخلص من عبئها؛ تتركه في النهاية بِرُمَّتِهِ مُتبعةً القانون ذاته الذي تتخلص به من جزءٍ منه إذا كان ذلك الجزء هالكًا (روحانيًا). إذا قابلت فكرة أن جسدك المادي من المُمكن أن يُصبح خالدًا أبديًا من خلال تجديد جوهره وماهيته باستمرارٍ بازدراء، فقد تُغلق لك هذه المُقابلة بابًا للحياة وتفتح لك بابًا آخر للموت والهلاك.

نحن لا نُدلل على أن من "اللازم" عليك تصديق تلك الفكرة، ربما هو القالب الذي

تشكل ونشأ عليه ذهنك ما يُعيقك عن تصديقها الآن؛ فهُنالك العديد من الأشياء والأمور والأوضاع ستحدث في المُستقبل لا يقدر أيٌ منا على تصديقها في الوقت الحاضر.

ولكننا نستطيع، إذا كان الشيء الذي يُعد مُستحيلًا مرغوبًا، أن نُصلي أو نسأل الله الإيمان الذي يجعل لنا سببًا للتصديق، وسيأتي هذا الإيمان استجابةً للسؤال. الإيمان يعني القدرة على تصديق ما يبدو غير حقيقي، أو قدرة العقل على الاتساع للأفكار غير الحقيقية واستيعابها؛ لقد كان إيمان "كولومبوس" بوجود قارةٍ جديدة قدرةً لديه على التفكير في فكرةٍ كهذه أكبر من غيره في عصره، كذلك الأشخاص "المؤمنون بذاتهم" - عملًا بالتعبير الشائع _ لديهم قدرةٌ فعليةٌ على أداء مهامهم بشكلٍ أفضل من أولئك الذين لا يؤمنون، أو ليس لديهم اليقين الكامل بذاتهم، عندما تطلب لنفسك الإيمان بالإمكانات التي قد تبدو جديدة وغير مألوفةٍ الآن، فإنك تطلب معه القدرة والقابلية على أن تجتذب الاتساع لرؤية أو إدراك دواعي الحقائق التي لم تألفها من قبل.

وإن تُطالب باليقين - وحده اليقين - بإصرارٍ وإلحاحٍ تنله بالتأكيد، واليقين التام مقصودٌ به القدرة على تحقيق ما لا يُمكن تحقيقه ظاهريًا. قال يسوع المسيح لرجلٍ شُفي من مرضه: "إيمانك قد شفاك" (مر 10: 52)، مما يعني كما تُفسر لنا العبارة المُقتبسة نفسها، أن لدى الشخص الذي تماثل للشفاء قُدرة فطرية على اليقين بإمكانية شِفائه، فكانت فاعلية هذه القدرة النابعة من إدراكه الروحي (وليس إدراك يسوع الروحي) هي الدواء الفوري لأمراضه الجسدية، لقد كان يسوع سببًا في إيقاظ هذه القدرة في روح ذلك الشخص، ولكنه لم يمنحه إياها، لأنها: قوةٌ كامنةٌ في الشخص المُعافى، أثارها وبعث فيها الحياة، ولكنها في الغالب حياةٌ ونشاطٌ مؤقتان؛ لم يسجل لنا التاريخ في تلك الأوقات أحداثًا تشهد حالاتِ شفاءٍ مفاجئٍ ودائم، بل عاودهم المرض ثم هلكت أجسادهم في النهاية، لماذا؟ لأن الإيمان أو القدرة التي استمدوها لوقتٍ قصير لم تدم طويلًا؛ لم يتعلموا كيف يزيدون من تلك القدرة طورًا بعد طورٍ بالدعاء الصامت والطلب من القوة العُليا، فعادت أرواحهم إلى

حيز الاعتقاد المادي حيث كان ذلك الاعتقاد عبئًا على الروح يصعب خفله، مرضوا من دون وجود شخص قريبٍ كيسوع لكي يوقظ إيمانهم وقدراتهم وإن كان إيقاظًا وقتيًا.

لا يُمكن لشخصٍ أن يشعر بالكمال (بكل ما لديه من قدراتٍ بما في ذلك الخلود في الجسد) بشكلٍ دائم، وأن يتخلص خلاصًا تامًا وأبديًا من الأمراض دون الوثوق والاعتماد على شيء سوى القوة العُليا في اكتساب القدرة على الإيمان بالأشياء.

إذًا في هذه الحالة، ينبغي لكل عقلٍ الاعتماد على ذاته اعتمادًا كليًا؛ لن تتمكن من استمداد القوة من القوة العُليا إذا كُنت دائم الاحتياج إلى المُساعدة من شخصٍ آخر؛ إذا طلبت المُساعدة من شخص آخر، فإنك تستعير أو تستنزف ما لديهم من قوة، وقوةٌ مُستعارةٌ كهذه يُمكنها أن تصنع الأعاجيب والمُعجزات لبعض الوقت ولكنها لن تدوم، وستقع في أعماق اليأس والمرض مرةً أُخرى عندما ينقطع هذا الإمداد الزائف؛ لأنك في حقيقة الأمر لم تستمده من المصدر الصحيح: القوة العُليا. لذلك، أنفع ما يُمكننا طلبه وسؤاله من الله - بوعيٍ منا أو من غيره - هو أن "يزيد من إيماننا على الدوام".

عندما تُغيِّر سلوكك العقلي الذي تتبعه عند التفكير في المرض من خلال ألا تؤمن بشيء سوى أنه من عَمل الروح لكي تمحو كل الأفكار الخاطئة التي تم استقاؤها وتكوينها منذ مراحل الطفولة المُبكرة وتركزت في ذهنك وبُنيانك، لن تُصبح مُحملًا بتلك الأخطاء بعد الآن، وستبدأ عملية الإفراغ الذهني والتخلص التدريجي من الأخطاء الفكرية السابقة كافة؛ يرجع السبب في ذلك إلى أن الاضطراب الذي عانيته منذ عدة سنواتٍ خوفًا من الموت كان قد خزَّن – على ما يبدو - ذكرى تلك الحالة المزاجية المذعورة بعينها في كيانك ووجدانك، ومعها الاعتقاد المُصاحب لتلك الذكرى، فكان لذلك الاعتقاد فيك تأثيرٌ سلبيٌّ طَوال هذه السنوات مثلما تؤثر فيك كل المُعتقدات الخاطئة بالسلب؛ إنه حرفيًا جزءٌ من كينونتك الحقيقية، شأنه شأن الذكريات والخبرات الشخصية التي ينفرد بها كلٌّ منا، يُحفظ في ذاكرتك الروحية، وإن كانت الذكرى المادية التي صاحبت هذا الاعتقاد ربما قد تلاشت، هذه الذكرى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في أعماق الفِكر حقيقة، ولكنها ذكرى تُلقِم عقلك بفكرةٍ خاطئةٍ مفادها أن الموت لا يُمكن التغلب عليه مُطلقًا، وما يتخلص من تلك الفِكرة هو حالتك المعنوية وسلوكك الذهني الذي تغيّر لتوه.

ولكن عملية التخلص هذه لا بُد وأن تأتي معها مظاهر في الجسد تتناسب معه؛ كل دلالات المرض الجسدي التي سبق ظهورها من شعالٍ ونزلات البرد والحُمى وكل الأمراض الأخرى، لا بُد وأن تظهر مرة ثانية، ربما شديدة الوطأة في البداية ثم بصورةٍ مُخففةٍ وبشكلٍ تدريجي بعد ذلك.

من هُنا يبدأ إفراغ مُعتقداتك القديمة والخاطئة، ولكن إذا لم يتغير اعتقادك بما يتعلق بالفناء الجسدي والموت كمصير حتمي، وظل كما كان في السابق، فمع كل مرضٍ أو عِلةٍ تُصيبك وأنت في هذه الحالة الذهنية، ستختزن أخطاءً وأكاذيب تُثقل عبء الأفكار المُضللة. وتأثيرها الأكيد – بالإضافة إلى غيرها من الأفكار المُضللة- هو ضعف وهدم الجسد وتدميره بالكامل في النهاية.

لم يفُت الوقت في "الحياة الجسدية" بعد لكي تتلقى الحقيقة أو أن تنتبه لوجودها؛ ليس ثمة عهد أو حال لم يعد من الملائم لتلك الحقيقة أن تبدأ عملية التجديد الجسدي، ورغم عدم أبدية تلك الحياة الجسدية تستمد الروح في تلقي تلك الحقيقة قدرةً ستمنحها بطريقةٍ خفية قيمة لا تُقدر بثمنٍ في الجانب الغيبي من هذه الحياة، ولعلها بمساعدة تلك القدرة تتمكن في وقتٍ أقرب من بناء جسدًا أكثر صحة وروحانية لكي تسكنه، وما يكتسبه الجسد الروحي الكامل نسبيًا في النهاية هو القدرة على أن يعيش ويزدهر في عوالم الوجود الجسدية والروحية كما يشاء.

إذا تمسكت بفكرة أن الإنسان سيظل كما كان في السابق؛ سيفقد جسده وسيظل أيضًا بلا قدرة على إبقائه في صحةٍ مثالية، فإنك تتعارض بمعتقداتك مع الحقيقة الأبدية: إن كل الأشياء في هذا العالم تتقدم بخطى ثابتة ومستمرة لتصبح أنقى وذات إمكاناتٍ وقدراتٍ أعظم. قد يُساعدك الدواء والعِلاج المادي كثيرًا في عملية التخلص من العِلل الجسدية، وقد يُسعفك الطبيب الماهر والمُتعاطف أيًا ما كان

اختصاصه بقدرٍ لا يُستهان به، ولكن كل شيء يتوقف على الذهن والمعتقد الذي تتلقى فيه العلاج ونصائح الطبيب، إذا عددت كلًا منهما وسائل لمساعدة روحك على الخلاص من عبء وبناء جسدٍ جديد لك، فإنك بذلك الاعتقاد تُساعدها كثيرًا على الخلاص والبناء.

ولكن إذا عددت كلًا من الدواء والطبيب وسائل لمساعدة الجسد فقط، وأن جسدك الذي تمتلكه لا مفر له من الضعف والهلاك في غضون السنوات الثلاثين أو الأربعين أو الخمسين المقبلة في أفضل الأحوال، فسيكتنز ذهنك الاعتقاد الخاطئ أسرع من التخلص منه، ويصبح العبء في النهاية أكبر من قدرة الروح على حمله.

ما الذي يُسبب "انحناءة الشيخوخة" للرجال أو النساء؟ ما الذي يجعل أكتافهم تتهدل ويُضعف رُكبتيهم ويجعل مِشيتهم واهنة وبغير ثبات؟ السبب هو إيمانهم بكل ما هو ملموس وزائل؛ والروح لا يُمكن لمسها ولا تزول، ولكن من الممكن أن تُثقلها بمعنى حرفي بأفكارٍ تحمل صفات الأشياء الملموسة تصبح لها عِبئًا "يُنزلها إلى أرض الواقع"، ليس جسد الشخص المُسن المادي هو ما ينحني، بل الجزء الذي هو القوة التي تُحرك الجسد، أي روحه المُحملة بالفِكر المادي الذي لا تستطيع استصوابه أو استيعابه، هي ما تنحني وتضعُف.

الجسد هو دائمًا العلاقة الظاهرة والمرئية والوثيقة بين عقلك وروحك، بالتالي فإن الجسد المُتجدد ذو الجاذبية والنضرة والقوة الدائمة يتضمن عقلًا مُتوهجًا ذا أفكارٍ جديدةٍ وغاياتٍ وآمالٍ وإصرارٍ وطموح.

الحياة الأبدية ليست حياة الشيخوخة المُتقدمة الهزيلة ذات القوة الخائرة؛ فالشخص الذي لا يرى سوى الجانب الجسدي والمظاهر العابرة في الحياة، والشخص الذي يأكل ويشرب اعتقادًا منه أن الجسد وحده هو ما يتأثر بتقليل الطعام أو الشراب، والشخص الذي يظن أن القوة التي تتولد داخل الجسد ولا تغذيها العناصر الخفية القادمة من عالم الروح وحدها هي ما تُسانده، والشخص الذي يعتقد أن لا وجود لشيء لا يُمكنه رؤيته أو سماعه أو الإحساس به بحاسةٍ جسدية (أي المادة

المسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التي هي دائمًا عابرة وزائلة) يجتذب في المقام الأول تلك القوى والعناصر التي تُفضي إلى الزوال والهلاك وتؤثر في الجسد لتجعله فانيًا.

يبدأ موت الجسد قبل عدة سنوات قبل الرقود في تابوته، الوجه الشاحب والجلد الذابل يشيران إلى الجسد الهزيل الذي يعاني نِزاع الموت، ويشيران إلى جزء الجسد الذي تتخلص فيه الروح من العُنصر الهالك واتخاذ العُنصر الجديد بشكل غير سليم على الإطلاق.

في حداثة الصِغر وريعان الشباب كانت قدرة الروح على النبذ والتلقي أكبر مما عليه الآن، ولكن على مر السنين استغرقت تلك الروح في الأكاذيب، وأُعيق نمو وعيها على نحوٍ مُتزايد، وتباطئت استجابتها للتغيرات الجسدية أكثر فأكثر، وبدأ الجسد في إظهار "علامات السن" والتي تعني قُرب وفاته، لأن هذه الروح قد تلقت غذاءً ضئيلًا من ذلك العُنصر الذي يجلب التجديد المُستمر من خلال الفِكر الجديد الذي هو حياةٌ جديدة. من شدة استحواذ الاعتقاد والإيمان بالضعف والانحلال على عقل الجنس البشري، كثير ما يُصور الرجل العجوز المحني ذو الشعر الأشيب والرأس الأصلع المُتكئ على العصا على أنه رمزٌ للحكمة والتعقل، أي أنه الحكمة التي لا تسمح لجسدها أن ينهار، إلا أن في تلك المرحلة من الحياة التي نُسميها الطفولة (جسدٌ جديد يملك روحًا أو ذهنًا جديدًا) يصبح لدى الطفل في فترةٍ ما حِكمةٌ روحيةٌ أكبر من الوقت الذي سيصبح جسده أكثر نُضجًا.

إنها حكمة الحدس اللاواعية، وهي لفترةٍ من الوقت أكثر انفتاحًا واستعدادًا لتلقي الحقيقة، لهذا السبب تتم عمليتا النبذ والتلقي الروحي في الجسد حتى عمر الثامنة عشر أو العشرين بشكلٍ أمثل، وتُحافظ هذه التغيرات السريعة نسبيًا في الجسد على نضارته وشبابه، إلا أن العملية الروحية العُليا ستتوقف عن تلقي الحقيقة بشكلٍ تدريجي عاجلًا أو آجلًا، ومن ثمّ تنعكس المُعتقدات الخاطئة - التي لقنها أو طرحها الآخرون- على الجسد، رغم كل المقاومة التي تُظهرها النفس العُليا على هيئة آلام وأمراض، فيتراكم عبء الإيمان بكل ما هو ملموس وهالك.

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

يتخذ الجسد مظهرًا يتوافق مع هذا الفكر، وترفض النفس العُليا في النهاية حمل هذا العبء لوقتٍ أطول من ذلك، فتطرحه وتترك الجسد هامدًا، وهُنا يُصبح موت الجسد هو آخر عملية تُجريها الروح للتخلص من العُنصر الفظ الذي لم يعد بإمكانها اتباعه أو اكتسابه، وحبذا أن تتمكن الروح من الاحتفاظ بجسدٍ مادي لتُنقيه وتُهذبه مثلما تتهذب الروح؛ فبهذه المساواة في التهذيب والنقاء بين الروح وأداتها تتزايد سعادتنا أكثر فأكثر، ولن نتمكن من دعم قوانا دعمًا تامًا نسبيًا حتى يتحقق هذا الترابط بين الروح والجسد.

عندما قال يسوع المسيح لشيوخ إسرائيل: "إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السماوات" (مت 18: 3) كان مقصد حديثه في النص الذي لا غُبار عليه، أنه ينبغي لهم أن يُصبحوا مُهيئين لاستقبال تدفق القوة مثلما كانت تلك الأرواح "الأولاد" مُهيأة لاستقباله في تلك المرحلة من حياتها، إن تداوم على هذا التدفق، يدم شباب جسدك.

الطفل "مُنقاد بالروح" أكثر من الشخص البالغ؛ تُحركه الفطرة أكثر مما تُحرك كبار السن، وليس من صفاته الدهاء، بل يُعبّر بصراحةٍ عن بغضه أو إعجابه بشخصٍ لأن حدسه كثيرًا ما يُصيب، فيكره الرجل أو المرأة السيئين بينما لا يرى والديه أي سوءٍ منهم، يعرف أو بالأحرى يشعر بالعديد من الأمور الحياتية أكثر بكثيرٍ من الأمور التي يعود الفضل لوالديه في تعليمها له؛ الأفكار في ذهنه الصغير، ولكنه لا يستطيع التعبير عنها بكلمات مُعبرة، فهو لم يتعلم أن يُمرِّن نفسه على عادة معشر البالغين المُرائية: التبسُّم في وجهك والاستهزاء بك وراء ظهرك؛ لأن سلوكه وعاداته طبيعية وفطرية مُقارنة بسلوكياتنا نحن -البالغين- ولفترةٍ من الوقت تطلق روحه العنان لنفسها في التعبير عما يجول بها.

عندما تكبح الروح - على خلاف ذلك - جماح التعبير عن نفسها، وعندما نتظاهر بعكس طبيعتنا، وعندما نرضى ظاهريًا بشيء ونحن كارهون له باطنيًا، وعندما نتملق فقط لنيل الاستحسان ونشعر بالغضب أو خيبة الأمل أو الانزعاج من شيء في داخلنا ثم نتظاهر بالسعادة والرضا في خارجنا، يزداد تصنعنا وابتعادنا عن

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

الوضع الطبيعي في ميولنا ورغباتنا، ويتبلد إحساسنا للدرجة التي تجعلنا نُدمِّر لبعض الوقت كل الحواس والقوى الروحية العُليا، فلا نقدر على التمييز بين الحقيقة والكذب، ولا نقدر على إدراك المعنى الروحاني للإيمان، هذا بالإضافة إلى اجتذابنا تلك القوة الضخمة التي لا مفر منها، ومن دون قوة الجذب هذه لا بُد وأن تتخلى الروح عن الجسد المادي؛ فالجسد لا "يخرج من الشبح" عند الموت، بل الشبح (الروح) هي ما تخرج من الجسد المادي وتُفارقه.

تُصبح روح الجسد – عند التخلص من عدم الإيمان - أكثر تهيوءا لتلقي الأفكار والأشياء الحقيقية، وبالتالي تزدهر لتُصبح قوةً هائلةً لها فاعليةٌ واسعة على كل أجزاء الجسد ووظائفه، وتزيد من شرعة عملية التخلص، مثلما تزيد من سرعتها في مرحلة الشباب الجسدية، وترفض وتنبذ من خلال حاستي اللمس والتذوق الجسديتين أي شيء يؤذيها أو يلوثها، فتصل إلى تلك القوة التي تجعلها تتبين بسرعةٍ وجود السُم الفعال في الفم إذا ابتُلع عن طريق الخطأ فتلفظه، وإن ابتُلع لفظته المعدة على الفور.

إنها ليست المعدة الجسدية التي تتقيأ الطعام الكريه وإنما الروح التي تدفع العضو إلى هذا الفعل لأسبابٍ لا يعلمها سواها، هي ما تُشير إلى أن المادة الملفوظة لا تصلح لذلك العضو، لا يصلح هذا العُنصر الملفوظ بهذه الطريقة للعضو الجسدي لأن طبيعته وصفاته لا يمكنهما الانسجام مع الروح، ولا يساهمان في إصلاحها وتقويتها، وكُلما ازدادت قوة الروح ازدادت معها تلك الحساسية والوعي لكل الأشياء التي بإمكانها إلحاق الضرر بها، سواء أكانت أشياء من عالم المرئيات أم اللامرئيات، ويزداد حرصها وانتباهها من اقتراب أو وجود كل ما هو مؤذٍ فتتخلص منه، ستحذرك من الشخص الخبيث أو الماكر فورًا، وستخبرك بما هو آمن وملائم لعلاقاتك، وستنبذ وتمتنع عن تلقي كل الأفكار المُفسِدة التي تتلقاها بشكلٍ يومي على الأرجح، من دون أن تعي ذلك، وتشكل ضررًا بالغًا عليك أكثر من أي شيء مادي، لأنها هي ما تسمم الروح وتُفسدها. بينما تستحضر الروح - كلما ازداد الإيمان بالأشياء قوةً- مُعينات مادية عديدة تدعم عمليات التجديد دعمًا جمًا، تأتي في صورة اختيار أنواع الطعام وانتقاء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الروابط والعلاقات الصحيحة، وغيرها من التغيرات في العادات والأعراف.

ولكن الروح هي من يتعين عليها تحفيز وتوجيه هذه المُعينات المادية، وعندما تشعر بهذا التحفيز ستلتزم اتباعه؛ لن تقدر على تناول الطعام الذي نفر ذوقك منه، ولن تقدر على الاستمرار في علاقةٍ تُسيء إليك؛ سيصبح التخلي عن العادة التي تم تغييرها سهلًا وطبيعيًا لا يسبب أي خلل، ولكنك إذا وضعت لنفسك قواعد صارمة عند تغيير تلك الأمور، أملًا في أن تُضفي تلك القواعد طابعًا روحانيًا عليك، فإنك تسمح بذلك للنفس المادية أن تأخذ تلك الأمور على عاتقها، فيحاول الذهن المادي أو الذهن الأدنى عندئذٍ وضع القانون والقاعدة وتغيير النفس الروحية أو العُليا.

دع إيمان الروح يزداد، ودعها تقوم بدورها في تهذيبك، وعندما يحين الوقت لكي تنبذ أي طعامٍ يثير شراهتك أو أي عُنصرٍ يثير الجانب الأقل تهذيبًا في نفسك، أيًا ما كانت شاكلته، راقب انتهاء الرغبة والتلذذ بتلك الأشياء. إننا لا نستدل، بالتعبير عن إيماننا بأن خلود الجسد شيءٌ مُمكن، على أنها إمكانية يُمكن لأي شخص على قيد الحياة جسديًا تحقيقها، ولا نستدل على غير ذلك، ولا نُحاول إقناعكم بأنه يجب على الناس بدء العمل على الفور بمفهومٍ مادي من أجل أن "يحيون للأبد"؛ وإنما نؤمن فقط أن هُنالك نتيجة واحدةً يجب أن تحقق من ذلك التطور والنمو الذي يقلب الروح من الانحطاط إلى السمو آجلًا كان أم عاجلًا، والذي لطالما كان له الفاعلية والتأثير في هذا العالم وعلى كل أشكال المادة؛ المادة هي الروح التي تتجسد بشكلٍ وقتي لكي تبدو واضحةً للحاسة الجسدية المُماثلة.

كلما تعاظم واشتد إيماننا بتلك العمليات الروحانية التي تنبذ القديم وتأتي بالجديد، وبالتالي نشعر بالتطهير العميم أو روحنة الجسد التي تُصاحب تلك العمليات، ازداد عوننا لمن هم أقرب إلينا في الجانب الغيبي من الحياة، لأننا كلما أصبحت أجسادنا أكثر روحانية، ساعدهم ذلك على تجسيد الروح أكثر، بقولٍ آخر، سنبدو ملموسين جسديًا لبعضنا بعضًا، لأن في الفِكر المادي الذي نتخلص منه، ثمة عُنصر يُمكنهم الاستئثار به من أجل تجسيد أنفسهم تجسيدًا إضافيًا.

كذلك تخضع أجسادهم الروحية للقوانين ذاتها التي تخص عمليتي التخلص والتلقي؛ ما يتخلصون منه مما يعُدونه عُنصرًا فجًا، هو لنا عُنصرٌ راقٍ يليق بنا، هذا العُنصر الذي نستمده معنويًا لذلك الوقت وتلك الحالة، هو نوعٌ من الغذاء الروحي وشكلٌ من أشكال الحياة لنا؛ فمن خلال ما يتخلصون منه يتسنى لنا روحنة أجسادنا، ومن خلال ما نتخلص منه يتسنى لهم تجسيد أرواحهم.

الفصل الثاني عشر

اجتذاب الطموح

لمَ لا نبقى على درجةٍ من صفاء الذهن؟ ولماذا نتعرّض لفتراتٍ من الحُزن والاكتئاب؟

هذا لأنك – مهما بلغ وضعك الذي يتوافق مع تصورك للحياة من جودةٍ - ما زلت مُتضررًا بدرجةٍ أو بأخرى مع عدم التوافق الذي يسيطر على كل شيءٍ يحيط بك. فحتى إن كنت لطيفًا وترفق بالحيوان، فالطيور البرية وطيورك الأليفة التي لا تحتفظ بها في قفصٍ خاص بل تبني أعشاشها في الحديقة، تُقتل بغرض الترفيه أو الصيد أمام عينيك، وأنت عاجزٌ عن إيقاف ذلك.

إنك تعيش في خضم مشهدٍ من الوحشية والقتل المتواصل؛ الحيوانات التي ترعاها رعاية الإنسان تتربى في ظروفٍ اصطناعية، وبالتالي تنمو نموًا غير طبيعي وغير صحي من أجل لهوه أو منفعته، وينطبق ذلك على كل طرق "الإنتاج الفاخر". الطبيعة عندما لا نعبث بها تأتي بأفضل ما لديها للطائر أو الحيوان، ويصبح لدى الطيور أو الحيوانات حقوق خاصة بها كالحقوق التي يتمتع بها الإنسان، أما الإنسان فسيصيب أسلوبه المريض والشاذ في الرعاية كبد الإوز الذي يُقدم كطبقٍ مُعين بالتضخم والمرض.

وكذلك الجنس الذي تنتمي إليه – الجنس البشري - يُفشي الأمراض في كل مكانٍ حولك، وبالمرض أعني الشقاء الذهني والجسدي، وبشكلٍ مُباشرٍ وغير مُباشرٍ يُلحق بك ذلك الشقاء، ولكن كلما ارتقى كيانك وبُنيانك الطبيعي، صار أكثر انفتاحًا على حياةٍ أفضل، وصار أكثر انزعاجًا من كل تلك الصعوبات التي تُحيط به، لا سيما أنك لا تستطيع مُغادرة المنزل دون مُلاقاة ما يثير ألمًا نفسيًا أو جسديًا.

تزداد حرارة منازلكم وسياراتكم وسُفُنكم في الشتاء وتمتلئ بالأبخرة المؤذية بفعل الوقود المُستخدم، وكذلك ما تلفظه الأجساد البشرية التي تتكدس بداخلها،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قد تدفعكم الضرورات إلى النوم في غُرفٍ تعتمد على تلك الحرارة الضارة بصحتكم في تدفئتكم وقت الراحة، ويجب عليكم استنشاق هذا الهواء الملوث وأنتم في موضع نقاهة لاشعوري إلى أن يتداخل في كياناتكم عندما تستيقظون، وقد يحدث أن تتناولوا طعامًا تالفًا وكريهًا على أفخم موائدكم العامة، ويؤلمكم كل ما ترونه من مشاهد القسوة والوحشية والظلم التي تدور من حولكم.

ذلك هو الفِكر الرائج الذي يُسيطر على البيئة المُزدحمة بالأشخاص ويؤثر في جودة أفكارك. هُنالك فِكر أو نشاطٌ عقلي – إذا أردت تسميته كذلك - مُتجسد في كل ما هو مادي من حولك ويعتمد رونق الفِكر وانطفائه على حالة الشيء المادي، إذا تناولت ثمرةً تالفةً من الفاكهة أو الخضراوات قد يسبب لك ذلك شعورًا بالاغتمام بشكلٍ غير مباشر، أما الفاكهة الطازجة – بخلاف ذلك - ذات اللون الزاهي، تمنحك شعورًا بالنضارة والحيوية. الهلاك - أو في تلك الحالة – التلف، هو تحلل المادة وتفكك جُزيئاتها، وما تحتاجه هو تناول شيء ذي جسدٍ مُنتظم (الفاكهة) مثالي، لا أكثر ولا أقل نُضجًا، تريد تناول الشيء وهو في أوج حيويته – ما أمكن ذلك - فيتسنى لك اكتساب تلك الحيوية. ثمة قوانين عديدة للصحة البدنية والعقلية تنتهكها بجهلٍ ودون وعيٍ، أو حتى بشكلٍ قسري وقت الاحتكاك بها، فبالمقارنة مع أمثلة الطعام والهواء والتدفئة التي ذكرتها توًا، ربما كان اعتمادك الدائم على ركائز اصطناعية؛ ولأنك اعتمادي بالفطرة، خُلقت بجسدٍ ونُقل إليك عبر عدة أجيال نمو منقوص، وَغِذاء رديء وحياة اصطناعية لا تليق بطبيعتك.

هذه الحياة الاصطناعية لا بُد وأن تجلب المُعاناة بطريقةٍ ما؛ فكثيرًا ما ينشط الباعث الذي يدفعك إلى تناول الكحول للحظةٍ ثم يترك خلفه وقتًا أطول من الألم والعناء، للكحول مضرة ولكنها مَضرةٌ ضئيلةٌ بالمُقارنة مع الأسباب التي لا حصر لها التي تدعو إلى فظاظة وقسوة البشر في النشاط اليومي الذي يدور من حولك في الأماكن المُزدحمة، وأكثر خطورةً من كونها شيئًا لا يُمكنك الاطلاع عليه على الإطلاق.يطرأ في ذهنك سؤال: "لماذا لا أستطيع الحفاظ على بعض الهدوء والصفاء الذهني الذي أدرك أنه يستحق التطلع إليه؟"

المسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لِنفرض أن جسدك قد مرض في الماضي – وبالطبع ساءت حالتك النفسية - هل تتوقع الشفاء والنجاة من هذا الصراع الطويل مع المرض في لمح البصر؟ بعض عادات الفِكر لا يُمكن الخلاص منها إلا بالتدريج، وكذلك بعض عادات الجسد الناجمة عن تلك العادات الفكرية، مثل عادة التسرع والقلق، وعادة وضع ضغوطاتٍ لا داعي لها في أمورٍ ليست الأكثر ضرورةً في تلك الساعة، وعادة إيقاع النفس في المشاكل، وغيرها الكثير من العادات التي تخترق وتؤثر في كل فعلٍ تؤديه في حياتك؛ جميعها ذات تأثير مُشترك ألا وهو الإنهاك، الإنهاك الذي هو أصل الأمراض والآلام والأحزان والكَوارِث التي يُمكِن أن يتعرض لها الجنس البَشري، فما يُنهك الجسد – وإن كان دافع الجهد هو الخير لا الشر أو الإحسان لا الإساءة - يُضعف القوة التي تُقاوم الأسباب العديدة التي تُسبب الآلام وانخفاض الروح المعنوية.

الجانب الحسي المُبتذل هو ما سنراه في المقام الأول، وقُبح النفس هو ما سنشعر به ذاتيًا في أغلب الأوقات، وسننتبه لوجود الخير في الأشياء مُتأخرًا، ولن نستحسن سوى القليل من الأشياء، وسنبغض الكثير منها ما دامت الغلبة للروح الدنيوية أو الأقل تهذيبًا. في المقابل، عندما تُصبح الغلبة للروح ينقلب ذلك كله، فنرى الخير بوضوحٍ في كل شيءٍ، وبذلك يزداد شغفنا بكل شيءٍ تقريبًا، ولأننا وجدنا الخير في كل شيء، سنحظى به من كل شيء، سنتوقف عن عدم الاستئناس بالأشياء بشدةٍ بناءً على أحكامٍ مُسبقةٍ وفردية، ونُحب أكثر ما نكره، ولكن ما إن تسود البذاءة والقسوة و "الروح الدنيوية" تطغى الكراهية على المحبة، سنرى ما يُثير الاشمئزاز والانقباض في كل شيء أكثر مما يُثير الإعجاب فيه، وكأن أبصارنا قد غُشيت عن كل ما هو حَسَن وجميل، وصارت أكثر حِدة بكل ما هو بشعٌ وكريه، ثم لن يؤذينا شيءٌ سوى هذه الرؤية المُنصرفة، وهذا الشعور المُتجه نحو الشر لا الخير.

الكراهية والتحامل الشديدان وعدم القدرة على سماع ذكر اسم شخصٍ تبغضه من دون أن يُثير ذلك ضجرك وامتعاضك هو إلحاقٌ متواصلٌ للأذى والإساءة بالنفس، والقدرة على استحسان الأشياء وتبلور الرؤية لاستكشاف الجيد في أدنى طبيعة بشرية، وإبعاد السيئ عن الأنظار هو مصدر قوةٍ وصحةٍ وزيادة مُستمرة للقوة لنا.

على كل حال، المحبة والألفة قوة، وأنت دائمًا الأقوى عند احترام الأشياء والآخرين.

الاجتذاب قانونٌ من قوانين الجنة، والنبذ من قوانين الدُّنيا؛ تنجذب الروحانية إلى ما تجده من نفسها أينما كان، فتجد الدرة المكنونة وإن كانت في قلب الوحل، وترى بذرة اللين في أغلظ طبيعة بشرية، فتُثبت بصرها على تلك البذرة وتتغاضى عن الصفات البذيئة الأخرى، إن تفعل ذلك تُسخِّر قواها لتلك البذرة وتبعث فيها الحياة؛ فإن أدنى الطبائع ترتقي إلى أعلى درجاتها بوجود وتحت تأثير القوة العُليا.

المُبشرون الحقيقيون ليسوا بحاجةٍ كبيرةٍ إلى تفوه الكلمات عند إلقاء العِظة، بل يزفرون من رئتيهم جوًّا من الألوهية يعيشه الجميع؛ فالمبادئ أو القواعد التي تصف مسارًا محددًا لفعل أو تصرف أو سلوك يجب أن يدركها القلب أكثر من أن تسمعها الأذن، الشخص المُتحامل بالنسبة إلى الشخص المُذنب ما هو إلا "قُنفذ" روحي؛ يخز بأشواكه من يلمسه، إننا نضع قيودنا بأنفسنا ما دُمنا نشعر بذلك الاشمئزاز الشديد من خلال رؤية النقائص فقط في الشخص الآخر، وما دامت هذه المشاعر تُسيطر على عقولنا، في حضوره تملؤنا الكراهية بطريقةٍ تجعلنا لا نستطيع إثبات الجانب الأفضل من أنفسنا، كل ما تكنّه أنفسنا من شرٍّ وعُنفٍ يُلفظ بصوتٍ مسموع ويتبدى على وجوهنا وسلوكنا، ولا شيء سوى تضارب النزعات لدينا؛ فنُصبح في هذه الحالة - وإن كُنا في حقيقة الأمر الطرف الأقوى - الطرف الأضعف لبعض الوقت، ونضطر إلى السماح بتطاول القاصر الذي يجدر بنا تعليمه بالقدوة علينا.

هكذا تولد التهكم والاستخفاف بالآخرين: كراهيةٌ وتحاملٌ شخصي بلغا أقصى الحدود؛ يحسم المُتهكم ظنه بأن الجميع مُزعجون ويكره نفسه في النهاية، فلم يوجد متهكم بصحةٍ جيدةٍ؛ التهكم والصوت المُستهزئ يسمم الدماء، ودائمًا ما يبحث الشخص المُتهكم عن المثالية في غيره، في حين أنه يجب إيجادها في نفسه. إن يجدها يتخذ من كل من حوله دائمًا مثالًا وقدوةً حسنة، وتتطور روحه المُحِبة تدريجيًا وتلتئم مع كل من هم على اتصال به؛ فالطباع والصفات التي تتشابه مع صفات الذات الإلهية أيضًا مُعدية؛ تنتقل انتقالًا حميدًا بين الأرواح، ولا تنتقل عدوى الشر إلا إذا كانت تلك الصفات الإلهية ضعيفة.

الفضيلة شيءٌ بديع، وفي التوقيت المناسب سيعلم الإنسان أن الصحة كذلك، ولكن لطالما هلع الجنس البشري - ولا يزال يهلع - من الشيطان، بل وعظَّم قدره أيضًا عندما سمح بتفشي الشر فقط بزرعه في كل طبيعة بشرية رديئة، وزرع قناعاتٍ بأن لا يُمكن تمرين تلك الطبيعة البشرية على جميع ضروب الخير إلا بالمشقة والألم.

لن تتمتع بأتم صحة وقوة إلا ببُعد الهِمة ونقاء الفِكر، فنقاء الدم من نقاء الفِكر، أما الفِكر الملوث القانط والمُتبرم والباحث عن الأخطاء والمضطرب والوشائي، من المؤكد أن يلوث الدم ويجعل الجسد مليئًا بالأمراض، وبانحطاط الهِمة لن تنفع أفضل رعاية تُقدمها للجسد كثيرًا؛ قد ترتدي ملابس أنيقة وتعتني بنظافة مظهرك بتدقيقٍ مُفرط، وقد تهتم أشد الاهتمام بنظام الغذاء، ولكن يتضح الأمر بأنك تُنظف خارجك وتُهمل داخلك العامر بالقاذورات، عندما يزداد نقاء الفِكر باستمرار تصبح نظافة الجسد والعناية به نتيجةً طبيعيةً، إذ يطهر الجسد نفسه بنفسه، بل وستصبح العناية الحقة بالجسد في كل شيء جهدٌ مُحببٌ له؛ لن يكون الاستحمام مهمة مفروضة بل استجمام، وسيُنظم الغذاء وفقًا لما يشتهيه ذوقك، وتُصبح الأذواق والميول معيارًا لقبول الأشياء أو رفضها.

بلا إفراطٍ ولا تفريط، ستصبح حاسة التذوق السليمة أكثر يقظةً وانتباهًا إذا ظهرت أول إشارة -وإن كانت إشارة ضعيفة- للاكتفاء أو الشبع؛ فهي إشارةٌ لها لكي تتوقف منعًا للانغماس في الملذات.

إنه ذلك الطموح والتطلع إلى الأسمى والأفضل هو ما يجعلك تشهد في الوقت المُناسب ميلادًا جديدًا للجسد، و"إصلاحًا" شاملًا في أجزائه، وفي شكل وبِنية البشرة والعِظام والدم والعضلات والأوتار؛ تغييرًا جذريًا في النظام الجسدي بالتوافق مع ذلك الروحي؛ فالجسد عندما يتطبع بِطابع روحي - أي إشباعه بالعناصر الأرقى والأسمى - ينطبق ذلك على جميع الأذهان المُتطلعة ذات الهِمة العالية.

تُكسبك سطوة الروح على الجسد مناعةً ضد الأمراض وتُزيد من كل قوةٍ لديك، وتمنحك قدرةً على بذل جهدٍ أكبر بكثيرٍ في أي مجال من مجالات الحياة، وتضمن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لك عند نهاية الحياة الدنيوية ميتةٌ هادئة وخروجًا غير مؤلم للروح؛ خلودٌ اعتياديٌّ من الجسد الدنيوي للنوم ثم استيقاظٌ في الجانب الروحي الآخر من الحياة.

الخطوة الأولى في سبيل الوصول إلى شفاء النفس تكمن في المُطالبة بعناصر الصحة والقوة وإبعاد المرض، أي أنك إذا دعوت بمجيء تلك العناصر فسوف تأتيك؛ فالقوة أو الهِمة عُنصرٌ من الروح أو المادة الأنقى، وكلما اعتادت رغبتك على الدعاء باكتسابه أكثر استجاب دعاؤك بشكلٍ أسرع، هذا هو سر الحفاظ الدائم وتصاعد الهِمة أو أي صفةٍ ترغب في تنميتها والحفاظ عليها، حينما تشعر بنقصٍ في القوة - وستكتشف ذلك سريعًا بالإشارات - اطلب، ادعُ، وارغب في المزيد؛ فتناغم تلك الرغبة والطلب مع العناصر هو ما يؤدي إلى تدفق وانصباب تلك القوة.

قد تفتر هِمتك، ولكن عندئذٍ تخضع عزيمتك تبعًا لذلك لعمليةٍ تُحدث سيلًا فوريًا من القوة، بمجرد أن تضع نفسها في ظروفٍ مُعينةٍ لاستقبال هذا السيل.لنفترض أنك استيقظت صباح يومٍ ما مُنهكًا خاملًا لا يقوى جسدك أو ذهنك على أداء أي شيء، اصرف ذهنك عن التركيز على توعكك قدر المُستطاع، وركِّز تفكيرك قدر ما استطعت في القوة والحيوية والصحة والنشاط، وريثما تخلق المُعينات تلك الحالة المزاجية، حاوِل تثبيت أفكارك على تأمل شواهد ودلالات قوى الطبيعة، كالعاصفة والإعصار والأمواج المُتلاطمة وعَظَمَة المُحيط وشمس الصباح المُتوهجة التي تُشرق بكل مجدها لتُجدد نشاط وقوة الإنسان والحيوان والنبات. استرجع تلك الشخصية التي كان لها تأثيرٌ قويٌّ فيك إذا كان هُنالك تصويرٌ لها في النثر أو الشِّعر، اقرأهُ بصوتٍ مسموعٍ أو بصمت؛ فبذلك تضع العقل في الطريق الصحيح لتلقي القوة.

خُلاصة القول: فكر في القوة والطاقة وستجذبها إليك، فكر في الصحة وستستمتع بها، دع عقلك يُسهب في الضعف والمرض الدائم والجانب المُظلم، وكل ما يُثبط العزيمة ويُكدر العيش ويجعل نظرتك للحياة نظرةً سوداوية، وستجذب إليك كل عناصر الفِكر المؤذية.

مثلما يجلب التلف مزيدًا من التلف عندما يُصيب الأشياء التي نراها، يجلب أي

تسلسلٍ مُتلِف من الأفكار مزيدًا من الأفكار المُتلِفة عن الأشياء التي لا نراها.

ينشغل العديد من الأشخاص المصابين بمرضٍ أو وعكةٍ لاشعوريًا بالشكوى والتذمر أكثر من رعاية الأجساد المصابة بما يشكون منه، فيداومون على التفكير فيه والتحدث عنه؛ لأنهم في حقيقة الأمر مُتعطشون إلى التعاطف والشفقة على الأذى أكثر من الجسد المُصاب به، بالتالي يُصبح التعاطف الذي يُظهره الأصدقاء المحيطون هو ما يُفاقم الإصابة والوعكة، في حين أن الأفكار الصادرة من المريض والأصدقاء من الأصلح أن تتركز على الوسيلة التي يستعيد بها المريض صحته وقوة جسده؛ إذا أردت مُساعدته يجب أن تزداد قوة جذبك للأفكار التي تُعيد له الحيوية، كلما تكاثفت تلك الأفكار المؤذية التي يطرحها كل من يحيط بالشخص المُصاب عليه. ولا تنسَ أن هذا الكتاب لا يُبرهن على أن الكرب دائمًا ما يُمكن تنفيسه كلمح البصر؛ العقل الذي لطالما اتخذ دون وعي الاتجاه المُعاكس الذي يُركز على ضعف النفس لا يُمكنه أن يُغيّر اتجاهه على النقيض نحو اجتذاب القوة مُباشرةً؛ فربما صار مُتأقلمًا ومُتمرنًا على الاستغراق في الجانب المُظلم وكأنه عاجزٌ عن رؤية أي جانبٍ آخر، ولكن ما دُمت تحاول وتُثابر ستزداد قوة الحالة المزاجية المنشودة التي تجذب القوة والنشاط، لا بُد من بذل الجهد حتىٰ وإن استغرق الأمر بعض الوقت؛ كل ذرة من الجهد المبذول هي إضافة للقوة لن تذهب هباءً على الإطلاق، ولكن لا تطلب بطريقةٍ اعتباطية وجائرةٍ أن يتعافى أي عضو أو جهازٍ عضوي في جسدك من الأذى وأن يُصبح أقوى؛ جسدك ككلٍّ هو كيانٌ مُستقل عن روحك وله حياةٌ جسديةٌ ينفرد بها، برُمته منظومةٌ شاملةٌ تتكون من عدة أنظمةٍ أخرى، كلٌّ منها مُكلفٌ بمُهمةٍ خاصةٍ بها؛ فالعين مُهمتها الرؤية، والأذن مُهمتها السمع، واللسان مُهمته التذوق، والمعدة مُهمتها الهضم، والرئة مُهمتها التنفس، كلٌّ منها - بمفهومٍ ما- منظومة مُستقِلّة بذاتها، وجميعها مُهيأ لاستقبال تأثير عُنصرٍ يُخفف عنها ويُعيد لها الحياة يُسمى "الحُب"، وهو عُنصرٌ يُمكنك إرساله؛ ضمِّد الجروح بحُبٍّ ولُطف ولن تستوحي تلك المداواة الحنونة فكرة هذا العُنصر فقط وإنما سينزل على الجرح كالمرهم فيلتئم وتلتحم الأجزاء المُمزقة طورًا بعد طور. جرّب أن تربط هذا الجرح بتهاونٍ ونُفور أو أن تُفوّه

أثره مُتكدرًا وكأنها مُهمة مُزعجة، ولن يؤثر ذلك الشعور في هذه المُداواة المُهملة الجافة فقط بل ستعجز عن تهدئة الجرح وتعزيزه بالعُنصر الذي يحتاجه، ألا وهو الحُب، جرِّب أن تُلثمه بكرهٍ فعلي وستُسمم وتُلوث بنفسك الجُزء المُصاب؛ فالكراهية عُنصر السُم الأساسي، والمحبة عُنصر الشفاء الأساسي.

القاعدة والمنوال ذاته يصدقان على العين ذات النظر الضعيف، والأذن ذات السمع الثقيل، وأي عضوٍ يُعاني وعكةً أو ضعفًا، ستُشفق عاطفتك في بعض الأحيان على العضو المتوعك، من هذا المُنطلق اطلب منها استعادة قوته، لا ترتدع من سذاجة هذا الكلام الواضحة، ولكن جربه، لعله يُفيدك.

إذا كُنت مُنزعجًا أو مُتبرمًا من أن العين أو الأذن لا تؤديان وظيفتيهما بشكلٍ سليم، فذلك لأنك لا تفعل شيئًا سوى أنك تُحوِّل ذلك العُنصر الذي يثير التبرم إلى ذينك العضوين، فتُثير سخطهما وتُثقل عليهما وهما يبذلان قصارى جهودهما.

لم يتوصل الجنس البشري حتى الآن إلى الحياة المثالية الكاملة نسبيًا؛ فحياةٌ كهذه تعني حياةً وجسدًا يخلوان من المرض أو المُعاناة، وكذلك حياة بلا شكلٍ للموت الجسدي الذي نعرفه اليوم؛ الحياة المثالية - ويتعدد مفهوم المثالية لدى البشر - هي الحياة التي يرتقي فيها العقل والروح أو يكتسبان قدرًا كبيرًا من القوة بمجرد التضرع أو طلب القوة، أو بعبارةٍ أخرى جعل العقل كالمغناطيس وضبطه في الاتجاه الصحيح ليجذب القوة، ليُصبح قادرًا باستمرار على استعادة صحة الجسد أو تجديده وزركشته بمواد أرقى وأجدد وأكثر حيوية، وكذلك ارتداء هذا الجسد وخلعه كما يحلو لصاحبه، مثلما فعل يسوع المسيح بعد صَلبه مُباشرةً؛ ربما فتك اليهود بجسده فقط، ولكن كان لروحه القوة التي مَكنتها من تقمص جسدٍ جديدٍ، وهُنالك تسجيلٌ آخر لتلك الصورة وهو صعود إليا النبي إلى السماء، ما رآه رفيقه اليسع النبي هو جسد إليا الروحي أو جسده الأسمى، الجسد المُقابل لنظيره المادي، وهو جسدٌ يتكون من عُنصرٍ رفيعٍ للدرجة التي تجعله يتمكن من استخدام نوع من الجاذبية لم يتوصل إليه عُلماؤنا؛ الجاذبية أو القوة التي ترتقي بالجسد صعودًا، بعكس اجتذاب الثقل أو الجاذبية الأرضية التي تجذب الأجساد إلى أسفل فتسقط على الأرض.

هذه هي الجاذبية التي تجتذب الطموح؛ كل فِكرةٍ أو رغبةٍ نطمح في تحقيقها، إذا كانت أنبل وأكثر تهذيبًا وتحرزًا من الضغائن والعداوة المُضمرة للآخرين وأكثر نفعًا لهم دون شروطٍ تعجيزية، هي شيءُ بعينه، وهي قوة عناصر خفية تتجه بالأجسام وتسحبها بالفعل إلى أعلى - بعبارة أخرى - بعيدًا عن الأرض، أو أي شكل من أشكال ذلك النوع الأكثر انحطاطًا من الروح التي تُرى بالعين المادية، أو تُدرَك باللمس التي نُسميها المادة.

هذا هو التسلسل الفكري الطموح الذي تستمده من العوالم العُليا -عوالم الروح - أو العُنصر الذي ترغب فيه وتتوق إليه وتُصلي وتدعو من أجله، عندئذٍ تجتذب من ذلك العُنصر الخفي الذي يتداخل ويندمج مع جسدك وروحك ثم يبدأ في سحبك - بمعنى الكلمة- إلى عالم وعُنصر حياة أعظم وأوسع وأنقى كائن في نِطاقات بعيدةٍ عن كوكبنا، وسيجعل - كلما التزمت بهذا التفكير الطموح - وقفتك أكثر استقامةً وانتصابًا، فعبارة "الرجل القويم" تُشير إلى أن تأثير هذا العُنصر الخفي الذي أتاك من الطموح يقوّمك جسديًا وروحيًا؛ يُعدِّل وضعية كل عضو جسدي لديك.

إنه تيار الفِكر المجذوب من نزعة الأفكار البدائية الفاسدة أو النزعة الأنانية الهوجاء، هو ما يسعى فقط إلى الإرضاء الشخصي دون تفكيرٍ أو اكتراثٍ للآخرين؛ الأفكار أو النزعة السوداوية وفتور الهمة وإنكار الذات وانتقاص قيمتها تأتي نتيجة جاذبية الأشياء الدنيوية والجسدية التي تُهيمن على عقولنا، عندما تُسيطر الجاذبية الأرضية -أو بتعبيرٍ آخر- جاذبية الأشياء المادية على حركتك، ستستمر في تقويس كتفيك وجعل رأسك مُنحنيًا وخفض نظرك، وسينحني قلبك بطريقةٍ ما، بكل ما تحمله الكلمة من معنى، من شدة العناء أو القلق أو الغضب أو أي شكلٍ من الأفكار التي تفتقر إلى النضج والحِكمة أو ما اجتذبته من الأشياء المرئية أو الصور الأكثر بذائيّة ووحشية من الروح؛ ستتغير وضْعية كل عضوٍ في الجسم بالطريقة ذاتها، وستميل نحو الأرض، فدائمًا ما تتماثل الأشياء والأشكال المادية مع الأشياء والأشكال المعنوية تماثلًا دقيقًا وحرفيًا؛ شكل جسد كل رجل وامرأة، وتعبير الوجه، وكل إيماءة وسلوك يتبعونه حتى عند أقل الأمور أهمية، وصحتهم الجسدية، هي

انطباقٌ دقيق لحالتهم المعنوية، أو بتعبيرٍ آخر: طريقتهم في التفكير، إنه تكرارٌ لما تطرحه المادة غير المرئية في الحركة والمادة المرئية.

ولكن في الجانب الآخر، كلما تملكك اجتذاب الطموح والرغبة في أن تتشبه أكثر بالآلهة أو الإلهات، والإصرار على التغلب على الشر الذي بداخلك كله - والذي هو السبيل الوحيد للتغلب على أي شرٍّ خارجي أصبح قوامك تماشيًا مع ذلك أكثر رشاقة واتسعت عيناك وأصبحت أكثر يقظة وانشرح قلبك وتوردت وجنتاك من فرط الحيوية، وتشبَّع دمك بالمزيد والمزيد من العُنصر القوي الأسمى، ليمنح أطرافك القوة والحيوية وليونة ومرونة الحركة، عند ذلك تتجرع قدرًا لا ينضب من إكسير الحياة، الذي هو ليس أسطورة بل حقيقة وإمكانية روحية.

ولكن لا يزال اجتذاب الأشياء الجسدية أو العُنصر المرئي يُسيطر على جنسنا البشري حتى الآن؛ فلقد اعتاد قول إن لا وجود لشيءٍ سوى ما يُمكننا رؤيته أو إدراكه بحواسنا الخارجية الضعيفة والرديئة، إلى أن اختفى كل شيء بالنسبة إلينا؛ قد يموت الإنسان عطشًا وإن كان مُحاطًا بينابيع المياه الباردة ما دام أنه لا يعلم بوجودها، فلا وجود لها بالنسبة إليه من الأساس، ولقد كان حالنا مُشابهًا لذلك التصوير. لن يكون موت الجسد مؤلمًا بالنسبة إلى الأجيال المُستقبلية التي ستُصبح أكثر تحضرًا وتهذيبًا على سطح هذا الكوكب كما هو الحال في الوقت الحاضر؛ فلقد كان هذا الموت المؤلم هو النتيجة المُباشرة لارتكاب الخطايا ومُخالفة قانون الحياة، ستصبح نهاية الجسد في المُستقبل ميلادًا ونشأةً لجسدٍ مادي جديد كان الجسد القديم له بمثابة القِشرة أو الغلاف الذي يُغطيه إلى أن ينضج ويُصبح مُستعدًا للظهور، بطريقةٍ أشبه بتطور وانسلاخ العثة أو الفراشة عن شرنقتها؛ ستحدث هذه التغيرات وهذا النمو على فتراتٍ زمنية أقرب وأقرب إلى أن تبلغ الروح هذه الدرجة من القوة التي تُمكنها من اختيار واجتذاب - على الفور ومن بين كل العناصر المُحيطة بها جسدًا تسكنه كما يحلو لها في هذا الطور من الحياة. هذا هو الأمر الذي تنبأ به بولس الرسول عند قوله: "أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا هاوية؟"(كو 1 15: 55)، وتنبأ به مرةً أخرى عندما كتب: "آخر عدوٍ يُبطَل هو الموت"(كو 15 1:

26)، إننا نستشهد بأقواله لأن ما من مُعلِم جليل قد تنبأ بتلك الإمكانات ببساطةٍ ووضوحٍ أكثر منه، بالتأكيد كانت معروفة لدى المُعلمين الآخرين الذين ذكرهم تاريخ البشرية المُسجل وغير المُسجل على هذه الأرض الذي يعود إلى عصورٍ أبعد بكثيرٍ من تلك التي يُمكن اكتشافها من تصوير الفُسيفساء.

هذه الحقائق وهذه الإمكانات التي تُساعدنا على تفادي الانحلال والهلاك والألم، وتُساعدنا على تجديد أجسادنا الحالية، أو اتخاذ أجسادٍ أجدد وأنقى وتتمتع بصحةٍ أفضل، وعيش حياةٍ مُفعمة بالحيوية، لها فينا تأثيرٌ بالغٌ اليوم، ويجب ألا نظن أن هذه العِبارات المكتوبة تُخاطب وستؤثر فقط في جيل قادم من الجنس البشري في المُستقبل البعيد؛ إنها تُخاطبنا نحن أيضًا، إنها إمكاناتٌ لنا أيضًا... لدينا قُوًى تخُصنا نجلب بها حياةً وجسدًا جديدين، ولكن إن لم تعلم بوجود هذه القوى التي تمتلكها، كيف لك أن تستخدمها؟ إنك في هذه الحالة كشخصٍ يُعاني من فقرٍ شديد يملك معطفًا رثًا في بطانته فتقٌ مُرقعٌ بِغفلَة ورقية قدرها ألف دولار من دون أن يعلم بوجودها.

هذا العِلم بالنسبة إليك هو "اللؤلؤة كثيرة الثمن" (مت46: 13)؛ لا يُمكنك بيع هذه اللؤلؤة ولا يُمكنك استبدالها مع اللؤلؤة التي يملكها قريبك ولا يُمكنك جمع واكتناز قواه الخاصة به؛ يُمكنك فقط تنمية واستخدام ما يخصك وحدك.

لعلك تتساءل الآن: "هل من الجائز أن تتحقق هذه الحقائق والمُعجزات في زمننا وعصرنا العادي الذي لا يتميز بشيء؟" ولكن عصرنا ليس عاديًا وليس عصرًا وزمنًا يخلو من المُعجزات، بل قِصَر نظرنا إلى الأمور هو ما يجعل زمننا يبدو عاديًا؛ إننا مُحاطون بالمقومات والعناصر ذاتها، ونمتلك بدرجةٍ أو بأُخرى القوى ذاتها التي عبر بها الشبّان اليهود الثلاثة من خلال نيران الأتون المُتقدة سالمين دون أن تحرقهم، والتي أخضع بها النبي دانيال - من خلال مُمارسته للقوة الأعلى من الفِكر البشري - وحشية الأسود في الجُبّ (العرين)، ونفض بها بولس الرسول الأفعى السامة عن يده إلى النيران، وصنع بها يسوع المسيح مُعجزاته الربانية.

ثم تسأل: "أليست هذه قوى الله؟" بلى، إنها هي قوى الله أو روح الخير اللامتناهية التي لا يسبر غورها، تعمل وتؤثر في كل جزءٍ من وجدان أبنائه (عِباده) وتشكل قواهم الباطنية كلما استحضروها وطلبوها وألحوا على طلبها واتكلوا عليها؛ الأمر ببساطةٍ هو تفوق الروح العُليا على الروح الدنيا الأكثر انحطاطًا، وكل العناصر المرئية أو ما نُسميها المادة هي تجسيدٌ لتلك الروح الدُنيا.

الطموح، والدعاء الصادر من القلب، والمُطالبة بأن نُصبح بحالٍ أفضل، وأن نمتلك قوة أكبر، وأن نُصبح كائناتٍ أرقى، سيجلب لك مزيدًا من العناصر والقوى الأسمى أي الروح، ولكن الدافع لذلك يجب أن يكون الرغبة العارمة والصادقة في منح ما تلقيته للآخرين؛ لا ينبغي اجتذاب كل هذه القوى إليك إذا كُنت تنوي العيش لذاتك فقط؛ قد تكتسبها بدرجةٍ كبيرةٍ وتحقق بها الكثير، وقد يجلب لك مطلبك - إذا كنت تُفكر في ذاتك - المنازل والثروة والجاه، ولكن الطلب بهذا الدافع الأناني لن يجلب في النهاية سوى المُعاناة والمرض والخِذلان.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثالث عشر

الارتقاء إلى الفكر الجديد

الفكرُ الجديدُ حياةٌ جديدةٌ.

عندما يطرأ في ذهن المُخترع اختراع أو اكتشاف جديد، يملأ ذلك قلبه فرحًا؛ تتدفق الدماء في عروقه بقوةٍ دافعةٍ لم يألفها من قبل، ويبلغ الكاتب أو الشاعر قمة السعادة والابتهاج الغامر عندما تخطر في ذهنه بنت الفِكر التي تُلهمه الإبداع؛ أقصد هنا فئة الكُتاب والشُعراء المُبدعين القليلة نسبيًا، لا الغالبية منهم الذين يستعيرون(14) نار العبقرية ويشعلون بها مصابيح نجاحهم الزائفة ثم يقدمونها وينسبونها إلى أنفسهم. ما نُسميه بـ "الخبر السار" وقتما نعيش فترةً مُظلمة من الانهيار المعنوي وفتور الهِمة، وهو تحقيق رغبةٍ يسهل تحقيقها، والتخلص من اضطرابٍ أو خطورةٍ، ما هو في النهاية إلا فكرة؛ ليس سوى صورة ذهنية للشيء المرغوب لا الشيء المرغوب نفسه، ولكنه الوسيلة التي تجلب القوة لكامل الجسد.

المشهد المُمتع أو العرض المسرحي المُذهل الذي أحسن ممثلوه أداءه لدرجة استحواذ انتباه جميع المُتفرجين، أو لقاء شخصٍ ننجذب إليه بشدة أو المسعى الذي نُلاحقه بكامل شغفنا أو النشاط أو الفن الذي يأسرنا ويثير اهتمامنا، كلها أشياء تُغذي وتُنشط الجسد كالطعام، ولكن الانغماس في حُميا اللحظة قد يُمحي أو يُصرف اشتهاء الطعام المادي عن الأذهان، إذًا نحن لا نحيا بالخُبز وحده؛ بل تحتاج غريزتنا إلى طعامٍ فكريٍ طازجٍ لا يتناقص أبدًا.

قد يُفسد التكرار المسرحية المُبهرة ويجعلها مُملة عند رؤيتها للوهلة الأولى، وقد يُفسد الاعتياد اللحن الأخّاذ ويجعله مُبتذلًا عند سماعه للمرة الأولى، وحتى نوع الأفكار التي تدور في أذهاننا الأكثر إغراءً لنا، قد نتوق إلى تغييرها في وقتٍ ما؛ قد نُشاهد المسرحية أو القصة التمثيلية أو المؤدي مرة أُخرى باستمتاعٍ زائدٍ، ولكن في الوقت المُناسب؛ ربما تأثير من يُرافقك أثناء المُشاهدة أو نمو وتطور أداء المُمثل

والمؤثرات المُحيطة به، أو قدرتنا الجديدة على رؤية ما لم نستطع رؤيته من قبل، هو ما يجعله الوقت المُناسب.

استحضر إذًا كل الأفكار الجديدة، وإذا تفضلت، وجدانًا جديدًا، وغذاءً جديدًا، الغذاء اللازم لجعل صحة الإنسان الجسدية والعقلية مثالية نسبيًا كالخبز الذي نأكله؛ فالفِكر القديم – التكرار المُستمر للفِكر ذاته - يتضمن جُزءًا من الهلاك وجمود العقل وتكاسل الجسد.

لنتخيَّل أننا نستيقظ كل صباحٍ ونحن على يقينٍ تامٍّ أن كل يومٍ يطوي لنا بدرجاتٍ متفاوتة حماس الاكتشاف في شيءٍ مُمتعٍ ومُفيد لنا وكذلك للآخرين، شيء يُمكننا ويُمكن للآخرين احتماله؛ شيء مُحتمل لمدى الحياة، أو شيء غير مُتوقع مُنبعث من حقائق الماضي، والتي كانت في الماضي تبدو مُزدهرة، أو شيء يُخبرنا كيف يُمكن للحياة أن تظل مليئة بالملذات الحميدة والدائمة، أو مبدأ قانون عظيم في الطبيعة لاحظنا وجوده ربما لأول مرةٍ في بعض الأشياء التي نُسميها حتى الآن بـ "صغائر الأشياء"، أو في تساقط أوراق الشجر أو لون الورقة ذاتها التي صبغتها نسائم الخريف الباردة بلونها الزاهي الذي يكاد يُضاهي زهو لون دفء الربيع، أو يطوي لنا ما يجب أن يكون مُتعةً للعقل المُنفتح المُتقبل للأفكار الجديدة لكي نحظى اليوم بقدرةٍ أكبر على تهذيب الطباع التي كِدنا نفقد الأمل في تهذيبها البارحة، وقدرة أكبر على الصبر والجَلَد عند أداء عملٍ مُستعصٍ، وعلى الثبات والجرأة، وعلى إدراك ورؤية الجمال فيما مر مرور الكرام في اليوم السابق، وعلى التحكم في الشهوة الجامحة وطرد الأفكار الكريهة التي لن يُحمد عُقباها.

أليست هذه أفكارٌ مُشجعةٌ ومُبشرةٌ بالخير وواهبة للصحةِ والحياة؟ هذا التسلسل ثم الارتقاء إلى هذا الفِكر المُتجدد دائمًا لا يعرف الجمود ولا يعيقه شيءٌ في أي منحى من مناحي الحياة، بل يُظهر اعتناءً بك بسؤال "هل تشعر بالاستقرار اليوم؟"، فتجد القوة والمُتسع والقُدرة على أن تشعر باستقرارٍ أكبر غدًا."هل كانت مجهوداتك السابقة في الموسيقى أو الرسم أو الكتابة أو التمثيل أو الخطابة هي أعظم انتصاراتك؟"، فتجد وسيلةً تجعل بها أداءك أكثر إتقانًا غدًا، وذلك لن ينتقص

من الجهود السابقة شيئًا، بل هو كمُجرد مسحةٍ جميلةٍ ورقيقةٍ من اللون ليزيد جمال لوحةٍ هي بالفعل لوحةٌ خلابة.

الوعي بهذا التهذيب المُتزايد باستمرارٍ ودون انقطاع هو أيضًا غذاءٌ للعقل الناضج المُتطور، بِخلاف الخُبز، بل هو خُبزٌ بالفعل؛ إنه "خُبز الحياة" (يو 6: 35)، وسيصبح طلبنا المرجو من الله كـ "كفافنا من الخبز اليوم" (مت 6: 11)، ألم تكن أيضًا هذه الفكرة التي تخطر في ذهنك كل صباح، أن هُنالك قوة عُظمى وروح لامُتناهية بإمكانها كل الإمكان دائمًا أن تنعم عليك بالبصيرة، التي تُساعدك على اجتياز الصِعاب، سواء أكانت صِعابًا داخلية مع النفس أم صِعابًا خارجية مع الحياة اليومية، وما تأتي به من سكينةٍ واطمئنان - غذاءٌ وقوةٌ وتحفيزًا صحيًا؟ لا سيما إذا كانت هذه القوة، وما لها من قدرةٍ على الإعانة، قد تجلت لك بوضوحٍ في العديد من الأوقات وأصبح الرجاء يقينًا؟

لنفرض جدلًا أن الفِكر الجديد تحفيز صحي، وكذلك غذاءٌ ضروري لحياةٍ أفضل، هُنا يأتي السؤال: "كيف نستحضره؟" أو بعبارةٍ أخرى "كيف نُأقلم أنفسنا أو كيف نُصبح أكثر قابليةً لاستيعاب كل ما هو بديعٌ ونافعٌ في الطبيعة؟"، ففي ديننا دائمًا ما يتضمن الشيء البديع النفع، قد تسخر من بساطة الإجابة، ألا وهي: "عِش حياةً طاهرةً"...

هذه العبارة تحمل في طياتها الكثير؛ الكثير مما ينبغي فعله في الكثير من الحالات؛ الكثير من النزعات الفطرية التي ينبغي أن تتفوق على غيرها؛ الكثير من الصعوبات التي ينبغي مواجهتها؛ الكثير من الظروف الضرورية لهذه الحياة الصعبة يَصعُب تهيئتها.

يبدو أن شهوة الجمع هي قانونٌ ثابتٌ في طبيعتنا؛ ففي صورته البذيئة نشتهي جمع المال، وفي صورته الأسمى يجعلنا نشتهي جمع القوى وسمات العقل الرفيعة، فيقول جامع الأموال برضا وسرور في المساء: "لقد أصبحت أغنى مما كنت عليه في الصباح بمئة أو خمسمائة دولار"، هذا الفِكر الذي أثار إعجابه هو بالنسبة له "خُبز

الحياة"، ولكنها ليست حياة هنيئة دائمة؛ إن لم تكن حياةً غير صحيةٍ على الإطلاق، وقد يقول شخصٌ آخر في المساء: "لقد أصبحت أغنى مما كنت عليه في الصباح بمزيدٍ من الجَلَد والصبر، بمزيدٍ من المهارة والإبداع في فني، بمعرفةٍ نافعةٍ لم أكن أعلم شيئًا عنها منذ أربعٍ وعشرين ساعة".

ألم نتنبه بشكلٍ كاملٍ لفكرة أننا أوعيةٌ للأفكار بعد؟ وهل تنبهنا للفِكر والمعرفة وقوتها؟ ولفكرة أن قدرتنا على استيعاب كل ذلك لا حدود لها؟ وأن مخزون قوة المعرفة والفِكر الجديد في هذا الكون لا حدود له أيضًا؛ كله مِلك لنا نأخذ منه قدر ما نشاء؟ وأنه كالمصرف الذي لن يُفلس أبد الزمان؟

ثمة العديد من الأشياء والحوادث الشاذة والمشاهد من حياتك الماضية من الأصلح لك نسيانها لا ذكرها؛ نسيانها يُتيح دخول فكرةٍ جديدة أي حياةٍ جديدة، وذِكرها يُحيل بينك وبين هذه الفكرة أو الحياة الجديدة.

ما عنيته من "نسيانها" هو ضرورة أن تتجنب العيش في مشاهد الماضي والذكريات الأليمة، ولكن من المستحيل نسيان أو محو أي شيءٍ ركزت انتباهك عليه ذات يوم تمامًا؛ فكل ما رأيته أو علمته أو لامسته أو سمعته قد تخزَّن في عقلك، ومن الجائز أن يُعاد إلى الذاكرة مرةً أُخرى في ظروفٍ بعينها. لذا بدلًا من استخدام كلمة "نسيان"، سيصبح من الأفضل ومن المستصوب قول إنه يجب عليك تنمية قوة صرف وطرد المشهد الذي يجعلك غير مسرور من ذهنك، أو أيًا ما تجد أن تذكره لن يُجدي لك نفعًا.

يستحيل طمس أي شيء كانت قد نقشته ذاكرتك على ألواحها ذات يومٍ لأي مشهدٍ أو حادثٍ أو تجربةٍ؛ أصبح جزءًا من روحك وذاتك، أو يُمكن القول بعبارةٍ أُخرى: إن روحك مصنوعةٌ من كل خبراتها وتجاربها السابقة وما ترتب عليها من ذكريات تعود إلى ماضٍ أزلي، بعضها شديد الوضوح وبعضها غامض وكثيرٌ منها متوارٍ عن النظر في الوقت الحالي، ولكن يُمكن لبعض الأحداث استرجاعه بالكامل.

إبادة تلك الذكرى - إن استطعت فعل ذلك - تعني إبادة جزءٍ كبيرٍ من عقلك؛

فالتجارب كلها مُفيدةٌ للحكمة لما تُقدمه أو تُظهره لها، ولكن بمجرد أن اكتسبت الحكمة والمعرفة من أي تجربةٍ لا حاجة ولا فائدة من تكرارها، خاصةً وإن كانت تجربة سيئة؛ إنك تُكررها بشكلٍ فعلي عندما تتذكرها، أو عندما تعيشها مرةً أُخرى في ذهنك، هذا ما يفعله الأشخاص الغارقون في التفكير في فواجع وخيبات الماضي، وهذا ما يفعله الأشخاص الآسفون على شبابهم الزاهر الهانئ الذي يُناقض كهولتهم أو شيخوختهم المليئة بالإحباط والكآبة.

عِش في الذكرى الجميلة من شبابك إن كُنت ترغب في ذلك؛ سيُفيدك، ولكن لا ترسمها بكل ما عليها من إشراقٍ وحيوية على خلفية الحاضر المُعتمة؛ لا تُفكر في هذه الذكرى على هذا المنوال، تذكر أن وقت طفولتك وشبابك بكل ما فيه من نضارةٍ وحداثة، كان أيضًا وقت شيخوخة أشخاصٍ آخرين، حيث بدا العالم سخيفًا وكئيبًا، حيث أرهقتهم كل تلك الحياة التي ظنوا أن بإمكانهم إخضاعها، وحيث لم يعد يبقى شيء إلا وكان مصيره فقدان الحيوية ثم الهلاك، وتذكر أيضًا أنه إذا كان العالم يبدو اليوم أقل إشراقًا مما كان عليه في السابق، وإذا كانت الشمس تبدو وكأنها دائمًا ما تغرب لا تُشرق، فهي تبدو لطفلٍ أو طفلةٍ في العاشرة أو الخامسة عشرة من عمرهما، كما بدت لك في ذلك العُمر؛ لا يُمكن لشخصٍ أن يستمتع بحياته كما استمتع بها في الماضي وهو مُحتفظٌ بجسده المادي ويرفض التركيز والانفتاح على المُستقبل، فهو يجمع بذلك مزيدًا من الأفكار الكئيبة والمُهلة ومزيدًا من هذا العُنصر الذي يتجسد على الجسد؛ سيصبح لحمه ودمه وعِظامه عندئذٍ تجسيدًا فعليًا لانطفاء الروح واستنزافها.

لا بُد وأن يُفضي العيش بهذا العبء المُتزايد إلى الضعف والعناء مهما بلغت الروح من قوة على تَحمُّله، ولكن العقل الرافض لكل ما هو قديم ولا يُجدي نفعًا له، ودائم المضي قُدمًا نحو كل ما هو جديد، يستجمع الفِكر الجديد، وكل ما يجلبه من تجدد وازدهار سيتجسد على الجسد. إنه أنت من يجعل "الأشياء من قبل" سارةً أو غير سارة بالنسبة إليك، حسبما كانت طريقتك في التفكير المُسبق فيها.

هُنالك فئةٌ من الأشخاص إذا كانوا يواجهون صعوبات، واقترح شخصٌ ما سبيلًا

للخلاص من هذه الصعوبات، يعترضون على الفور ويضعون العراقيل في الخطة التي اقترحها، فلا يجدون مفرًا من مواجهة تلك الصعوبات، كذلك عندما نميل إلى وضع العراقيل في كل ما نُفكر فيه، نصنعها بالفعل؛ عندما تستلقي على فِراشك مُستيقظًا في الليل، تُطيل التفكير أو تُفتش ذهنك لإيجاد مشكلات من المُحتمل حدوثها أو تختلقها من لا شيء، إنك تُسيء بذلك استخدام قوتك، وتُثابر مُثابرةً مهدورةً لتمهيد الطريق إلى تلك المشكلات.

في كل أمر من أمور الحياة يجب أن نواصل سعينا في عقولنا إلى نجاح النتيجة بإصرار، ويجب أن نرى في أذهاننا ومُخيلتنا أن الشيء الذي نُخطط له قد تم بنجاحٍ، وأن الأسلوب والمنهاج الذي نُؤسسه في وضع صالحٍ لاتخاذه، وأن الأعمال أو المهام التي نؤديها في تقدمٍ وتحسنٍ مُستمر وأكثر إدرارًا للمكاسب. أما قضاء الوقت واستنفاد القوة في الالتفات إلى الماضي، والعيش في مشكلاته وعقباته مرة أُخرى ومن هذا النشاط العقلي استحضار المزيد من الصعوبات والتصديات هو كأنك تُقضي وقتًا وتستنفد قوتك في تخريب أعمالك، أو أنك تضع بيدك العقبات والصعوبات في طريقك، لتحقيق ما تُريده بِمعنى حرفي.

إن نسيان الأمور الماضية والمضي قُدمًا نحو تلك التي بصددها في الوقت الحالي مبدأ له العديد من التطبيقات العملية بشكلٍ مُكثف يرتكز عليه كل نجاحٍ في العمل، فالأشخاص الذين يتخلون عن الأساليب القديمة وتوجهوا بتفكيرهم نحو الأساليب الجديدة يُحققون أكبر نجاحٍ مالي، أما الأشخاص الذين كانوا قد بدءوا مسيرتهم المهنية في شبابهم الجسدي مُتخذين أساليب جديدة وظلوا مُتشبثين بتلك الأساليب التي لم تعد جديدةً مع تقدم العُمر هم حقًا في مسار العودة بكل معنى الكلمة، قد يستمر تدفق المال عليهم ولكن أساليبهم قديمةٌ ومهجورةٌ بالفعل، سيشهدون بعد عدة سنوات تبديلًا في أسلوب عملهم بأسلوب جديد.

إذا كُنت تُعاني ضعفًا أو مرضًا في أي ساعةٍ من الأمس، فلا تبتدئ اليوم بإطالة التفكير فيما عانيته من ضعفٍ أو وهنٍ في تلك الساعة؛ انسَ الأمر واختزل التفكير فيه واستبدله بالانصراف والتطلع إلى الأمام بالتفكير في القوة والعافية والحيوية،

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

فأنت في واقع الأمر تُهيئ الظروف التي توقعك في المتاعب الجسدية ذاتها، عندما تنظر بعقلك إلى الخلف وتستغرق في التفكير في ضعف وانحراف صحة الأمس.

ابدأ يومك في التفكير بالنظر صدد الشيء الجديد، وعندما تُفكر في الصحة والقوة وقت انخفاض حيويتك تُهيئ الظروف التي تمنحك تلك الصحة والقوة، وإن لم تأتك في اليوم الأول في تلك المحاولة، حاول مرةً أخرى في اليوم التالي ثم التالي؛ الحال الذي تسعى للوصول إليه سيأتيك في الوقت المناسب.

لعلك تقول لي في ذهنك الآن: "كيف يُمكنك إثبات هذه التأكيدات؟ لم يحدث وأن أدركها أحد في عصرنا الحالي، بل الهلاك والموت هما ما يُدركان كل شيءٍ في النهاية".

تستطيع أن تبدأ بنفسك لكي تُثبت صحتها، إذا جربت أي أسلوبٍ من الأساليب التي اقترحتها هُنا لتشكيل أفكارك، من أجل الحصول على نتائج مثمرة ولم تُثبت سوى صحة القليل منها، فعلى الأقل ستكسب بعض الثقة في هذا القانون، ولكن إذا كنت قد أثبت بعضًا من صحة القانون، فهل من المعقول قول إنه سَيُثبِتُ غير ذلك إذا لم تتبعه بهذا التوّجه العقلي؟

الأحكام المُسبقة والتحيزات غير المنطقية هي وليدة الاستغراق المُستمر والعيش في الماضي؛ فغالبًا ما يعيش الرجل الذي يبلغ الستين أو السبعين من عمره حالات مزاجية وأعرافًا وعادات خاصة بشبابه، ويُصدق أنها الشيء الأصلح والأنسب له، وربما ينظر بازدراءٍ وتحامل إلى الرجل الذي يتعين عليه ارتداء سروالٍ قصيرٍ وجوارب مُلاصقةٍ وصدريةٍ وقميص منقوش والقبعة المردودة التي ترجع إلى القرن الثامن عشر أثناء عمله اليومي، رُغم أن هذا الزي كان شائعًا منذ مائة عام، وربما كان جده الأكبر يرتدي مِثل هذا الزي، إلا أن جده الأكبر على الأرجح كان ينظر بنفس الازدراء والتحامل إلى الشخص الذي يرتدي زيًا بصيحة الوقت الحاضر. إذًا، كان اختلاف الظروف بين هذه السنوات القليلة هو ما تسبب في خلق هذا التحامُل المُفرط الذي أظهره كُلٌ من الجد الأكبر والحفيد، والذي يرتكز فقط على حقيقة أن

هكذا كانت صيحة الأزياء في شباب كلٍّ منهما.

من المُستحيل بالتأكيد أن يُخالف شخصٌ ما أي عادةٍ أو عُرفٍ سائد، أو أن يرتدي بأسلوبٍ مُختلفٍ، أو أن يتصرف في بعض الأمور بطريقةٍ مُختلفةٍ، عمن حوله، من دون أن يصبح مردود ذلك عليه غير سار بل مؤذٍ في بعض الأحيان؛ فصنيع الأذهان العديدة التي تُحيط به الذي تُرسله على الدوام من أفكارٍ مُتحاملة وكارهة ومُستهزئة، قد تؤذي الذهن والجسد، ولكن الشعور الذي يبعث هذا النوع من الأفكار تجاه الشخص الآخر الذي ينحرف عن أي عُرفٍ راسخٍ يُصبح خطأً فادحًا إن لم يُعكر به صاحبه صفاء ذهن أحدٍ أو لم يُقلق به بال أحد؛ إنه استبداد عقلي بالغ يجعل مُمارسه يرى بتفكيرٍ عدائي أن الشخص - على سبيل المثال - الذي يجب عليه اتباع أسلوب أزياء اليونانيين القدماء في الوقت الحاضر هو شخصٌ أكثر منا راحة وحكمة.

كان هذا الشعور ذاته هو ما جعل حشود الناس يصيحون ساخرين من أول(15) رجلٍ يحمل مِظلةٍ في إنجلترا قبل أقل من مائتي عام، إنه شعورٌ نابعٌ من ذلك الإطار الفكري المُتحجر، الذي يجعل من يتبعه يداوم على النظر خلفه ويُنحي نظره عن الأمام.

الحياة تتقدم وتتحرك بنا بِخُطى ثابتةٍ إلى الأمام، إذا كنا نتطلع إلى التقدم معها فمن الأفضل أن ننظر بعقولنا قُدمًا وكل شيءٍ حتى الرتيب والبدائي والبذيء منه لا بُد وأن يتحرك قُدمًا معنا؛ ثمة قوةٌ هائلةٌ لامتناهيةٌ لا يستوعبها عقلٌ بشريٌ تدفعنا جميعًا إلى الأمام، ولكن بينما تتحرك كل الأشياء وتندفع إلى الأمام، هُناك العديد ممن يتلكئون ويطيلون النظر إلى الخلف، لا يعرفون أنهم يتمردون بذلك على تلك القوة ويُقاومونها، وبالتالي يستجلبون الأذى والألم والمرض والشقاء، ما يتركز عليه العقل وما يضعه صاحبه نُصب عينيه - أيًا كانت ماهيته - هو ما يجلبه لنفسه، والفكرة والخيال المُستمر لا بُد وأن يتخذا هيئةً وشكلًا في عالم الأشياء المرئية والملموسة في النهاية.

إنني أكرر هذا التأكيد مرارًا في هذه الكُتب وفي كل قوالب التعبير لأن هذه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحقيقة هي أساس سعادتك أو تعاستك وصحتك الدائمة ورخائك أو افتقارك. لذا وجب التذكير الدائم بها وترسيخها في الأذهان قدر المُستطاع.

أفكارنا هي المغناطيس غير المرئي الذي يجذب نظيره من الأشياء المرئية والملموسة، بمجرد أن نُدرك هذه العبارة حق الإدراك نُصبح أكثر حرصًا على تثبيت أذهاننا على الاتجاه الصحيح، وأكثر حرصًا على التفكير في السعادة والنجاح لا المُعاناة والفشل، إنه لأمر رائع أن السعادة أو التعاسة في حياتنا ينبغي أن تعتمد على ما يبدو أنها طريقة وقانون بسيط، ولكن الأشياء المزعوم بأنها "بسيطة" في الطبيعة بالبحث والاستقصاء عادةً ما نجدها عويصةً وألغازًا مُبهمة.

أكثر ما يُهمنا معرفته هو السبب أو الوسيلة التي ستؤدي إلى نتيجةٍ بعينها، عندما نُدرك أنه بإمكاننا تركيز تفكيرنا، ونُركزه بالفعل، على ما نحن عليه فيما يتعلق بالصحة والثروة والوضع الاجتماعي، نُدرك أيضًا أننا قد عثرنا على "اللؤلؤة غالية الثمن" وسنُسرع إلى قريبنا لإخباره بذلك؛ عسى أن يبحث عن هذه اللؤلؤة والقوة، ويعثر عليها في نفسه أيضًا؛ فمن اكتشف ما يُمكن أن يخصه وحده لم يفتقر، وكل من وجد لؤلؤته الخاصة به صار أغنى وأسعد من خلال القوة التي تمنحها لهم تلك اللؤلؤة، لكي تُزكي وتزيد من ثرائهم في كل شيء وتصنع سعادتهم.

الحياة مليئةٌ بإمكاناتٍ للمُتع أكثر مما قد توصلنا إليها من قبل؛ الحياة الحقيقية تعني نُضجًا مُستديمًا ومُتزايدًا، وتعني الحفاظ على الجسد المادي لكي يتسنى للروح استخدامه في هذا الطور من الوجود وقتما تُريد، لا تعني الحفاظ على ذلك الجسد من الألم والمرض فحسب، بل ومن الهُزال والضعف وهلاك ما نُسميه "كِبر السن" وما هو في الواقع سوى إتلاف للأداة التي تستخدمها الروح نظرًا للجهل بسُبُل شفائه وتجديده باستمرار. الحياة تعني ازدهارًا للقوى والملذات في نفوسنا لم يمسسه الخيال مهما بلغ مداه، وتعني نضارةً مُتزايدة واطلاعًا وإدراكًا مُتزايدين لكل ما هو مهيبٌ ورائع وبديعٌ في الكون، اكتشافٌ مُتزايدٌ للمزيد والمزيد من كل ما هو مهيبٌ ورائع وبديع وقدرة مُتزايدة للجانب العاطفي في طبيعتنا على الشعور بهذه الملذات.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحياة أبدية حينما يتعلق الأمر باكتشاف وإدراك تلك المباهج التي لا ينضب مصدرها؛ لا بُد أن يظل شكلها وكُنهها مجهولًا إلى أن نفوز بها؛ كما تقول الرسالة الرسولية: "ما لم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على بال إنسان: ما أعده الله للذين يحبونه" (كو 2 1: 9)

ستتحرر مما نُطلق عليها أمورًا اعتياديةً من حياتنا وحواسنا، باستثناء الجزء الضئيل من المُتعة الذي بإمكاننا إكسابه القدرة على منحنا مُتعة أكبر؛ الطعام يُمكن أن يمنح متعة لحاسة التذوق تفوق المتعة التي يمنحها الآن، مثل أننا لا نحصل على كل المتعة التي بإمكان العين أو الأذن إعطاؤها لنا. ففي تلك الأجساد التي هي على درجةٍ عالية من التطور والتهذيب لا بُد وأن يعمل الطعام مثلًا عندما يصل إلى المعدة كمُحفزٍ صحي ويمنح هذه الدفعة والنشاط والحيوية التي يمنحها لصغار الكائنات الحية.

سيصبح بإمكاننا أن نجعل حركة كل عضلة من عضلاتنا - كالمشي مثلًا - تمنحنا مُتعة خاصة. عند اتباع القانون الروحي تنزل هذه الطمأنينة وسلام العقل "الذي يفوق كل عقل" على الكثيرين في المُستقبل؛ عدم نزولها عليهم في السابق ليس دليلًا على عدم نزولها أبدًا، فالحياة عندئذٍ ستُصبح جنةً خالدةً، سواءً أكانت قواها في حالة نشاطٍ أم هدوء. ولكن هُنالك الملايين من الأشخاص من جنسنا البشري لا ينظرون أمامهم إلى كل تلك المباهج والإمكانات، ولا يعلمون عنها شيئًا، وعندما يعلمون لا يُصدق السواد الأعظم منهم ما يعلمونه عنها، إذًا ما الذي يركزون عليه في أذهانهم؟

على الاعتقاد الذي يزداد رسوخًا بمرور السنوات، بأن الحياة قصيرة الأجل وأن كِبر السن والهلاك حقيقتان مطلقتان ومصيران حتميان للجميع، وأن الجسد لا بُد وأن تضعف قواه في عمرٍ مُعين، وأن الهدف الأكبر في الحياة هو ادخار مقدار وافر من المال من أجل تأمين "كبر السن"، هذا ما يضعه كل رجلٍ أو امرأةٍ عجوز واهنين الآن نُصب أعينهما، وهذا ما سيصبحون عليه عاجلًا أم آجلًا. هذه ليست أشياء جميلة ومُحببةً للتأمل والتفكير فيها، ولا يُفكر العديد من الناس فيها، بل يُغلقون أعينهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عن تلك المشاهد القاتمة من مُستقبلهم، ولكن يقبلونها كحقيقةٍ على الرغم من ذلك، يصدقونها ويخشونها في الوقت ذاته، إذا كانوا يقبلونها كحقيقة لا بُد وأنهم يتطلعون بفِكرهم إلى ذلك الاعتقاد؛ فالتطلع والمُضي قُدمًا نحو الشيء الذي تصدقه هو ما يُجسده في الواقع المادي.

من مُسببات شيخوخة وكِبر سن الجسد هو "تأمين كِبر السن"، أي أن الشخص الذي "يؤمن" بهذه الطريقة يرى نفسه بعد عدة سنوات شيخًا عاجزًا فانيًا؛ ما يُخططه العقل للمستقبل يتحقق له في المُستقبل.

يعتمد المرء على شيءٍ مادي (المال) ليقي نفسه من العِلل والأمراض، في حين أن الأشياء المادية كلّها لا حول لها ولا حيلة أمام هذه الأمراض، فإذا هَرم جسد الغني وبُلي ومَرض، ليس بوسعه سوى أن يشتري بماله غُرفةً أفضل ليسكن فيها وسريرًا أفضل من الفقير؛ لن يعصمه ماله من المرض والاعتلال، ولن يمنحه الشهية إلى الطعام وإن كان أبهظ أنواعه ثمنًا؛ في الكرب والألم يستوي الحاكم بالمسكين في جميع الجوانب، ففي سَكرة الألم أو المرض يوفر الفِراش الناعم وجمع الخَدَم الغفير من حوله راحةً ضئيلة أو لا يوفرونها على الإطلاق.

والآن، وبعد كل ما قيل، أقام عُنصر الفِكر المُستخدم في الجهل وفي الاتجاه الخاطئ الدليل على أنه يأتي بنتائج ولكن المؤسف منها، وإنه تمكين الروح في الجسد وتنمية قواها فقط هو ما يمنع هذه الأمراض والعلل، وكانت أولى القوى التي بدأنا بتنميتها هي اعترافنا وتصديقنا بأن العقل أو الروح هي القوة المُسيطرة على أجسادنا، وأن العقل يصنع أي شيءٍ يصوره أو يُفكر فيه أو يتخيله بإصرار.

إننا نُفكر الآن، وبلا وعي، في الاتجاه الخاطئ، ونعتقد أن كِبر السن أو هُزال الشيخوخة لا مفر منه لأنه - على حد عِلمنا - لم يكن هُنالك مفرٌ منه من قبل، نمضي قُدمًا في تصور الألم والهلاك الجسدي، ونعتقد اعتقادًا بغيضًا به، نحتفظ بهذه الصور الحزينة دائمًا في أذهاننا، ونصرف أنظارنا عن الأفق المُشرق في الحياة - الحياة المُتزايدة باستمرار - جاحدين به.

في العهد الجديد (التجلي الأخير) نجد أن التعاليم المسيحية والرسولية حافلةٌ بجوهر الحياة والحياة الأبدية، وأن الموت لا يُشار إليه على أنه ضرورةٌ حتمية بل إنه "عدو" يجب القضاء عليه في النهاية، ولم يُذكر قط أن مجيء "الوحي العظيم" لن يحدث إلا بعد ملايين السنين في المُستقبل، قد يكون فجر اليوم هو فجر يوم هذا المجيء، قد يكون اليوم ليس لأن شخصًا ما قد كتب أو أكد على ذلك وإنما لأن هُنالك العديد من العقول المنفتحة في الوقت الحاضر لاستقبال الوحي العظيم الذي ظل يطرق أبواب البشرية لقرونٍ عديدةٍ ولكن لم يتمكن من الدخول بسبب بلادة وضعف سمع أولئك الذين قد سعى لاستنهاضهم وإفادتهم.

إن الموتى الوحيدين في هذا العالم هم الأشخاص المتوفون روحيًا؛ أولئك "الموتى من آثامهم وخطاياهم"، من لم يتعلموا النسيان بعد أو بالأحرى رفض العيش والتركيز والاعتماد على العُنصر الخامد القوّات لا العُنصر المُنحدر من مصدرٍ أعلى.

إلا أن القِلة ممن هم في طليعة الفِكر المُستمرين في المُضي قُدُمًا يهتفون: "عجبًا، إننا نرى القوة المُحرِّكة الأعظم على الإطلاق مُباشرةً أمام أعيننا!"

وكذلك عجبًا للفِكر البشري! إنه عُنصر حقيقي وقوة حقيقية تندفع كالكهرباء من عقل كل رجلٍ أو امرأة، لتُسيء أو تُحسن، لتزهق أو تُشفي، لتكوّن الثروات أو لِتُبدِّدها، لتعمل من أجل الخير أو الشر، في كل لحظةٍ؛ ليلًا أو نهارًا، في النوم أو اليقظة، وتنحت وتصور وتُشكل وجوه الناس لتُقبح أو تُحسن خِلقتهم.

قبل أن تنقل الكثير من أفكارك إلى الآخرين، ينبغي لك أن تسأل نفسك على ضوء هذه الإمكانات ما إذا كان بعضٌ منها يُناسبك أم لا، إذا كان بإمكانك بناء نفسك إلى أن تُصبح قوةً حية، وإذا كان بإمكانك أن تُثبت للآخرين أن الصحة الجسدية والنشاط يُمكنهما أن يخلا محل الشيخوخة، وأن المرض يُمكن أن يرحل عن الجسد، وأن الأموال والضرورات يُمكن أن تأتي بِقَوَاعِد وَأساليب لا تُمارس عادةً الآن، وأن الحياة ليست هي الشيء ذا الأجل القصير وغير المُرضي والميئوس منه، الذي هو الآن في أحسن أحواله. ألن تتصرف بطريقةٍ تنم عن لطفك وإحسانك للعالم أجمع

أكثر ألف مرة مما لو أفنيت تفكيرك في إطعام بعض الأفواه الجائعة وتلبية بعض الحاجات الجسدية لدى الآخرين؟ إلامَ يهدف أثرياؤنا وحُكّامُنا ورجالنا المشاهير في الفن والعلوم والحرب، وأساتذتُنا وقساوستنا وكل رموزنا الناجحة؟

ضعف الهلاك والمرض... هذا ما يستسيغه وتعترف به شعوبنا الأكثر والأعمق تفكيرًا بمجرد أن يعلموا شيئًا في الحياة، وهو: إن وقت الموت قد حان، وأن التأبين الذي يُلقيه الأحياء هو - على أحسن الفروض - اعتذار للمتوفى عن نهاية حياته غير المُرضية.

ولكن إذا طالبت البشرية بشيءٍ أفضل، وظل صوت هذا الطلب وهذا التوسل يعلو ويتزايد في حرارته ولو لقرونٍ عديدة...

الطلب يجب دائمًا أن يُستجاب؛ ويُستجاب بالفِعل الآن، لفئةٍ قليلة أولًا، ثم كثيرة ثانيًا.

والقادم لهذا العالم: نورٌ جديد، وعِلمٌ جديد، ومآلٌ جديد لحياة الإنسان بكل ما فيها.

انتهى

---

(14) العبارة مأخوذة من نص محاضرة ألقاها الرئيس الأمريكي أبراهام لينكولن في جامعة إيلينوي عام 1858 بعنوان "الاكتشافات والاختراعات"، أشاد فيها بنظام قانون براءات الاختراع لما قدمه من فوائد متبادلة لكل من المخترع والمجتمع، وأشار إلى أن نظام براءات الاختراع "... قد كفل للمخترع، لفترة محدودة، الاستخدام الحصري لاختراعه؛ وبالتالي أضاف وقود الاهتمام إلى نار العبقرية، في اكتشاف وإنتاج جديد وأشياء مفيدة".

(15) جوناس هانواي، رجل بريطاني من شكان لندن، كان أول من حمل مظلة (بعد النساء اللائي كن يستخدمن المظلات منذ عام 1705) وكان مثار سخرية من الجميع، ولأنه كان نادرًا ما يخرج من دون مظلته، ولأن المظلات كانت تُعد من الملحقات الخاصة بالنساء فقط؛ هذا ما جعل سائقي سيارات الأجرة في لندن يحتشدون حوله ليستهزئون ويسخرون منه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المصادر:

الكتاب المقدس (العهد الجديد)

الموقع الرسمي للأنبا تكلا هيمانوت – تراث الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.
https://st-takla.org/Holy-Bible_.html

المسوحة ضوئيا بـ CamScanner